مجالس الخلفاء في العصر الأموي

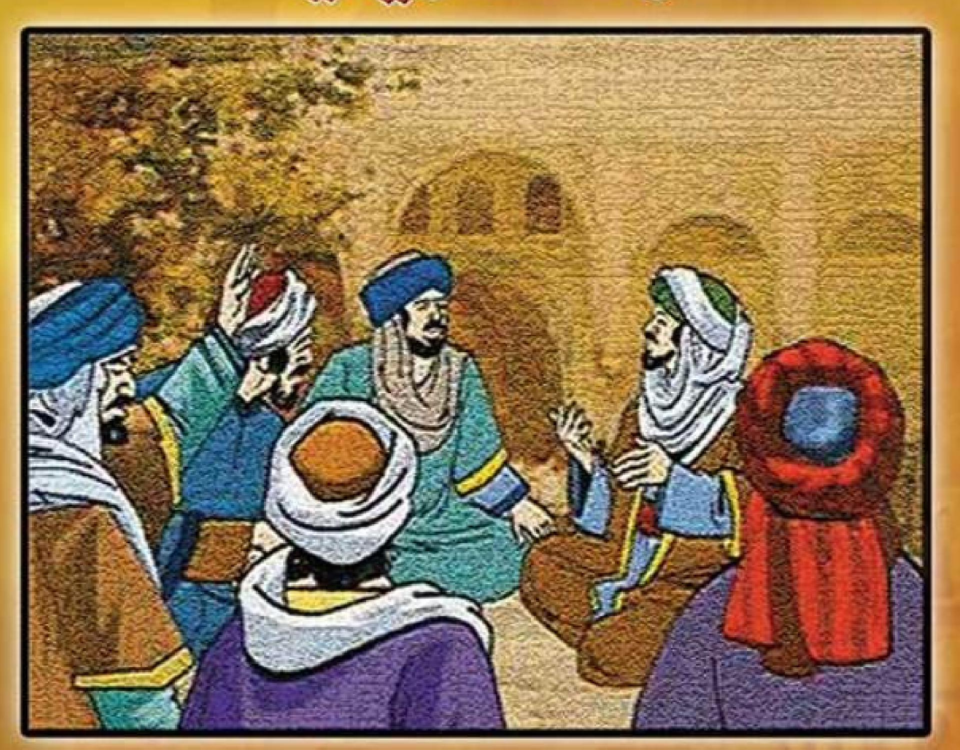
دراسة تاريخية

الدكتور
هاشم صائب محمد الجنديل



مجالس الخلفاء في العصر الأموي

دراسة تاريخية



الدكتور
هاشم صائب محمد الجنديل



مجالس الخلفاء فى العصر الأموى

تأليف:الدكتور هاشم صائب محمد الجنديل

المتخصصون في الكتاب الجامعي الأكاديمي العربي والأجنبي دار زهران للنشر والتوزيع
تلفاكس: 5331289 – 6- +962، ص. ب 1170 عمان 11941 الأردن

E-mail : Zahran.publishers@gmail.com
Website: http://www. Zahranpublishers.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

يعد العصر الأموي (41-132هـ/661-749م) من المراحل المهمة في التاريخ العربي الإسلامي ، لأنه شهد أحداثا مهمة كان لها أثر واضح في نواحي الحياة ونشاطاتها ، فاعتماد مبدأ الوراثة في الحكم أدى إلى ظهور حركات سياسية وتيارات فكرية معارضة ، نجم عنها ظهور أحزاب وكتل سياسية جديدة ، كما تميز هذا العصر بإنجازات حضارية وعسكرية كبيرة تمثلت باتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية ، وما رافق ذلك من تطور في بعض الجوانب الإدارية والاقتصادية والاجتماعية ، فضلا عن الإنجازات والأنشطة العلمية والأدبية ، إن دور مجالس الخلفاء وأثرها الواضح في مجمل هذه القضايا وتلك الإنجازات هو الذي دعاني إلى اختيار هذا الموضوع الحيوي والمهم في صنع القرار السياسي ومعالجة مجمل أوضاع الخلافة الأموية ، فضلا عن أن الدراسات التي تناولت شتى جوانب التاريخ الأموي ، لم تتناول هذا الموضوع في دراسة أكاديمية مستقلة من الناحية التاريخية- على حسب علمي – لذلك قررت ، دراسة (مجالس الخلفاء في العصر الأموي) دراسة تاريخية علمية يتبين من خلالها أهمية هذه المجالس ودورها في رسم سياسة الخلفاء الأمويين الداخلية والخارجية ، فضلاً عن تناولها ومعالجتها للشؤون الإدارية والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والأدبية ، ولاحتوائها على مواضيع منوعة يجد فيها الخليفة مع جلسائه من رجال الدولة والعلماء والفقهاء أو من عامة الناس حلولا وآراء للكثير من المواضيع المعروضة في هذه المجالس من خلال تداولها ومناقشتها معهم .

ولا بد أن أشير هنا إلى تنوع موضوعات مجالس الخلفاء وتعدد جوانبها ، مما جعل المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة ، يقوم على تصنيف المجالس التي تنضوي تحت عنوان البحث إلى مجاميع وفقا للموضوع الواحد الذي تناولته كل مجموعة مع مراعاة التسلسل الزمني لذلك .

كما أن هناك مجالس متعددة المواضيع ، تناول بعضها مختلف الجوانب السياسية والإدارية والعسكرية والاقتصادية ، واحيانا الاجتماعية فضلا عن جوانب العلوم والأدب ، لذا فان هذه المزيّة دعتني إلى توظيف النص في أكثر من جانب ، فضلا عن مراعاة عدم التكرار قدر الإمكان .

ولما كان موضوع البحث واسعاً ومنوعاً والمعلومات المتوافرة عنه متناثرة في بطون الكتب الكثيرة والمنوعة حسب تنوع الموضوعات ، مما زاد من صعوبة البحث ومعاناة الباحث ، فضلا عن عدم توافر المصادر القريبة من أحداث هذا العصر ، زاد في اختلاف وجهات النظر حول طبيعة هذا العصر وأحداثه المتشابكة ، مما جعل الحاجة ملحة إلى الزيادة في التمحيص والدقة وتوخي الحذر للوصول إلى الحقيقة قدر الإمكان .

وقد اشتمل البحث على تمهيد وخمسة فصول:

تضمن التمهيد : تعريف المجلس لغة واصطلاحا ، وتناوَلَ مجالس ملوك العرب قبل الإسلام كالسبئيين والمناذرة والغساسنة ، ودورها في إدارة تلك الممالك ، واهتمامها بمختلف جوانب الحياة

، ومجلس دار الندوة ومجلس القبيلة ، والمجالس في عهد الرسول ومجالس الراشدين ، ودورها في إدارة الدولة وتوجيه سياستها ، وتناولها لمختلف الموضوعات .
وتناول الفصل الأول : الجوانب السياسية ، ومنها الخلافة وما شهدته مجالس الخلفاء من مناقشات وحوارات حولها ، ثم ولاية العهد ، وما جرى في مجالس الخلفاء من لقاءات بخصوص التطورات التي حصلت في هذا الجانب ، وتطرق هذا الفصل إلى مباحثات مجالس الخلفاء بشأن حركات المعارضة السياسية ، وكذلك إلى السياسة الداخلية والعلاقات الخارجية .أما الفصل الثاني : فقد تناول الجوانب الإدارية والعسكرية في مجالس الخلفاء ، كالتعيين والعزل وما جرى في تلك المجالس بهذا الخصوص ، ثم تناول التوجيهات الإدارية التي شهدتها، مجالس الخلفاء من اجل الوصول إلى أفضل الصيغ في الإدارة، وتناول أيضا موضوع إدارة الولاة لأقاليم الدولة ، وتقويم تلك الإدارة ، وتطرق كذلك إلى دور مجالس الخلفاء في وضع الخطط الحربية ومناقشتها ، وكذلك إلى تقويم نتائج المعارك التي تخوضها جيوش الدولة .
أما الفصل الثالث : فقد خُصص لدراسة الجوانب الاقتصادية في مجالس الخلفاء ، المتمثلة بواردات الدولة وطرق جبايتها ، وجهود ولاة الأقاليم في استحصالها ، ثم تناول موضوع نفقات الدولة على المشاريع العامة والعطاء والهبات والهدايا ، وتطرق إلى ما جرى في مجالس الخلفاء بخصوص الأموال العامة ومحاسبة الذين حازوها بالطرق غير الشرعية، ثم تناول مسألة الأعمال والمهن وأثرها في الحياة الاقتصادية ، ثم تناول متابعة الخلفاء للأوضاع الاقتصادية الطارئة وسبل معالجتها .
واهتم الفصل الرابع : بالجوانب الاجتماعية في مجالس الخلفاء ، ومن ذلك التفاخر بالأنساب والأحساب والمدن والانتساب إلى الإسلام والقرابة من الرسول ، وتطرق إلى موضوع الطعام والشراب وأنواعه ومنافعه ومضاره ، ثم تناول موضوع النساء ودورهن في المجتمع ، والصفات التي تميزهن وأثر ذلك على الأبناء ، ثم تطرق لموضوع الغناء ، وما دار حوله من نقاشات وآراء . وتناول مسألة علامات الشيخوخة وكبر السن ، ثم تعرض إلى تقليد اجتماعي شهدته المجالس وهو التعازي.
أما الفصل الخامس : فقام على دراسة العلوم والآداب في مجالس الخلفاء ، فتناول العلوم الدينية ، كالقرآن الكريم والدعوة إلى الاهتمام به وتعلمه ، والحديث النبوي والفقه ، ثم العلوم اللغوية والدعوة إلى الاهتمام بالبلاغة والفصاحة ومحاربة اللحن ، كما تطرق إلى الجوانب التربوية والأخلاقية وأثرها في تربية الأجيال وبناء المجتمع ، ثم تعرض للجوانب التاريخية وأخبار الماضين من خلال الاهتمام بالأخبار والسير والأنساب ، وتطرق هذا الفصل أيضا إلى موضوع الأدب في مجالس الخلفاء وحضور الأدباء والشعراء لتلك المجالس وأثرها في نهضة الشعر وتطوره .
وقد اقتضت طبيعة الدراسة مراجعة مصادر تاريخية وأدبية وفقهية ، وكتب التراجم والأنساب ، وسأعرض للمهم منها فقط مبينا مدى إفادة البحث منها ، وعلى النحو الآتي :

كتب التاريخ العام

(المعارف) لابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ/889م) .

الذي أفاد البحث بمعلومات مهمة وقيمة عن الكثير من الشخصيات التي تم التعريف بها ، فضلا عن احتوائه على معلومات عن مشاركات تلك الشخصيات في مجالس الخلفاء بجوانبها المختلفة .

(الأخبار الطوال) ، لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت282هـ/895م) .

وهو من المصادر التاريخية التي تبحث في التاريخ العام قبل الإسلام وبعده حتى خلافة المعتصم سنة 227هـ/841م ، اهتم بمعالجة الحركات السياسية والدينية في العصر الأموي ، إذ ذكر الكثير من المجالس التي تناولت بعض تلك الحركات كحركة حجر بن عدي،وموضوع استشهاد الحسين بن علي (رضي الله عنهما) ، وحركة الزبيريين ، وتطرق إلى ذكر بعض مجالس العلم ، خاصة موضوع اهتمام الخلفاء بالقرآن الكريم.

(أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده) ، لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي .

وهو مصدر اهتم بالدولة العباسية وأخبار العباس وولده ، أفاد البحث كثيرا ، إذ ذكر الكثير من المجالس التي حضرها بعض العباسيين ، ومشاركتهم في تلك المجالس ، بالخوض بالجوانب السياسية ولاسيما موضوع الخلافة ، والجوانب الاجتماعية ، خاصة مسألة تفاخر العباسيين مع غيرهم من الحضور ، والجوانب العلمية في المجالس التي حضرها عبد الله بن عباس ، بخصوص القرآن الكريم وعلومه .

(تاريخ الرسل والملوك) ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ/923م) .

وهو من أوسع المصادر التاريخية ، مقسم بحسب السنين إذ يبدأ منذ بدءِ الخليقة وينتهي سنة 302هـ، يعتمد على سلسلة من الروايات دون أن يبدي رأيه فيها ، وهو من المصادر التاريخية التي لا يمكن لأي باحث في العصر الأموي الاستغناء عنه ، أفاد منه البحث كثيرا ، إذ احتوى على الكثير من المجالس التي تناولت مختلف الجوانب السياسية والإدارية والعسكرية ، فضلا عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ، وامتاز هذا المصدر بذكر بعض المجالس دون سواه ، وهو من المصادر المهمة ، أفاد منه البحث في معظم فصول الرسالة .

(الوزراء والكتاب) لأبي عبد الله محمد بن عبدوس (ت 331هـ/ 942م) .

وهو من الكتب المهمة ، فقد أمدنا بالكثير من المعلومات عن كتَّاب الخلفاء الأمويين ومستشاريهم ومشاركتهم في مجالس الخلفاء في مختلف جوانبها السياسية والإدارية والاقتصادية .

(مروج الذهب ومعادن الجوهر) ، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت 346هـ/ 957م) .

وهو مرتب بحسب المواضيع في عرض مادته ، وقد أفاد البحث منه كثيرا ، ولاسيما الجزء الثالث الذي تناول العصر الأموي الذي ذكر الكثير من مجالس الخلفاء ، خاصة الجوانب السياسية كموضوع الخلافة والسياسة الداخلية ، وبعض الجوانب الاجتماعية ، ومجالس العلم ، كاهتمام مجالس معاوية بالجوانب التاريخية والسير والأنساب ، فضلا عن الجوانب التربوية .

(المنتظم في تواريخ الملوك والأمم) ، لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597هـ/1200م) .

وهو من كتب التاريخ التي تسير وفق نظام الحوليات ، أفاد منه البحث كثيرا ، خصوصا الجزء الرابع الخاص بالعصر الأموي ، إذ تناول عصر كل خليفة على حدة ، مع ذكر الحوادث التي تجري في عهده ، حسب تسلسلها الزمني ، إذ زودنا بالكثير من المعلومات عن الجوانب السياسية

والإدارية والاقتصادية والاجتماعية في مجالس الخلفاء الأمويين ، فضلا عن تراجم من توفي من الشخصيات في كل سنة .
(الكامل في التاريخ) ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت 630هـ/ 1232م) .
وهو من كتب التاريخ المهمة، حيث يبدأ من أول الزمان إلى آخر سنة (628هـ/1230م) وهو مصدر غني بالمعلومات، وقد أفاد البحث في مواضع كثيرة، إذ تطرق إلى مختلف الجوانب في مجالس الخلفاء الأمويين، وكما هو معروف فانه نقل عن غيره من المؤرخين الذي سبقوه مثل الطبري.

كتب الأدب

(البيان والتبيين) ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ/868م) .
وهو مصدر زاخر بأخبار المجالس، أفاد منه البحث في جميع الفصول، وخاصة الجوانب الاجتماعية والقضايا التربوية التي تناولتها مجالس الخلفاء الأمويين. - (عيون الأخبار)، لابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ/889م) .
وهو من المصادر المهمة التي زودت البحث بالكثير من المعلومات فقد احتوى على الكثير من المجالس التي ناقشت مختلف الجوانب السياسية كالخلافة والحركات السياسية المعارضة، والسياسة الداخلية للخلفاء الأمويين ، والعلاقات الخارجية ولاسيما مع الدولة البيزنطية ، والجوانب الاقتصادية ، والقضايا الاجتماعية كالتفاخر ، والطعام والشراب وموضوع النساء ، فضلا عن الجوانب التربوية والأدبية ، وهو أحد المصادر المهمة التي اعتمدت عليها هذه الدراسة .
(الكامل في اللغة والأدب)، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ/898م)
وهو من المصادر المهمة التي اعتمدت عليها، فقد وردت فيه الكثير من المجالس التي تناولت الجوانب السياسية كموضوع الخلافة، والحركات السياسية كالخوارج والعلاقات الخارجيةولاسيما مع الدولة البيزنطية في عهدي معاوية وعمر بن عبد العزيز ، والجوانب الاجتماعية كالمفاخرات ومسائل الزواج والغناء ، فضلا عن بعض العلوم .
(العقد الفريد)، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ/940م)
وهو كتاب أدب من كتب المختارات، وعلى الرغم من أن تأليفه في الأندلس، إلا انه كان غنياً بأخبار المشرق ، وقد أفدت منه كثيرا في جميع فصول الدراسة ، إذ احتوى على الكثير من المجالس التي تطرقت إلى مختلف الجوانب ، وخاصة الجوانب الاجتماعية .

كتب الأنساب

(أنساب الأشراف)، لأبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت279هـ/892م) .
اهتم هذا المؤلف بذكر أخبار الأشخاص، فهو لم يرتبه على أساس السنين، إنما جمع في كتابته بين أسلوب كتب الطبقات وأسلوب كتب الأخبار، إذ أورد الكثير من المعلومات التي أفاد منها البحث في الجوانب السياسية المتعلقة بمسألة ولاية العهد، ولاسيما ما جرى في مجلس معاوية ومجلس مروان بن الحكم بهذا الخصوص، وما دار في مجلس يزيد بن معاوية حول وقعة الحرة.
(جمهرة أنساب العرب)، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هـ/1063م).
فقد زودنا هذا المؤلف بمعلومات مهمة عن الكثير من الشخصيات التي تم تعريفها في هذه الدراسة.

كتب التراجم

(تاريخ مدينة دمشق)، لأبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 571هـ/ 1175م).

وهو من كتب التراجم التاريخية المهمة، مرتب بحسب حروف المعجم، فقد ترجم لأعداد كبيرة من الشخصيات، ولاسيما الخلفاء الأمويين وبعض الشخصيات السياسية والاجتماعية والعلمية، لذا احتوى على الكثير من مجالس الخلفاء الأمويين التي كان يحضرها شخصيات مختلفة، إذ أشارَ إلى دور تلك الشخصيات في تلك المجالس.

(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لشمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت681هـ/ 1082م).

وهو من كتب التراجم التاريخية المهمة، يمتاز بكثرة وتنوع مصادره، مرتب حسب حروف المعجم، وقد وردت فيه معلومات مهمة عن كثير من الشخصيات التي كانت تحضر مجالس الخلفاء من رجال الدولة والعلماء والفقهاء والشعراء.

كتب الفقه

وأفاد البحث من بعض كتب الفقه منها كتاب (الخراج) لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت 182هـ/798م)، وكتاب (الأموال) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ/838م) في الجوانب الاقتصادية ، وكتاب (الأحكام السلطانية والولايات الدينية) لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت450هـ/1058م) في الجوانب الإدارية ، خاصة ما يخص إدارة الولاة للأقاليم والصلاحيات الممنوحة لهم .

وأفاد البحث من بعض كتب البلدان منها كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت 626هـ/1229م)، وبعض معاجم اللغة في بيان بعض المصطلحات منها كتاب (الصحاح) لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت 398هـ/1007م)، (ولسان العرب) لابن منظور (ت711هـ/1311م).

واعتمدت الدراسة أيضا على عدد من المراجع الحديثة التي أفاد منها البحث في جوانب عدة، أذكر منها على سبيل المثال، كتاب (الإسلام والحضارة العربية) لمحمد كرد علي، وكتاب (الخلافة الأموية) للدكتور عبد الأمير دكسن وكتاب (الإدارة في العصر الأموي) لنجدت خماش، وكتاب (صدر الإسلام والدولة الأموية) لمحمد عبد الحي شعبان.

التمـهيد

المجلس لغة ً واصطلاحـًا

المجلس لغة: من الفعل جلَسَ يجلِسُ جلُوساً ومجلِساً ، والمجلِسُ موضِعُهُ(1) ، وجلسَ كلمةٌ واحدةٌ وأصلٌ واحدٌ وهو الارتفاعُ في الشيء ، يقالُ جلسَ الرجلُ جلوساً ، وذلك يكون عن نوم واضطجاعٍ(2)، والجِلْسَة الهيئةُ التي يكون عليها الجالسُ (3) ، والمجلَسُ بفتح اللام المصدر ، والمجلِس موضعُ الجلوسِ ، ورجل جُلَـسَة أي : كثيرُ الجلوسِ (4) ، وجالستُهُ فهو جِلْسيْ وجليسِي ، وتجالسوا في المجالس(5) ، والمُجالِسون هم الجلساءُ والجُلَّاسُ ، وقد يكون الجليس للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد(6) .

أما المجلس اصطلاحا : وهو المكان الذي يجتمع فيه عدد من الأشخاص ، يسمون الجلساء ، كما يُطلق كذلك على مجموعة من الناس يجتمعون في مكان معين أي قوم جلوس (7).

(1) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، (بيروت، بلا ت)، مج2، ص205.

(2) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، ط1،دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1999م)، ج1،ص242 .

(3) أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده ، المخصص ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، (بيروت ، بلا ت) ، مج3،ج12، ص85 ؛ محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، منشورات مكتبة الحياة ، (بيروت ، بلا ت) ، مج4،ص121 .

(4) محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن منظور الأنصاري ، لسان العرب المحيط ، إعداد وتصنيف : يوسف خياط ونديم مرعشي ، دار لسان العرب ، (بيروت ، بلا ت) ، ج1،ص483 .

(5) إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط3،دار العلم للملايين ، (بيروت ،1984م) ، ج3،ص419 .

(6) ابن سيده ، المخصص ، مج3 ، ج12، ص85 .

(7) الجوهري ، الصحاح ، ج3،ص914؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج1، ص473 .

المجالس عند العرب قبل الإسلام

إن الإنسان مدني بطبعه – كما يقال – يحتاج إلى غيره ليأنس به ، لذا ظهرت الحاجة إلى أن يشاور الناس بعضهم بعضا وأن يتحاوروا فيما يخصهم من أمور تمس حياتهم ، ومن هنا ظهر الحوار والتشاور ، وبتطور المجتمعات ظهرت المجالس ، لذا فإن حاجة الإنسان إلى المجالس رافقته منذ وجوده على وجه الأرض (1) .

وكان للعرب قبل الإسلام مجالسهم العامة والخاصة ، فقد كانت لملوكهم مجالس يحضرها كبار رجال الدولة ، وأهل الرأي وشخصيات المجتمع ، يبحثون فيها مختلف الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية ، ومن ذلك أنه لما تسلمت ملكة سبأ(2) رسالة النبي سليمان (عليه السلام)(3) ، شهد مجلسها مشاورات حضرها المستشارون وكبار رجال الدولة وقادة الجيش ، لمناقشة فحوى تلك الرسالة ، واتخاذ القرار المناسب حول كيفية الرد عليها ، بعد

استعراضهم لقدراتهم وإمكاناتهم ، ومقارنتها مع إمكانات عدوهم قرروا في هذا المجلس إرسال مبعوث إلى النبي سليمان ومعه هدية لكي يمهدوا لخطواتهم التالية(4) .

(1) غانم هاشم خضير السلطاني ، رسوم دار الخلافة الأموية ، رسالة دكتوراه ، مكتوبة على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 1990م ، ص274 .

(2) تذكر المصادر أن اسمها بلقيس ، ينظر :أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط4، دار المعارف ، (القاهرة ، 1989م)،ج1،ص490 ؛ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي ، ط1، دار القلم ، (بيروت ،1989م) ، ج2، ص82 .

(3) أشار القرآن الكريم إلى ما جرى في مجلس ملكة سبأ بخصوص تلك الرسالة : {((قالت يا أيها الملأ إنّي أُلقي أليّ كتابٌ كريم - وإنهُ من سليمانَ وإنَّهُ بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم - ألا تعلُوا عليَّ وأتُوني مُسلمين - قالت يا أيُّها الملأُ أفتُوني في أمري ما كنتُ قاطعةً أمراً حتّى تشهدُون - قالُوا نَحنُ أُلوا قُوةٍ وأُولُوا بأسٍ شديدٍ والأمرُ إليكِ فانظري ماذا تأمُرين - قالت إنَّ الملوكَ إذا دَخلُوا قريةً أفسدُوها وجعلُوا أعِزَّةَ أهلِها أذِلَّة وكذلك يَفعَلُون - وإنّى مُرسِلةٌ إليهم بهديةٍ فناظرةُ بمَ يَرجعُ المرسَلُون))} . سورة النمل :الآيات 29-35 .

(4) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، ط2، مكتبة الفيحاء ، (دمشق ، 1998م)، ج3، ص282 .

وكان للملك سيف بن ذي يزن(1) مجلس ، يدير من خلاله شؤون دولته ويبحث فيه مع أهل العلم وأصحاب الرأي ورجال الدولة ، مختلف القضايا التي تخص الدولة والمجتمع ، ويستقبل فيه السفراء والوافدين(2) .

وكان لملوك المناذرة مجالس ، يناقشون فيها الجوانب السياسية ، وعلاقاتهم بالدول المجاورة ، فضلا عن القضايا الاقتصادية والاجتماعية ، وكانت مجالسهم مزدهرة بأهل العلم والشعر والأدب(3) .

وكان لملوك الغساسنة في الشام مجالس يديرون فيها أمور دولتهم ، يناقشون فيها مختلف القضايا، و كان يحضرها كبار رجال الدولة وأصحاب الرأي وأهل العلم وفحول الشعراء(4) .

(1) هو سيف بن ذي يزن أصبح بن مالك ، اسمه معد يكرب ، ويكنى أبا مرة ، من ملوك اليمن ، انتصر على الأحباش وأعاد ملك آبائة مكث في الملك 25 سنة . (أبو محمد عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق :مصطفى السقا وآخرين ، ط3،دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، 2000م) ،ج1،ص96؛ أبو حنيفة أحمد ابن داود الدينوري ، الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم ماجد ، ط1،دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (القاهرة ، 1960م)، ص ص 63-64؛ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي ، ط3،دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1998م)، ج1،ص346.

(2) عبد الملك بن قريب الأصمعي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، تحقيق : الشيخ محمد بن حسن آل ياسين، ط1، مطبعة المعارف ،(بغداد ، 1959م)، ص52؛ أحمد بن محمد بن عبد ربه ،

العقد الفريد ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (بيروت ، بلا ت) ، ج1، ص ص241-وما بعدها ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج2، ص88 .

(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج1، ص ص240-241 ؛ أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، الموشح ، وقف على طبعه واستخرج فهارسه : محب الدين الخطيب ، ط2، المطبعة السلفية ، (القاهرة، 1385هـ)، ص43 ؛ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء ، تحقيق : محمد جاسم الحديثي ، ط1، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1988م)، ص ص49-51 ؛ م . ج . كستر ، الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة : الدكتور يحيى الجبوري ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1976م)، ص13 .

(4) المسعودي ، مروج الذهب ، ج2، ص ص121-122 ؛السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، (بيروت ،1971م)، ص241 .

وفي مكة كانت دار الندوة تمثل المجلس الذي يجتمع فيه كبار القوم ، لبحث مختلف القضايا العسكرية والاجتماعية والاقتصادية ومناقشتها ، كعقد المعاهدات والاتفاقيات التجارية(1)، ويكون هذا المجلس أكثر فعالية في حالة حدوث بعض المستجدات ، فمثلا شهدت تلك الدار اجتماعات ناقشت موضوع نبوة الرسول وتأثيرها على مستقبل عبادتهم ، والطريقة الواجب اتباعها في التعامل مع الدعوة الجديدة(2) .

وكان لكل قبيلة عربية مجلس يعرف بمجلس القبيلة ، يعقد في بيت شيخ القبيلة ، يحضره كل من يرغب من أبنائها ، يناقشون فيه مختلف الأمور الخاصة والشؤون العامة ، ويكون هذا المجلس فعالا في الظروف الصعبة والاستثنائية (3) .

فوظيفة مجلس القبيلة تتمثل بالتشاور وتبادل الآراء حول ما يخص القبيلة وتدبير شؤونها، كاختيار شيخ القبيلة في حالة وفاته، ومناقشة علاقتها بالقبائل الأخرى ، وإعلان الحرب والتعبئة والبقاء أو الانتقال من مكان إلى آخر ، وغيرها من القضايا الاقتصادية والاجتماعية (4) .

فضلاً عن ذلك فقد كانت تلك المجالس عبارة عن ندوات ثقافية وأدبية ، ينشد فيها الشعراء قصائدهم ، كما كانت تزيد روادها معرفة عن طريق ما يعرض فيها من آراء وانتقادات (5) .

(1) أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الازرقي ، أخبار مكة المشرفة وما جاء فيها من الآثار ، مكتبة خياط ، (بيروت ، 1964م)، ج1، ص66؛ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ، 1954م)، ج4،ص194 .

(2) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج2، ص94؛ علي إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام العام ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ، بلا ت) ، ص183 .

(3) صالح أحمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، مطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ، 1981م)، ص155 .

(4) حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ، ط3، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ، 1962م)، ص151؛ سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص415 .

(5) العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص156 .

وفي تلك المجالس يتذاكر أبناء القبيلة تاريخ قبيلتهم ، والمآثر والمفاخر التي سطرها أبناؤها ، والدعوة إلى الاهتمام بالأخلاق الحميدة والقيم الرفيعة مثل الفروسية والشجاعة والكرم والجود

ونصرة المظلوم(1) .
ولذلك فإن مجلس القبيلة فضلاً عن وظيفته في مناقشة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، يمثل منتدًى أدبياً وتربوياً يجري فيه تربية أبناء القبيلة على الأعمال الحميدة ومكارم الأخلاق.
وكان لكل فرد من أبناء القبيلة حق الكلام في المجلس وأن يعرض آراءه ويطرح أفكاره ويدافع عنها بكل حرية ، إلا أن الكلمة النافذة كانت لأصحاب الرأي وأهل الخبرة والتجربة ، ولاسيما الذين لهم من المؤهلات ما يمكنهم من عرض آرائهم وأفكارهم بأسلوب بليغ ومؤثر من قوة الحجة وبلاغة التعبير(2) .

المجالس في عصر الرسالة والخلافة الراشدة

وبظهور الإسلام وما أحدثه من تغير كبير في حياة العرب، إذ شمل معظم الجوانب ، من حيث الاعتقاد والتفكير وتغيير الكثير من المفاهيم والقيم والاعتبارات مما انعكس على ما يُبحث من مواضيع في مجالسهم فقد أصبحت مبادئ الإسلام وتعاليمه مادة تلك المجالس(3) .
وبقيام دولة الإسلام في المدينة المنورة ، وقيام الرسول بقيادة الأمة ، اهتم المسلمون بالمجالس نظرا لدورها الكبير والمؤثر في حياة الناس ، لأنها تبحث القضايا المختلفة وتناقشها ، سواء كانت شؤونا عامة أو أمورا خاصة ، من أجل إيجاد أفضل الصيغ في إدارة الدولة ، وحل ما يواجهها من مشكلات والتخطيط للمستقبل ، فضلا عمّا تقوم به من دور علمي وتربوي كبير في بناء الإنسان وتطور المجتمع . فقد اتخذ الرسول من المسجد مقرا لإدارة دولته ، إذ كان يعقد فيه مجالسه التي من خلالها يدير

(1) محمد عبد السلام كفافي (الدكتور) ، الحضارة العربية ، طابعها ومقوماتها العامة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، (بيروت ، 1970م)، ص26 .
(2) العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص155 .
(3) علي حسني الخربوطلي ، العرب والحضارة ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة ، 1966م)، ص ص 157-158 شؤون الدولة ويوجه سياستها الداخلية وعلاقاتها الخارجية ويستقبل الوفود والزوار وعامة الناس (1) .
وكان يناقش في مجلسه المسائل العسكرية والخطط الحربية بالتشاور مع أصحابه ،وذلك لما للمشورة من دور مهم في دراسة الأمور واتخاذ القرارات المناسبة بشأنها فمثلا في غزوة أحد سنة (3هـ/624م) شهد مجلسه ، لقاءات مكثفة ومشاورات واسعة بخصوص خطة مواجهة قريش ، والتي أسفرت عن الاتفاق بالخروج لملاقاتهم عند جبل أحد ، على الرغم من أن الرسول كان يفضل البقاء في المدينة والتحصن بها(2) .
ومن الأمور التي كانت حاضرة في مجالسه القضايا الإدارية ، كتعيين العمال والولاة(3) ، وتزويدهم بالتوجيهات والإرشادات التي تسهل عليهم المهمة(4) ، فضلا عن فض النزاعات وحل الخصومات(5) .
أما في الجانب العلمي والتربوي، فقد كانت مجالس الرسول عبارة عن ندوات علمية وفكرية وتربوية، تحُثُّ على الدعوة إلى طلب العلم والتعلم ، قال مخاطبا جلسائه: ((من يرد الله به خيرا يفقّهه في الدين))(6)

(1) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج4، ص ص214- وما بعدها ؛ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس ، عيون الأثر ،ط1،دار الآفاق الجديدة ، (بيروت ، 1977م)، ص ص 297- وما بعدها ؛ سهيل حسين الفتلاوي (الدكتور) ، دبلوماسية النبي محمد ، ط1، دار الفكر العربي ، (بيروت ، 2001م)، ص62.
(2) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج3، ص71 ؛ الطبري ، تاريخ ،ج2، ص502-503؛ صالح أحمد العلي ، الدولة في عهد الرسول ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ، 1988م)، مج1،ص ص225-226 .
(3) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج4، ص 194؛ أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري ، تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، ط1 ، دار التراث ، (بيروت ، 1990م)، ج2، ص584 .
(4) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج4، ص 246 .
(5) حسن ، النظم الإسلامية ، ص274 .
(6) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، ط1، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، 2001م) ، ص40 ، حديث رقم : 71 .

وقد كانت مجالس العلم للنساء مثلما للرجال،فقد خصص لهن يوما(1)، وكان يدعو فيها إلى الفضيلة والخلق الحسن وكل ما من شأنه أن يجعل من الإنسان فرداً نافعا في المجتمع (2) .
فضلا عن ذلك فقد كان للأدب والشعر نصيب في تلك المجالس، إذ يحضرها الشعراء، ويلقون فيها القصائد الشعرية ، وتناقش فيها بعض الآراء حول تلك القصائد والدعوة إلى الاهتمام بالشعر ، وأثره في مواجهة الأعداء والتصدي لهم(3) .
وكانت وظيفة المجالس في عهد الخلفاء الراشدين (11-40هـ/632-660م) امتدادا لما كانت عليه في عهد الرسول فقد كانوا يتشاورون فيها في أمور الدولة ويبحثون فيها الشؤون العامة ، وفي ماله علاقة بسياسة الدولة الداخلية ، و في علاقاتها الخارجية فضلا عن القضايا الاقتصادية والمسائل الاجتماعية ، والجوانب العسكرية ، فعندما ارتدت بعض القبائل العربية عن الإسلام ، بعد وفاة الرسول ، شهد مجلس الخليفة أبي بكر الصديق (11-13هـ/632-634م) لقاءات ومناقشات حول هذا الأمر وما يمثله من تهديد خطير على كيان الدولة ومستقبل وجودها ، وكيفية التعامل مع هذا الظرف الصعب والتي أسفرت عن اتخاذ الخليفة قرارا بتوجيه الجيوش لإعادة القبائل المرتدة إلى الدخول في طاعة الدولة(4) ، ذلك القرار الذي أثبتت الوقائع أنه كان قرارا حكيما وصائبا ، فقد حققت هذه القوات نجاحا كبيرا في إخضاع تلك القبائل لدولة الخلافة وجعلت شبه الجزيرة العربية تحت قيادة واحدة(5) .

(1) ينظر : البخاري ، صحيح البخاري ، ص45 ، حديث رقم : 101 .
(2) ينظر : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم ، ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 2001م)، ص ص989- وما بعدها .
(3) محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، قرأهُ وشرحه : محمود محمد شاكر ، مطبعة مدني ، (القاهرة ، 1974م) ، ج1، ص ص100 - وما بعدها ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج5، ص ص120-121، ص161 .

(4) أحمد بن اسحق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، علق عليه ووضح حواشيه : خليل منصور ، ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1999م) ، ج2، ص ص87- وما بعدها ؛ الطبري ، تاريخ ، ج3 ،ص ص244- وما بعدها.
(5) العلي ، الدولة في عهد الرسول ، مج2 ، ص594 .

وكان للقضايا الاقتصادية حضور واضح في مجالس الخلفاء الراشدين ، فعلى سبيل المثال ، شهد مجلس الخليفة عمر بن الخطاب (13-23هـ/634-643م) لقاءات موسعة ومشاورات مكثفة مع عدد من كبار الصحابة ، بخصوص مسألة ملكية الأراضي التي فتحها المسلمون عنوة ومصير سكانها الأصليين(1) ، وبناءً على تلك اللقاءات والمشاورات اتخذ الخليفة قرارا بإبقاء تلك الأراضي في أيدي أهلها يستثمرونها ، ويدفعون عنها ضريبة الخراج(2).

وكان من وظائف مجالس الراشدين ، تشخيص المشاكل ودراستها التي تحتاج إلى المناقشة والتشاور من أجل وضع الحلول المناسبة لها ، ومن ذلك ما شهده مجلس الخليفة عثمان بن عفان (23-35هـ/643-655م) من مشاورات بخصوص جمع القرآن الكريم ، بعد ظهور الخلاف حول قراءة بعض آياته ، إذ أسفرت تلك المشاورات عن اتخاذ الخليفة قرارا بتشكيل لجنة من كبار الصحابة ، مهمتها جمع القرآن الكريم بنسخة موحدة ، وتوزيعها على الأمصار لتجنب ذلك الخلاف(3).

(1) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف ، (بيروت ،1987م)، ص371؛ اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص ص104-105 ؛ حمدان عبد المجيد الكبيسي (الدكتور) ، الخراج أحكامه ومقاديره ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ، (بغداد ، 1991م) ، ص ص78-79.
(2) أبو عبيد القاسم بن سلام ، الأموال ، شرحه : عبد الأمير علي مهنا ، ط1، دار الحداثة ، (بيروت،1988م)، ص68؛ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1989م) ، ص270؛ أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي ، أصول السرخسي ، تحقيق : أبي الوفاء الأفغاني ، مطابع دار الكتاب العربي ، (القاهرة ، 1372هـ)، ج1،ص301 .
(3) ابن شبه ، تاريخ المدينة المنورة ، ج3، ص992؛ أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن العربي ، العواصم من القواصم تحقيق في مواقف الصحابة، تحقيق : محب الدين الخطيب ، دار الثقافة ، (بغداد ، بلا ت) ، ص72 .

وكانت مجالسهم عبارة عن حلقات علمية ، يتم فيها تدارس مختلف العلوم ، فقد كان لمجلس الخليفة علي بن أبي طالب (35-40هـ/655-660م) دور كبير في الاهتمام بالقرآن الكريم وعلومه ، وتفسير آياته(1) .

وبقيام الدولة الأموية (41-132هـ/661-749م) وانتقال العاصمة إلى دمشق، ولكثرة الأحداث التي واجهتها والتطورات التي شهدتها على مختلف الصعد ،ومن اجل مواجهة ذلك ، وتدبير شؤون الدولة ، ورسم سياستها الداخلية والخارجية ، حرص الخلفاء الأمويون على عقد مجالس للتشاور وتبادل الآراء ، يشارك فيها رجال الدولة وأصحاب الرأي والعلماء ورجالات المجتمع ، ممن عرفوا برجاحة العقل وبعد النظر ، للاستئناس بآرائهم والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم(2) .

(1) الغزالي ،مقامات العلماء ، ص ص197-198 ؛ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر محمد السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط3، مطبعة المدني ، (القاهرة ، 1964م)، ص185.

(2) أحمد بن محمد بن أبي الربيع ، سلوك المالك في تدبير الممالك ، دراسة وتحقيق : الدكتور ناجي التكريتي ، ط1، مطبعة الهدف ، (بيروت ، 1978م) ، ص141؛ إحسان النص ، الخطابة في عصرها الذهبي ، دار المعارف ، (القاهرة ، 1963م) ، ص180.

الفصل الأول: الجوانب السياسية في مجالس الخلفاء

الخلافة

استحوذ موضوع الخلافة علــى حيــز واسع من مناقشات مجالس الخلفاء الأمويين،لأن مهمة الخلافة الأساسية حراسة الدين وسياسة الدنيا(1) .

ومنشأ تلك الحوارات يعود إلى ظهور تيارات فكرية وأحزاب سياسية طامعة في الحكم ومعارضة لبني أمية، وترى أن تسلمهم مقاليد الخلافة أمر غير شرعي ، كالخوارج والعلويين والزبيريين(2) .

فبعد أن تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة بعد أن تنازل الحسن بن علي (رضي الله عنهما) عام (41هـ/661م) ، نقل العاصمة إلى الشام ، فأصبحت دمشق مركزاً للخلافة(3) ، إذ شهدت مجالسه الكثير من المناقشات والأحاديث حول الخلافة ومن هو أولى بها ، اتسمت بالحرية والصراحة ، ففي أحد تلك المجالس ناقش سعد بن أبي وقاص معاوية بخصوص ما حدث بينه وبين علي بن أبي طالب وأيهما هو أولى بالخلافة ، إذ بيَّن سعد لمعاوية أن عليا أولى منه بها ، لان رسول الله قال له : ((أنتَ مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))(4) ، وقال : ((اللهمَّ من كنت مولاه فعلي مولاه))(5) ، عندها انتقد معاوية سعداً لموقفه الذي لم يكن منسجماً مع تلك الأقوال(6) .

(1) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص15؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مكتبة المثنى ، (بغداد ، بلا ت) ، ص191؛ حسن ، النظم الإسلامية ، ص2 .

(2) خالد جاسم الجنابي (الدكتور) ، آداب وتقاليد مجالس الخلفاء الأمويين وأثرها في الحياة الاجتماعية ،مجلة دراسات تاريخية ، العدد الأول ، السنة الثانية ، (بغداد ،2000م) ، ص61 .

(3) الطبري، تاريخ ، ج5، ص162؛ ل.أ. سيديو ، تاريخ العرب العام ، ترجمة : عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (القاهرة ، 1948م)، ص ص165-166 .

(4) مسلم ، صحيح مسلم ، ص939 ، حديث رقم :2404 .

(5) أحمد بن حنبل ، المسند ، ط 1،دار الحديث ، (القاهرة ، 1995م)، ج2 ، ص18، حديث رقم : 950؛ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، سنن الترمذي ، ط1 ، دارإحياء التراث العربي ، (بيروت ، 2000م)، ص 978، حديث رقم : 3722 .

(6) الغزالي ، مقامات العلماء ، ص ص211-212 ؛ عبد القادر بدران ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ط2، دار المسيرة ، (بيروت ، 1979م)، ج6، ص109 .

وبحضور عدد من بني هاشم ، بحث الخليفة معاوية مع عبد الله بن عباس (ت68هـ) قول بني هاشم إنهم أولى بالخلافة من غيرهم لقرابتهم من رسول الله ، و أن هناك نصوصاً يستندون إليها في ذلك ، فأخذ معاوية يقلل من أهمية شرط القرابة ، الذي رآه لا يرقى إلى مؤهلات المرشح الأخرى ، مثل الرضا والإجماع ، مبينا أنه لو كانت القرابة هي الأساس في تولي الخلافة دون الشروط الأخرى ، لطلبها العباس ابن عبد المطلب وهو أقرب الناس إلى رسول الله ، وما القرابة إلا أحدُ شروط تولي الخلافة ، فضلا عن الرضا والإجماع(1) . ثم أخذ معاوية يبين لهم أن الخلافة

تصلح لقرشي يجتمعون عليه ويبايعونه لثقتهم به ، ودفاعه عنها وقتاله من أجلها(2) ، ويبدو أن معاوية تحدث بهذه الرؤيةِ التي تتماشى و مصلحته السياسية، مستنداً في ذلكَ إلى قول رسولِ الله : ((الأئمة من قريش))(3) ، كما أراد أن يبين لهم أن إجماع المسلمين له دور في عملية انتخاب الخليفة ، فضلاً عن أن الخلافة لا تعتمد على تفويض إلهي(4) .
إلا أن عبد الله بن عباس أكد فضل القرابة ، وبين لمعاوية أنه لولا القرابة التي يدَّعونها ما قعد مقعده الذي هو فيه ، بقوله : ((ندَّعي هذا الأمر بحق من لولا حقه لم تقعد مقعدك هذا))(5).
ويبدو أن الخليفة معاوية ما أراد من هذا الحوار إلا أن يستتشف موقف بني هاشم ، وما كان يدور في خواطرهم من آراء وأفكار إزاء مسألة الخلافة .

(1) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، عيون الأخبار ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، (القاهرة ، 1963م)،ج1، ص5؛ مجهول، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده ، تحقيق : الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت ،1971م)، ص74 .
(2) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج1، ص5 .
(3) ابن حنبل ، المسند ، ج15 ، ص 33، حديث رقم :19665؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، طبع على مطبوعة ليدن ، بمطبعة بريل سنة 1888م ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، (النجف ، 1966م)، ص2 .
(4) صالح أحمد العلي (الدكتور) ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت ،1969م)، ص105.
(5) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج1، ص6؛ ينظر : مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ص76-77 .

وفي مجلس آخر تطرق الخليفة معاوية الى موضوع الخلافة مع عبد الله بن الزبير (ت73هـ) الذي كان يرى أنه أولى بالخلافة من معاوية لسابقة أبيه في الإسلام ، إلا أن معاوية الذي قلل من أهمية القرابة كشرط لتولي الخلافة في حواره مع عبد الله بن عباس ، برَّز هذا الشرط في نقاشه مع عبد الله بن الزبير ، مؤكدا على قرابته من رسول الله ، و ما على ابن الزبير إلا أن يعي أهمية ذلك(1) .
وفي مجلس ضم عدداً من كبار رجالات قريش ، حذر معاوية قريشاً من التنافس والتنازع حول الخلافة ، لأنه ربما يؤدي إلى خروجها منهم جميعا ، وذلك في تعقيب له على مناقشتهم لمسألة الخلافة وتطلعات البعض لها(2) . عندها أكد الحاضرون على ضرورة بقائها في قريش ، حتى لو تطلب الأمر استخدام القوة ضد من يحاول انتزاعها منهم، لذا ذكّرهم معاوية بالحروب التي خاضها من أجلها وما ترتب على ذلك من استحقاق لصاحبها(3) .
ويبدو أن الخليفة معاوية أراد أن يقول لقريش إن كنتم تريدون الاحتفاظ بالخلافة فيكم ، فتجنبوا التطلع لها ، واتركو إليَّ تدبير أمرها ، لضمان بقائها فيكم ، وإلا انتقلت إلى الطامعين فيها من غيركم .

كمابحث الخليفة معاوية مع جلسائه مسألة الخلافة وأهمية الاحتفاظ بها ، مبينا أن تمسكه بها لم يكن نابعا من فراغ ، وإنما كان مبنيا على أساس ما سمعه من رسول الله والذي فسره أنه قد وعده بالخلافة على أن يكون عادلا بالرعية ، بقوله له : ((يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله عزَّ وجلَّ واعدل))(4). فقد أراد معاوية أن يبين لجلسائه أن لديه سنداً شرعياً يدعم مشروعه السياسي بتوليه الخلافة، خاصة وأنه حاول جعل سياسته تتسم بالعدالة والنزاهة(5) .
ولما تولى يزيد بن معاوية الخلافة(60-64هـ/ 679-683م) حضر مجلسه أشراف الشام للتهنئة بتوليهِ

(1) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج4، ص ص92-93 .
(2) المصدر نفسه ، ج4، ص89 .
(3) المصدر نفسه ، ج4، ص ص 89-90 .
(4) ابن حنبل ، المسند ، ج13 ، ص 204، حديث رقم : 16872؛ ينظر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هيبة الله ابن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، دراسة وتحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر ابن غرامة العمروي ، دار الفكر ، (بيروت ، 1995م) ، ج59، ص108 .
(5) أحمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي ، ط4، مطبعة السعادة ، (مصر ، 1966م)، ص241 ؛ محمد عبد الحي محمد شعبان، صدر الإسلام والدولة الأموية،الأهلية للنشر والتوزيع ، (بيروت ، 1983م)، ص90 .

الخلافة والتعزية بوفاة معاوية، فكان تعظيم أمر الخلافة والتأكيد على أهميتها لأنها منصب كبير ومسؤولية جسيمة ، محورَ كلمات المتحدثين ، التي تضمنت إشارات سياسية ذات معانٍ بعيدة المدى ،وجد فيها المتحدثون فرصة للاعراب عن ولائهم لبني أمية عامة ولمشروع ولاية العهد خاصة(1).
وحين حضر عبد الملك بن مروان إلى مجلس الخليفة يزيد بن معاوية في حاجة ، فبعد أن قضاها له وخرج(2) بحث يزيد مع جلسائه موضوع الخلافة ، وتكهنات أهل الكتب بأن عبد الملك سوف يتولى الخلافة ، قائلاً : ((إن أهل الكتب يدّعون أن هذا يرث ما نحن فيه ،فإن كان كما قالوا فقد صانعناه،وإن لم يكن فقد وصلناه))(3) .
ويبدو أن الحديث في مثل هذا الموضوع ـ رغم حساسيته ـ من قبل الخليفة يزيد بن معاوية أمام جلسائه ، يعكس التحسب الكبير لموضوع تولي الخلافة حتى لو صدر من منجم .
أما مجالس الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/ 684-705م) فقد تحدثت هي الأخرى عن موضوع الخلافة ، إذ بحث عبد الملك مع جلسائه مسألة طلب الضحاك بن قيس(4) للخلافة ، محــاولا

(1) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد،الكامل في اللغة والأدب،عارضه بأصوله وعلق عليه:محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة،مطبعة نهضة مصر،(مصر ، بلا ت)، ج4،ص ص111-112؛ المسعودي،مروج الذهب،ج3، ص ص70-71؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري،الأوائل،ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1987م) ، ص100 ؛ أبو اسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، زهر الآداب وثمر الألباب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط1، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (القاهرة ، 1953م)، ج1، ص

ص53-54 ؛ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده ، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد ، ط3، مطبعة السعادة،(مصر،1963م)، ج2، ص155 .

(2) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي،نثر الدر،تحقيق:محمد علي قرنه،الهيئة العامة للكتاب، 1987م،ج3،ص37.

(3) المصدر نفسه ، ج3،ص37 .

(4) هو الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن ثعلبة بن وائل القرشي الفهري ، قيل له صحبة ، عينه معاوية أميرا على الكوفة ثم على دمشق ، قتل في معركة مرج راهط سنة (64هـ/683م) . (أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، أنساب الأشراف ، (القدس ، 1936م)، ج5،ص136؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، دار الفكر، (بيروت ، بلا ت) ، ج2، ص ص205-206، وهو بهامش كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني) .

إقناعهم بسوء تصرفه هذا وذلك بالحط من شخصيته والنيل من قدر أبيه(1). ومن الجدير بالذكر أن الضحاك ابن قيس لم يكن يريد الخلافة لنفسه،إنما كان يطلبها لعبد الله بن الزبير (2).

وحولَ موضوع الخلافة ودوران عمر بن عبد العزيز في فلكها ، بحث عبد الملك في مجلس له مع أبنائه، مسألة الخلافة إذ ناقشهم في الصفات والمميزات التي يتمتع بها عمر بن عبد العزيز ، والتي يرى أنها تؤهله لولايتها وأنه سيكون جديرا بها(3) .

وفي مجلس آخر ناقش عبد الملك خالد بن يزيد بن معاوية(4) في مسألة الخلافة واحتمال خروجها من بني أمية وانتقالها إلى العباسيين(5)، إن مثل هذا الحديث في مجلس عبد الملك والدولة الأموية ما زالت في أوج قوتها ، إنما يؤكد حالة خوف الأمويين وقلقهم من العباسيين ، إذ شعروا بنيّاتهم السياسية ومطامعهم بالخلافة، لكونهم أخطرَ خصومهم في تلك المرحلة .

وبما أن تولي الخلافة يعني ـ بأي شكل من الأشكال ـ انقضاء عهدٍ وابتداء عهد جديد فقد تولى الوليد ابن عبد الملك الخلافة سنة (86هـ/705م) فحضر المهنئون إلى مجلسه، وعبَّروا بهذه المناسبة بكلمات تضمنت إشارات سياسية واضحة عن إدراكهم لأهمية الخلافة ومكانتها وعظم مسؤولية من يتولاها ، (1) **ينظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،الحيوان،تحقيق:عبد السلام محمد هارون،دار الجيل،(بيروت،1988م)،ج1،ص26 .**

(2) ينظر: الطبري ، تاريخ ، ج5، ص531؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج3، ص477 .

(3) محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن منظور ، مختار الأغاني في الأخبار والتهاني ، تحقيق : عبد العزيز أحمد ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (القاهرة ، 1966م)، ج5، ص24 .

(4) هو خالد بن يزيد بن معاوية ، كان عالما شاعرا ، يعرف شيئا من علوم الطبيعة ، كان وليا للعهد من بعد مروان ابن الحكم إلا أن الأمر لم يجتمع له ، توفي سنة 90هـ/708م. (أبو عبد الله المصعب بن عبد الله المصعب الزبيري ، كتاب نسب قريش ، عني بنشره :إ. ليفي بروفنسال ،ط3، دار المعارف ، (القاهرة، بلا ت) ، ص129 ؛ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ، دقق أصوله وحققه : الدكتور أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، بلا ت) ، ج9، ص ص 85-86) .

(5) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص168 .

مما دفع الخليفة الوليد إلى زيادة عطاء من تكلم منهم(1) ، وربما قصد من وراء ذلك تشجيع بقية جلسائه على القول بمثل أقوالهم ، أو من أجل غايات دعائية وإعلامية .

وفي أحد مجالسه بحث الخليفة الوليد بن عبد الملك مع خالد بن يزيد وهشام بن عبد الملك موضوع الخلافة ، إذ بدا الوليد قلقا متخوفا من شخصية عبد الله بن محمد بن علي (2) ، خصوصا أنه يملك من الصفات ما يؤهله للمطالبة بالخلافة(3) ، لذا عرض عليهم فكرة سجنه لكي يأمن جانبه ، إلا أن خالد بن يزيد خفف من الأمر وأكد له عدم خطورته على الخلافة(4). ويبدو أن كلام خالد بن يزيد دفع الوليد إلى العدول عن فكرة سجنه ، لان المصادر لم تشر إلى ذلك فيما بعد.

ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة (99هـ/717م) وحضر مجلسه المهنئون، تضمنت كلماتهم إشارات سياسية واضحة كان تعظيم أمر الخلافة والتأكيدُ على أهميتها في المحافظة على وحدة الأمة محورَ تلك الكلمات التي أراد المهنئون من خلالها التعبير عن ولائهم وطاعتهم للخليفة(5) .

تطرق الخليفة عمر بن عبد العزيز مع جلسائه إلى موضوع الخلافة وعظم شأنها ، وتطلعه لها ، وكيف إنها كانت تمثل إحدى أماني نفسه التواقة ، قائلا : ((إن لي نفسا تواقة لم تزل تتوق إلى الإمارة فلما نلتها تاقت إلى الخلافة ، فلما نلتها تاقت إلى الجنة))(6) .

(1) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط4،دار الفكر ، (بيروت ، بلا ت) ، ج2، ص ص191-192 ؛ الآبي ، نثر الدر ، ج3،ص ص59-60 .

(2) هو عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب ، يكنى بأبي هاشم ، عالمٌ ثقة ، كان في الشام ، ومات في الحميمة في خلافة سليمان بن عبد الملك .(محمد بن سعد بن منيع ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، (بيروت ، 1957م)، ج5، ص ص 327-328 ؛ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ط2، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، 1993م)، ج3، ص260-261) .

(3) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص178 .

(4) المصدر نفسه ، ص179 .

(5) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1، ص195؛ ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج1، ص93 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج2، ص10؛ القيرواني ، زهر الآداب ، ج2، ص1008 .

(6) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج1، ص231 ؛ ينظر : زين الدين بن رجب الحنبلي ، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، دار الجيل ، (بيروت ، 1975م) ، ص261 0

وفي مجلس آخر ناقش عمر بن عبد العزيز أبا جعفر محمد بن علي (1) في موضوع الخلافة ، وبيَّن لعمر أن تولي الخلافة إما أن يكون بإرث من رسول الله أو بوصية منه أو بإجماع المسلمين 2) . ويبدو أن الخليفة عمر بن عبد العزيز أراد من ذلك النقاش الوقوف على رأي العلويين في مسألة الخلافة ، وطريقة تفكيرهم تجاهها .

ولما حضر زيد بن علي(3) مجلس الخليفة هشام بن عبد الملك بخصوص الأموال التي ادعى خالد بن عبد الله القسري(4) أنه أودعها عنده(5) ، بحث معه هشام مسألة الخلافة وما بلغه عنه من تطلعه إليها ورغبته فيها ، مبينا له عدم صلاحيته لها لانه ليس من أبناء الحرائر (6) .

(1) هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أحد أعلام الأمة علما وعملا وشرفا وسيادة ، كثير رواية الحديث ، توفي بالمدينة سنة (117هـ/735م) وقيل غير ذلك . (ابن سعد، الطبقات ، ج5، ص ص320 –وما بعدها ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج9، ص321) .
(2) أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الازدي ، تاريخ الموصل ، تحقيق : الدكتور علي حبيبة ، دار التحرير للطبع والنشر ، (القاهرة ، 1967م)، ص5 .
(3) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ،أمه أم ولد ، كان من عظماء أهل البيت،خرج على هشام بن عبد الملك في الكوفة سنة(122هـ/739م).(ابن قتيبة،المعارف،ص126؛أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي،جمهرة أنساب العرب،تحقيق:عبد السلام محمد هارون، ط3،دار المعارف،(مصر،1971م)، ص54) .
(4) هو خالد بن عبد الله بن يزيد القسري،من بجيلة ولي مكة للوليد بن عبد الملك ثم ولاه هشام العراق سنة (105هـ/723م)قتله يوسف بن عمر سنة(126هـ/743م).
(الطبري،تاريخ،ج7،ص254؛ابن الأثير،الكامل، ج4،ص370؛ابن كثير،البداية والنهاية،ج10،ص19) .
(5) اليعقوبي ، تاريخ ، ج2،ص227؛ الطبري ، تاريخ ، ج7، ص ص160-161 .
(6) الجاحظ،البيان والتبيين،ج1،ص310؛أبو علي المحسن بن علي التنوخي،المستجاد من فعلات الأجواد ، تحقيق:محمد كرد علي،مطبعة الترقي،(دمشق،1946م)،ص251؛أبو سعيد بن سعيد بن نشوان الحميري،الحور العين، تحقيق: كمال مصطفى ، مطبعة السعادة ، (القاهرة ، 1948م)، ص189؛ مجهول ، العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، (بريل ، 1869م)، ج3، ص93؛ جمال الدين أحمد بن علي الحسني المعروف بابن عنبه،عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، عني بتصحيحه : محمد حسن آل الطالقاني ، ط2،المطبعة الحيدرية ،(النجف،1961م)، ص ص255-256.

ويبدو أن الخليفة هشام كانت لديه معلومات تشيرُ إلى أن زيداً بن علي يتطلع إلى الخلافة ويتمناها، لذا استغل وجوده في مجلسه ، للوقوف على مدى صحة تلك الأخبار من جهة ، والحط من عزمه والتقليل من شأنه في أعين جلسائه من جهة أخرى(1) .

ويبدو أن مخاوف هشام كانت في محلها ، فعندما ذهب زيد بن علي إلى الكوفة ، أعلن الثورة فيها على الأمويين بعد أن بايعه أهلها على ذلك (2) . ويرى بعض الباحثين أن زيدا لم يخرج طمعا بالخلافة ، وأن ما قام به كان رد فعل على تصرف الخليفة تجاهه إذ لم يحتمل ما قام به الخليفة هشام من طعن فيه، وتجريح لكرامته على الرغم من نسبه الشريف أمام الحاضرين(3) .

ومن الجدير بالذكر أن بني أمية كانوا لا يولون الخلافة لأبناء الإماء، فمسلمة بن عبد الملك معَ كلِّ ما يتمتع به من صفات قيادية تؤهله لهذا المنصب إلا أنه أبعد عنها لكونه ابن أمه(4) .

وفي مناسبة أخرى بحث الخليفة هشام مع جلسائه موضوع الخلافة ، وما يروج له بنو العباس من ادعاء بأن الخلافة ستؤول إليهم ، مبينا أن الأحاديث التي ينشرونها والآراء التي يعرضونها ما هي إلا مجرد أوهام وأقاويل يصعب تصديقها(5) . والظاهر أن الدعوة العباسية في هذه الحقبة ، قد نجحت في بث أفكارها وآرائها بين الناس، مما دفع الخليفة هشاماً إلى طرح هذا الموضوع الخطير ومناقشته في مجلسه .

وتناول الخليفة الوليد بن يزيد مع جلسائه مسألة الخلافة والظروف التي قد تؤدي إلى انتقالها إلى العباسيين ، إذ بدا الخليفة في هذا المجلس وكأنه أكثر قناعة وتصديقا ممن كان قبله لهذه المسألة ، التي بدأت ملامحها تلوح في الأفق(6) .

(1) علي حسني الخربوطلي (الدكتور) ، الدولة العربية الإسلامية ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (القاهرة ، 1960م)، ص304 .

(2) اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص228؛ الحميري ، الحور العين ، ص189؛ ابن الأثير ، الكامل ،ج4،ص446.

(3) محمد أبو زهرة ، الإمام زيد ، ط1، دار الفكر ، مطبعة أحمد علي مخيمر ، بلا ت ، ص49 .

(4) أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ، المعمرون والوصايا ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (القاهرة، 1961م)، ص166 ؛ محمود شيت خطاب ، مسلمة ابن عبد الملك بن مروان ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثامن والعشرون ، (بغداد،1977م) ،ص120.

(5) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص140؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج5، ص329.

(6) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص169-170 .

ولاية العهد

أصبحت الخلافة في العصر الأموي وراثية وهي أن يعهد الخليفة إلى الابن أو لمن يسميه من الأسرة الحاكمة بالخلافة من بعهده ، والمعروف أن هذا النظام أوجده الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، عندما عهد لابنه يزيد بالخلافة من بعهده ، مخالفا بذلك الطريقة التي تم بها انتخاب الخلفاء الراشدين ، الذين تولوا الخلافة إما عن طريق الانتخاب المباشر أو العهد أو الشورى ، فلم يعهد أحد منهم بالخلافة لابنه أو قريبه(1) .

وبما أن معاوية كان أول من أوجد نظام الوراثة في الحكم(2) ، فان مجالسه شهدت لقاءات مكثفة ومناقشات واسعة ومستفيضة مع كبار رجالات الدولة وشخصيات المجتمع وأصحاب الرأي ، للوقوف على آرائهم حول هذه المسألة وأبعادها ، كما أراد من خلالها ، شرح رؤيته لولاية العهد والمبررات التي دفعته لذلك ، ففي مجلس له مع عائلته ، تم التطرق الى مسألة ولاية العهد ، حين سأله ابنه يزيد ـ وكان صبيا حينها – أن يعهد له بالخلافة من بعده ، فأثار هذا السؤال إعجاب معاوية ووعده خيرا(3) . فرغبة يزيد في تولي الخلافة وتطلعه إليها ، ربما هي التي شجعت الخليفة معاوية على تقبل فكرة ولاية العهد التي عرضها عليه فيما بعد في أحد مجالسه والي الكوفة المغيرة بن شعبة (4) . الذي سوّغها بأنها تجنب الأمة الفرقة والاختلاف، وتحقن دماء أبنائها وتحافظ على وحدتها مستشهدا بما حدث من خلافات بعد مقتل

(1) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ص22-23؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ص210-211؛ ثابت إسماعيل الراوي ، تاريخ الدولة العربية خلافة الراشدين والأمويين ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد ، 1969م)، ص128؛ عواد مجيد الاعظمي (الدكتور)، الأمير مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، (بغداد ، 1980م)، ص97.

(2) توماس ارنولد ، الخلافة ، ترجمة : جميل معلى ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، بلا ت ، ص9 ؛ Encyclopedia International ,crolier , Printed U.S.A

., 1964,Vol.3 , P.513

(3) ابن الأثير ، الكامل ، ج3، ص465؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج8، ص230 .

(4) هو المغيرة بن شعبة الثقفي ، صحابي ، شهد فتوح الشام واليرموك والقادسية ، ولي البصرة ثم الكوفة ، ومات فيها وهو أميرها سنة (50هـ/670م) .(ابن قتيبة ، المعارف ، ص167 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ،ج8، ص50-51 ؛ أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب ، الشهير بابن قنفذ القسطيني ، الوفيات ، تحقيق : عادل نويهض ، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، 1971م)، ص63) .

الخليفة عثمان بن عفان الذي ما يزال ماثلا أمام الناس ، مرشحا يزيد لهذا المنصب(1) .

وهذا ما جعل معاوية يبدي قبولا غير معلن لهذه الفكرة ، متسائلا عن كيفية تنفيذها ، عندها أظهر المغيرة استعدادا لمناقشة الفكرة مع أهل الكوفة وإقناعهم بها ، على أن يقوم زياد(2) بالمهمة نفسها في البصرة، مبينا له أنه لا يوجد بعد أهل هذين المصرين من مخالف لهذا الأمر، فأمر معاوية المغيرة باستطلاع آراء أهل الكوفة وفي ضوءِ ذلك يقرر ما يجب فعله(3) .

ومن جانبه أخذ معاوية يبحث مع جلسائه في أسباب تفرق المسلمين واختلافهم ، إذ رأى بعضهم أن سبب اختلافهم الأحداث التي جرت بينهم كمقتل الخليفة عثمان بن عفان ومعركتي الجمل وصفين(4) ، إلا أن معاوية بين لجلسائه أن سبب اختلاف المسلمين وتنافسهم هي الشورى التي جعلها عمر ابن الخطاب في ستة أشخاص ، مما جعل كل واحد منهم يتطلع لها ويتمناها لنفسه ويتمناها قومه له، ولو أنه عهد لشخص واحد كما فعل أبو بكر الصديق ما كان هناك خلاف(5) .

وبهذا أراد معاوية أن يبين أن ولاية العهد هي الضمان الأكيد والوحيد للحفاظ على وحدة الأمة من الفرقة والاختلاف، وأن التنافس على الخلافة هو سبب انقسام المسلمين (6) .

(1) أبو محمد عبد الله مسلم بن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة (منسوب له) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، (مصر ، 1963م)، ج1، ص165 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج1، ص ص61-62 ؛ محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي ، لطف التدبير ، تحقيق : أحمد عبد الباقي ، مطبعة السنة المحمدية، (القاهرة ، 1964م)، ص35 .

(2) هو زياد بن أبي سفيان ، الذي كان يسمى زياد بن أبيه وزياد بن أمه قبل أن يستلحقه معاوية بابي سفيان ، كان من عمال علي بن أبي طالب تولى العراق لمعاوية توفي سنة(53هـ/672م) . (ابن قتيبة ، المعارف ، ص195؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج1، ص ص567-568؛ ابن قنفذ ، الوفيات ، ص66) .

(3) الآبي ، نثر الدر ، ج4، ص125-126 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج3، ص ص 349-350؛ الشيخ محمد الخضري بك ، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، ط8، المكتبة التجارية الكبرى ، (مصر ، 1382هـ)، ج2، ص116.

(4) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج5، ص31 .

(5) المصدر نفسه ، ص ص 31-32 .

(6) حسن ، النظم الإسلامية ، ص37 .

فأخذ معاوية يعقد الاجتماعات لغرض عرض فكرة ولاية العهد ، ولمعرفة ردود أفعال الآخرين تجاهها، ففي مجلس حضره وجوه أهل الشام عرض معاوية مسألة ولاية العهد كفكرة عامة دون تسمية مرشح بعينه ، مبررا ذلك بكبر سنه وتقدمه بالعمر ، فوافق أهل الشام على هذه الفكرة

ورحبوا بها ، مرشحين عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لهذا المنصب(1) ويبدو أن معاوية تعمد إهمال تسمية المرشح لولاية العهد ، إذ أراد أن يستقري رأيَ أهل الشام ليمهد لخطوته التالية ، والمتمثلة بالعهد لابنه يزيد، لذا فإن ترشيح أهل الشام لعبد الرحمن بن خالد لولاية العهد ، لم يجد قبولا من معاوية ، بل إن وجود مثل هذه الشخصية ربما سبب له مشكلات في حالة تنفيذ مشروعه ، لذا فان بعض المصادر أشارت إلى تخلصه منه(2) .

والظاهر أن معاوية كان مقتنعا بهذه الفكرة ويرغب في تنفيذها ، لذا وقع اختياره على ترشيح ابنه يزيد لولاية العهد(3) ، فعقد لذلك مجالس كثيرة ، أراد من خلالها معرفة ردود أفعال الناس التي جاءت متباينة بين الرفض والتأييد ، والنصح بعدم الاستعجال والدعوة إلى التريث في تنفيذ هذا المشروع ، ففي أحد تلك المجالس دعاه عبد الله بن الزبير إلى التفكير الطويل والعميق في نتائج هذا القرار قبل اتخاذه ، ونصحه بالتريث وعدم الاستعجال في تنفيذه(4) .

(1) أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي ، المنمق في أخبار قريش ، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه : خورشيد أحمد فارق ، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، (الهند، 1964م)، ص449 ؛ العسكري ، الأوائل ، ص159 .

(2) ابن حبيب ، المنمق ، ص449؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، جمهرة الأمثال ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ، ط2، دار الجيل ، (بيروت ، 1988م)، ج2، ص385؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ، حققه وقدم له : الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، 1995م) ، ج4، ص39 .

(3) جون جابوت غلوب ، الفتوحات العربية الكبرى ، تعريب وتعليق : خيري حماد ، منشورات مكتبة المثنى ، (بغداد ، بلا ت) ، ص651 .

(4) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1، ص308؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج5، ص ص 110-111 .

وجاء في رواية أخرى أن عبد الله بن الزبير أبدى تحفظا تجاه مشروع معاوية بإسناد ولاية العهد إلى إبنه يزيد ، مبينا أن هناك من هو أولى من يزيد بهذا الأمر(1) .

وفي مجلس له حضره ابنه يزيد بحث معاوية مسألة ولاية العهد مع سعيد بن عثمان بن عفان(2) ، الذي عاتب معاوية على تعيين ابنه يزيد وليا للعهد ، وتجاوزه لشخصه ، مبينا أحقيته بها وأفضليته على غيره (3) ، فبين له معاوية أنه على الرغم من أفضليته على يزيد في الأب وإلام إلا أنه لا يُفضِّل على ابنه يزيد أحدا (4) ، عندها تدخل يزيد وأنهى النقاش ، بإقناع معاوية بتولية سعيد بن عثمان ولاية خراسان(5)، وهذا يشير إلى إدراك يزيد لخطورة خصومه وقدرته على استرضائهم وإبعادهم في آن معا .

ويبدو أن معاوية كان ينظر للأمر من زاوية حبه لابنه وقناعته في قدرته وكفاءته على إدارة الدولة ، ولاسيما بعد تدريبه على التعامل مع الرعية ، وإشراكه معه في حل بعض القضايا التي واجهته(6) .

وبعد تلك اللقاءات والمشاورات التي شهدتها مجالس الخليفة معاوية التي استطاع من خلالها سبر نفوس طائفة من المؤيدين والمعارضين والوقوف على آرائهم ، جد في نهاية الأمر على تولية يزيد العهد ، فكتب إلى ولاته على الأمصار أن يبعثوا إليه الوفود ، ليطلعهم على مشروعه ويناقشهم

فيه(7) . فحضر إلى مجالسه الخطباء والشعراء ورجــالات المجتمــع ،الذين ركزوا في كلماتهم على أهمية ولاية العهد

(1) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج4، ص91 .

(2) هو سعيد بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، ولاه معاوية خراسان ، غزا سمرقند ، مات بالمدينة . (مؤرج بن عمرو السدوسي ، كتاب حذف من نسب قريش ، نشره : الدكتور صلاح الدين المنجد ، مطبعة المدني، (القاهرة ، بلا ت) ، ص33 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج5، ص ص 305-306) .

(3) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ، 1977م) ، ج6، ص348 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج8، ص82 .

(4) الطبري،تاريخ،ج5،ص305؛أبو محمد أحمد بن اعثم الكوفي،الفتوح،ط1،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،حيدر آباد الدكن،(الهند،بلا ت)،ج4،ص ص184-185؛ابن الأثير،الكامل،ج3،ص ص355-356 .

(5) الطبري ، تاريخ ، ج5، ص305 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج3 ، ص356 .

(6) الطبري ، تاريخ ، ج5، ص305 ؛ فريال بنت عبد الله بن محمد الهديب ، صورة يزيد بن معاوية في الروايات الأدبية ، ط1، دار أجا ، (الرياض ،1995م) ، ص37 .

(7) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (منسوب له) ، ج1، ص165-وما بعدها ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج3، ص351؛ النص ، الخطابة في عصرها الذهبي ، ص180 .

الحفاظ على وحدة الأمة ، وتجنيبها الفرقة والاختلاف ، وحقن دماء أبنائها ، وأن مثل هذا المنصب يحتاج إلى شخص حازم ذي علم وحلم ورأي ثاقب، وأن يزيداً هو الشخص المناسب لهذا الأمر(1) .

وفي مجلس آخر وبحضور الأحنف بن قيس(2) ، وصف أحد الجالسين إسناد ولاية العهد ليزيد بأنه الضمان للأمة من الضياع(3) ، ولما طلب معاوية من الأحنف أن يبدي رأيه ، أجابه قائلا : ((أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صدقت))(4) . إن حرص معاوية على سماع رأي الأحنف في هذا الموضوع ـ على ما يبدو ـ نابع من رغبة كبيرة في احترام القوى القبلية ومعرفة رأيها ، ليتبين له بشكل واضح معرفة مؤيديه من مخالفيه في ذلك الأمر ، ولا سيما الأحنف شيخ تميم ومن المشهود لهم بالحكمة وسداد الرأي .

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها معاوية في توثيق قضية ولاية العهد ، إلا أن فكرته المتمثلة بحصر الخلافة في عائلته ، بتعيين ابنه يزيد وليا للعهد ، جوبهت بمعارضة شديدة من أهل الحجاز ولاسيما الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر(5) ، الأمر الذي اضطر معاوية للسفر إلى الحجاز حاجاً والاجتماع بالمعارضين والتباحث معهم بالأمر ،إذ شهد مجلسه مناقشة حادة ،لم يتوصل فيها الطرفان إلى اتفاق (6)مما دفع معاوية إلى حسم الموضوع في مسجد المدينة في أجواء من الصمت تشبه الرضا(7) .

(1) ابن الأثير ، الكامل ،ج3،ص352 .

(2) هو الأحنف بن قيس بن حصن التميمي ،يكنى بأبي بحر ، سيد تميم ،أحد الأشراف ،يضرب به المثل في الحلم ،شهد صفين مع علي مات في الكوفة .(ابن سعد، الطبقات ،ج7،ص93؛ابن

قتيبة ،المعارف ، ص24 –وما بعدها).
(3) المبرد ،الكامل ،ج1،ص48؛الإسكافي ،لطف التدبير ، ص34 .
(4) المبرد ،الكامل ،ج1،ص48.
(5) الطبري ،تاريخ ،ج5،ص303؛ زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي ،تاريخ ابن الوردي ،ط2،المطبعة الحيدرية ،(النجف ،1969 م)،ج1،ص227؛أحمد إبراهيم الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنيين الأول والثاني للهجرة ،ط1،مطبعة الرسالة ، (القاهرة ،1968م)، ص414.
(6) الطبري ،تاريخ ،ج5،ص ص303-304، ابن الأثير ، الكامل ،ج3،ص354؛حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري ،تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ،دار صادر ،(بيروت ،بلات) ،ج2،ص295 .
(7) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ،تحقيق :أكرم ضياء العمري ،ط1،مطبعة الآداب ، (النجف الأشرف،1967م) ،ج1،ص ص202-203 ،ابن الجوزي ،المنتظم ،ج4،ص105.

إن معارضة هذه النخبة لتعيين يزيد وليا للعهد ، نابعة من عدم قناعتهم بيزيد اولاً ، وخوفهم من إقامة معاوية لنظام ملكي يعتمد على مبدأ الوراثة ثانياً ، وهو نظام يتناقض ومبدأ الشورى الذي كان قائماً في عهد الخلفاء الراشدين (1) .

وبما أنهم لم يعطوا معاوية موافقة صريحة على تولية يزيد العهد ،لذا ناقش أمرهم في مجلس خاصٍ مع ابنه يزيد ، فأرشده إلى الطريقة التي عليه أن يتعامل بها معهم عند توليه الخلافة ،والتى كانتْ تنم عن بعد نظر ومعرفة عميقة بالرجال(2) .

وعلى الرغم من كل ما بذله معاوية من جهد في توطيد مسألة ولاية العهد ،لكي يجنب الأمة الفرقة والاختلاف وسفك الدماء حسب اعتقاده ، إلا أن الأحداث أثبتت عكس ذلك ،والذي حرص عليه معاوية لم يتم ، وحدث الخلاف وسفكت الدماء(3) .

ومن الملاحظ أن يزيداً بعد أن تولي الخلافة ، سار علىالمبدأ نفسه الذي جاء به إلى الخلافة إذ قرر هو الآخر تعيين ابنه معاوية ولياً للعهد ، فبحث الأمر في مجلسه مع حسان بن مالك بن بحدل الكلبي(4) الذي أشار على يزيد بالمضي قدماً في تنفيذ مشروعه وتعيين ابنه معاوية ولياً للعهد (5) .وإن مناقشة يزيد للأمر مع حسان بن مالك ربما لما لقبيلته كلب من مكانة وثقل سياسي وعسكري في بلاد الشام ، كما يبين مدى اهتمام الخليفة ورغبته في الاعتماد على قبائل اليمن ، ومشاركتها السياسية في مثل هذه المسائل المهمة المتمثلة بولاية العهد وقيادة الأمة .

وفي أحد مجالسه بحث الخليفة معاوية الثاني مسألة ولاية العهد مع عدد من بني أمية ، حين طلبوا منه أن يسمي ولياً للعهد من بينهم ، مبيناً لهم أنه سيتركها شورى بينهم يختارون لها أجدرهم بها وأقدرهم عليها ، لأنه لم يجد الشخص المناسب الذي لديه من الصفات ما يؤهله لتولي هذا المنصب

(1) محمد ضياء الدين الريس ،عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ،ط2،مطابع سجل العرب ،1969م،ص21.
(2) الطبري ، تاريخ ،ج5،ص ص322-323؛ ابن الأثير ،الكامل ،ج3،ص ص368-369؛ابن الوردي ،تاريخ ابن الوردي ،ج1،ص227 .
(3) الطبري ،تاريخ ،ج5،ص ص452-453؛ الريس ،عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ،ص21.

(4) هو حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف الكلبي ، أبو سليمان ، أمير بادية الشام ، كان أحد قادة معاوية في صفين. (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، اشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه : شعيب الارنؤوط ،ط1، مؤسسة الرسالة ،(بيروت ،1981م)، ج3،ص537) .

(5) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، أنساب الأشراف ،(القدس، 1938م) ،ج4-ق2،ص63 .

قائلاً:((ابتغيت لكم رجلاً مثل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه حين فزع إليه أبو بكر فلم أجده ، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر فلم أجدها،فانتم أولى بأمركم، فاختاروا له من أحببتم)) (1) .

ويبدو أن عزوف معاوية الثاني عن تولي مسؤولية الخلافة،جعله يحجم عن اختيار شخص لولاية العهد،فهو في زمن لا يجد فيه رجالاً كالذين كانوا على عهدِ أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)، ففضل أن يتولى غيرُه هذه المسؤولية،فأوجد فراغاً سياسياً،أدى إلى التنافس والتنازع حول منصب الخلافة.

ولما قرر الخليفة مروان بن الحكم (64-65هـ/ 683-684م) تولية العهد لولديه عبد الملك وعبد العزيز من بعده ، ناقش الموضوع في مجلسه مع حسان بن مالك الكلبي ، إذ لم يُخفِ مروان قلقه من بعض الصعوبات التي ربما تواجهه في تنفيذ مشروعه ، والمتمثلة بخالد بن يزيد وعمرو بن سعيد(2) ، اللذين يعتقدان أنهما أحق بولاية العهد من غيرهما حسب مقررات مؤتمر الجابية(3) ، فتعهد له حسان بن مالك بأنه سيكفيه أمرهما(4) ، فلما كان المساء وحضر الناس إلى مجلس مروان بن الحكم وفيهم خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد عرض حسان مسألة ولاية العهد ، ملمحا إلى ما يقوله خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد ، داعيا من في المجلس إلى مبايعة عبد الملك وعبد العزيز بولاية العهد ، فقام الجميع فبايعوهما(5) .

ولما أراد الخليفة عبد الملك بن مروان تنحية أخيه عبد العزيز عن ولاية العهد، وإسنادها إلى ابنه الوليد شهدت مجالسه لقاءات واسعة ومكثفة مع كبار رجال الدولة وأصحاب الرأي فيها، حول الموضـوع

(1) الطبري ، تاريخ ، ج5، ص ص530-531 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج3، ص468 .

(2) هو عمرو بن سعيد بن العاص الأموي،الملقب بالأشدق،كان خطيبا بليغا، تولى مكة والمدينة في خلافة معاوية ويزيد،قتله عبد الملك بن مروان سنة(70هـ/689م).(السدوسي،كتاب حذف من نسب قريش،ص35؛أبو عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني،الأنساب،اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه:الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط1،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،حيدر آباد الدكن،(الهند،1963م)،ج1، ص348).

(3) عقد بني أمية مؤتمر في الجابية سنة(64هـ/683م)،بعد وفاة معاوية الثاني للبحث في أمر الخلافة،فكانت من أهم مقرراته أن يتولى مروان بن الحكم الخلافة، ثم خالد بن يزيد من بعده،ثم عمرو بن سعيد من بعده،على أن تكون إمارة دمشق لعمرو بن سعيد وإمارة حمص لخالد بن يزيد.(الطبري،تاريخ،ج5،ص 537؛ابن الجوزي،المنتظم،ج7،ص254).

(4) البلاذري، أنساب الأشراف،ج4-ق2،ص137؛الطبري،تاريخ،ج5، ص610؛ابن الأثير،الكامل، ج4،ص12.

(5) الطبري ، تاريخ ، ج5، ص610 ؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، بلا ت ، ج1، ص172 .

وكيفية تنفيذه ، وكخطوة أولى نحو هدفه ، بحث الموضوع مع عامر الشعبي(ت 103هـ) وكلفه بمهمة الذهاب إلى مصر وإقناع عبد العزيز بالتنازل عن ولاية العهد(1). مفضلا أسلوب التفاوض والحوار في تنفيذ مشروعه ، إلا أن إخفاق الشعبي في مهمته(2) ، اضطر عبد الملك إلى طلب ذلك بصورة مباشرة من عبد العزيز عن طريق رسالة وجهها إليه بهذا الخصوص ، إلا أن عدم نجاحه في مسعاه(3) ، جعله يفكر في خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد ، إذ شهدت مجالس عبد الملك الكثير من اللقاءات والمشاورات مع عدد من المقربين إليه ، الذين تباينت آراؤهم حول موضوع الخلع ، فقبيصة بن ذؤيب(4) حذر عبد الملك من تنفيذ تلك الخطوة لما لها من نتائج وأبعاد ، فاقتنع عبد الملك برأيه ، ووعده بغض النظر عن الموضوع (5) . إلا أن مناقشته للأمر مع جليسه روح بن زنباع الجذامي(6) ، كادت تفسد جهود قبيصة ، لان روح ابدى تأييدا وحماسا شديدين لفكرة خلع عبد العزيز عن ولاية العهد(7) غيرَ أن وفاة عبد العزيز المفاجئة ، جعلت الطريق مفتوحة أمام عبد الملك لتنفيذ مشروعه بتولية العهد لابنيه الوليد وسليمان(8) .

(1) اليعقوبي ، تاريخ ، ج2، ص ص195-196 .

(2) المصدر نفسه ، ج2، ص196 .

(3) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص414 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4، ص235 .

(4) هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي المدني كان على خاتم عبد الملك وصاحب سره ، ومن المقربين لديه، توفي سنة (86هـ/705م).(ابن سعد،الطبقات،ج5،ص176؛شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي،تذكرة الحفاظ،دار إحياء التراث العربي،(بيروت،1975م)،ج1،ص60؛ابن كثير،البداية والنهاية،ج9،ص78).

(5) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص414 ؛ أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري ، الوزراء والكتّــاب ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، (القاهرة ، 1938م)، ص34 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج1، ص173 .

(6) هو روح بن زنباع الجذامي ، أبو زرعة ، اختلف في صحبته ، كان والي فلسطين من قبل عبد الملك وكان من المقربين إليه ، توفي سنة (84هـ/703م) . (ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج1، ص ص525-وما بعدها ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج9، ص ص 58-59) .

(7) الطبري،تاريخ،ج6،ص412؛ابن الأثير، الكامل ، ج4، ص234 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج1، ص173 .

(8)ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (منسوب له) ، ج2، ص ص54-55؛ الطبري ، تاريخ ، ج6، ص ص234-235؛ الجهشياري ، الوزراء والكتّــاب ، ص34 .

والظاهر أن عبد الملك بتولية العهد لابنيه من بعده ، لم يأخذ العبرةَ من تجربته مع أخيه عبد العزيز وما كاد يحدث بينهما لولا وفاة الأخير ، فالخليفة الوليد بن عبد الملك ، حاول أيضا خلع سليمان عن ولاية العهد ، وإسنادها لابنه عبد العزيز(1) ، لذلك شهدت مجالسه مشاورات ومناقشات حول الموضوع، ففي أحد تلك المجالس بحث الخليفة الوليد مع عمر بن عبد العزيز الأمر ، الذي أبدى معارضته لهذه الفكرة ، لأنها مخالفة للبيعة التي أعطاها لسليمان(2) .وعلى

الرغم من الجهود التي بذلها الوليد في هذا الاتجاه، إلا أن تأييد هذه الفكرة كان مقتصرا على بعض الشخصيات كالحجاج بن يوسف الثقفي(ت95هـ)وقتيبة بن مسلم الباهلي (ت96هـ)وبعض خواصه(3)،لذا نصحه أحد جلسائه أن يتراجع عن تنفيذ هذا المشروع،وأن يسير باتجاه إقناع سليمان بأن يسند ولاية العهد لعبد العزيز بن الوليد من بعده،على أن يكون ذلك في مجلس عام وأمام الناس ، لغرض إحكام البيعة له(4)،عندها أرسل الوليد إلى سليمان ليناقشه في الأمر،غيرَ أن تأخر سليمان عن المجيء ، دفع الوليد إلى اتخاذ قرار بالذهاب إلى سليمان في فلسطينَ وخلعه من ولاية العهد ، لكن وفاة الوليد سنة (96هـ/714م) حالت دون تنفيذ ذلك(5).

وفي أحد مجالسه تباحث الخليفة سليمان بن عبد الملك مع رجاء بن حيوة(6)مسألة ولاية العهد،ومن يصلح لتولي هذا المنصب،وبعد مناقشة تداولا خلالها أسماء عدد من بني أمية ومميزات كل واحد منهم،قرر

(1) **الطبري،تاريخ،ج6،ص498؛ابن الأثير ،الكامل ، ج4، ص292 ؛ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج9، ص 174 .**

(2) **السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ص229-230 ؛ عبد العزيز سيد الأهل ، الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ، ط3،دار العلم للملايين ، (بيروت ،1969م)، ص78 .**

(3) **الطبري ، تاريخ ، ج6، ص498-499؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4، ص292 .**

(4) **الطبري ، تاريخ ، ج6، ص499 .**

(5) **المصدر نفسه ، ج6، ص499؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4، ص292 .**

(6) **هو رجاء بن حيوة أبو نصر ، تابعي جليل ، كان من رجال كندة في الشام وفقهائها ، كان مستشارا لبعض خلفاء بني أمية ، توفي سنة (112هـ/730م) . (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، الإشتقاق، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، (مصر ، بلا ت) ، ص368؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج1، ص118) .**

الخليفة سليمان إسناد ولاية العهد لعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك من بعده(1). والظاهر أن هذا القرارَ جاءَ نتيجة للمشورة التي قدمها رجاء بن حيوة .

وناقش الخليفة يزيد بن عبد الملك مع عدد من بني أمية مسألة ولاية العهد ، وذلك عندما قرر إرسال الجيوش للتصدي لحركة يزيد بن المهلب سنة (101هـ/719م)(2) ، إذ اقترحوا عليه أن يعهد من بعده لعبد العزيز بن الوليد ، بحجة تفويت الفرصة على أهل العراق فيما لوا أشاعوا موت الخليفة ، الأمر الذي ربما يؤثر على معنويات الجند(3) .

ويبدو أنهم أرادوا الاستفادة من الظروف السياسية المحيطة بهم وإقناع يزيد بن عبد الملك بان يعهد لعبد العزيز بن الوليد بالخلافة من بعده . فبلغ الخبر مسلمة بن عبد الملك ، فناقش الخليفة يزيد بن عبد الملك في الموضوع مبديا معارضته لإسناد ولاية العهد لعبد العزيز بن الوليد ، مرشحا هشام بن عبد الملك ومن بعده الوليد بن يزيد ـ والذي كان صبيا حينها ـ فوافق يزيد على ذلك الاقتراح وعهد لهما بولاية العهد(4). ويبدو أن الظروف السياسية آنذاك اضطرت الخليفة يزيد بن عبد الملك للموافقة على ذلك ، إذ إنه ندم على إسناد ولاية العهد لهشام بعد أن بلغ ابنه(5) .إن معارضة مسلمة لإسناد ولاية العهد إلى عبد العزيز بن الوليد وترشيحه لهشام ربما تعود الى ما كان يلمسه في هشام من مؤهلات لمثل هذا المنصب ، والذي أثبتتت الأحداث أنه كان أهلا له لما يمتلكه من قدرات سياسية وإدارية عالية(6) .

(1) السجستاني ، المعمرون والوصايا ، ص ص166-167؛ الطبري ، تاريخ ، ج6، ص550؛ محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، (بيروت ، بلا ت) ، ص129 ؛ عبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، وقف على طبعه وتصحيحه : مكي السيد جاسم ، مكتبة المثنى ، (بغداد ، بلا ت) ، ص ص 18-19 .

(2) الطبري،تاريخ،ج6،ص499؛نافع توفيق العبود (الدكتور)،آل المهلب بن أبي صفره ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، ط1، مطبعة الجامعة ، (بغداد، 1979م)، ص ص110-وما بعدها .

(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج5،ص176؛ أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، الأغاني ، تحقيق : الأستاذ عبد أ.علي مهنا وسمير جابر ، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر ، (بيروت ،1986م) ، ج7 ، ص6 .

(4) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5،ص177؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4،ص347 .

(5) الطبري ، تاريخ ، ج7، ص209 ؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبرفي أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، (بيروت،1979م) ، ج3، ص80 .

(6) الطبري ، تاريخ ، ج7، ص203 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج3، ص199 .

ولما أراد الخليفة الوليد بن يزيد إسناد ولاية العهد لولديه الحكم وعثمان من بعده ، عرض الموضوع في مجلسه على أصحاب الرأي والمقربين إليه ، إذ أشار عليه بعضهم ، بعدم المضي في تنفيذ هذا المشروع لصغر سنهما(1) ، كما عارض هذا الأمر والي العراق خالد بن عبد الله القسري، إلا أن تلك المعارضة لم تثنه من تنفيذ مشروعه ، فعقد لهما بالخلافة من بعده(2). الأمر الذي لقي معارضة بين أوساط العامة ، تلك المعارضة التي ناقشها الخليفة الوليد بن يزيد في مجلسه مع أحد المقربين منه ، مبررا إصراره على تولية العهد لولديه لخشيته من أن يأتي من يسيء معاملتهما ، كما عومل هو عندما كان وليا للعهد(3) ، تلك المعاملة التي كان سببها ـ على ما يبدو ـ سلوك الوليد بن يزيد وتصرفاته(4) .

وفي مجلس له تناول الخليفة يزيد بن الوليد مع عدد من خاصته والمقربين إليه مسألة ولاية العهد ومن يصلح لها ، وذلك خلال مرضه الذي مات فيه ، مرشحا عبد الله بن عمر بن عبد العزيز لهذا المنصب ، لما يتمتع به من احترام وتقدير كبيرين عند أهل الشام والعراق ، إلا أن كاتب ديوان الخاتم رشح إبراهيم بن الوليد مبينا أنها رغبة بني أمية ، الأمر الذي رفضه الخليفة يزيد ، وللحالة المرضية السيئة للخليفة افتعل كاتب الديوان كتاباً على لسان الخليفة بتعيين إبراهيم بن الوليد وليا للعهد(5) .

إن ترشيح الخليفة يزيد بن الوليد لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز لولاية العهد آخذا بنظر الاهتمام رأي الناس فيه نابعٌ من رغبته في استقرار الأوضاع في الشام والعراق لان رضاهم ربما يؤدي إلى تلك النتيجة.

(1) الطبري ، تاريخ ، ج7، ص232؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4، ص479 .

(2) الطبري ، تاريخ ، ج7، ص232؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4، ص479 .

(3) الأصفهاني ، الأغاني ،ج7، ص82 .

(4) اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص229 ؛ الطبري ، تاريخ، ج7، ص209 ؛ عبد المجيد محمد صالح الكبيسي، عصر هشام بن عبد الملك ، مطبعة سلمان الأعظمي، (بغداد ،1975م)، ص ص 94- وما بعدها .

(5) الجهشياري ، الوزراء والكتّـاب ، ص70 ؛ الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ص59-60؛ بدران ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج2، ص206 ..

حركات المعارضة السياسية

شهد العصر الأموي العديد من حركات المعارضة السياسية ، التي اتجه معظمها إلى رفع السلاح بوجه الدولة الأموية ، نجم عن ذلك توقف الفتوحات على بعض الجبهات من حين لآخر، كما ألحَقت هذه الحركات بالأمة أضرارا جسيمة ، وسببت لها حرجا كبيرا(1) .

وقد طرقت تلك الحركات أبواب مجالس الخلفاء بقوة ، فشهدت مناقشات مسهبة تتعلق بأهداف تلك الحركات والإجراءات الواجب اتخاذها بإزائها ، ففي سنة (51هـ/670م) شهد مجلس الخليفة معاوية لقاءات مكثفة مع عدد من أصحاب الرأي وشخصيات المجتمع حول حركة حجر بن عدي(2) واصحابه بعد أن بعث بهم والي العراق زياد بن أبي سفيان إلى معاوية مع شهادة اهل الكوفة عليهم بالتمرد والعصيان(3) ، تلك اللقاءات التي أراد منها معاوية ـ على ما يبدو ـ معرفة رد فعل تلك الشخصيات حول هذه القضية ، إذ استشارهم في كيفية التعامل معها، فرأى بعضهم أن حلها يكون بتشتيت شمل هذه المجموعة وتفريقهم في قرى الشام(4) . تردد معاوية في اتخاذ أجراء حاسم ضدهم في بادئ الأمر ثم قرر إطلاق سراح قسم منهم وقتل الباقين ، ومنهم حجر بن عدي(5) ، على الرغم من النقاش المعمق والصريح الذي دار بين معاوية ومالك بن هبيرة السكوني(6) الذي ناشد معاوية أن يعفوَ عن حجر(7) .

(1) رشدي عليان (الدكتور) ، الإسلام والخلافة ، ط1، مطبعة دار السلام ، (بغداد ، 1976م)، ص75؛ عدنان علي الفراجي ، الحركات المعارضة للخلافة الأموية ، مطبعة الاشعاع ، (بغداد ،1990م) ، ص3 .

(2) هو حجر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين الكندي ، يقال له صحبه ، شهد صفين مع علي ابن أبي طالب () . (ابن سعد ، الطبقات ، ج6،ص217؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج1، ص256) .

(3) الطبري ، تاريخ ، ج5، ص272 ؛ يوسف بن محمد بن إبراهيم البياسي ، الأعلام في الحروب الواقعة في صدر الإسلام ، نسخة مصورة بالفوتستات في مكتبة المجمع العلمي العراقي، الرقم (293-294)،ج1، ورقة 71أ .

(4) الطبري ، تاريخ ، ج5، ص272 .

(5) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص224؛ الطبري ، تاريخ ، ج5، ص ص272-وما بعدها ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج3، ص35 .

(6) هو مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم بن الحرث السكوني ، ويقال الكندي ، قيل له صحبه ، كان ممن شهد فتح مصر ، توفي في خلافة مروان بن الحكم . (ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج3، ص377 ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج3، ص ص 357-358) .

(7) الطبري ، تاريخ ، ج5، ص274 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج3، ص335 .

والظاهر أن إصرار معاوية على قتل حجر بن عدي ، كان نابعا من رغبته في حسم موضوعه ، وذلك لتخوفه منه ، معتقدا أن تركه ربما يؤدي إلى ظهور حركة تكون خسائرها وتداعياتها أشد وقعا على المسلمين وأعظم من تبعات قتل حجر وبعض أصحابه(1) .
وفي هذا الإطار بحث معاوية في مجلس آخر موضوع قتله لحجر مع عبد الرحمن بن الحارث بن هشام(2) ، مبعوث عائشة (رضي الله عنها) ، الذي عاتب معاوية على قتله حجرا منتقدا تصرفه هذا الذي لا يتناسب و ما اتصف به من حلم ، قائلا : ((أين غاب عنك حلم أبي سفيان ؟ قال معاوية : غاب عني حين غاب عني مثلك من حلماء قومي ، وحمّلني ابن سمية(3)فاحتملت))(4) .
إن ما دار في هذا المجلس من حوار يثير تساؤلا هو : أ إن حلم معاوية فعلا لم يتسع لهذه القضية أم أن قضية حجر أكبر من الصفح؟ لذا يبدو أن معاوية أراد أن يقول لمنتقديه أنكم فقط تتكلمون ، دون مشاركة فعالة في حل ما يواجهه من مشكلات . والظاهر أن معاوية بدهائه المعهود أراد أن يظهر اهتمامه الكبير بوجهة نظر عبد الرحمن بن الحارث ومكانته عنده من أجل استمالته إليه ليكون صوته إلى جانبه ويرمي باللوم في نتائج هذا الموضوع على والي العراق (زياد) الذي وصفه بابن سمية في هذا المقام ، من أجل تحميله وزر ما حصل .
وبعد استشهاد الحسين بن علي سنة (61هـ/680م) ، في معركة الطف، بعث والي العراق عبيد الله بن زياد أهل بيت الحسين مع رسل إلى يزيد بن معاوية في دمشق،حيث شهد مجلسه وصفا لما

(1) الطبري ، تاريخ ، ج5، ص278؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج3، ص ص13-14 ؛ أجناس جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة :محمد يوسف موسى وآخرون ، ط2، دار الكتاب العربي ، (مصر ، بلا ت) ، ص82 .
(2) هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، تابعي واحد فقهاء المدينة . (ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج2، ص246 ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج3، ص66) .
(3) يقصد بذلك زياد بن أبي سفيان ، لان أمه اسمها سمية . (ابن قتيبة ، المعارف ، ص195 ؛ جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ، تاريخ الحكماء من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، (لايبزك ، 1903م)، ص161) .
(4) الطبري ، تاريخ ، ج5، ص279؛ ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج3، ص337 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج3، ص14 .

حدث، قدّمه أحد رسل عبيد الله ، أوضح فيه ما جرى منذ قدوم الحسين بن علي إلى الكوفة ، والمفاوضات التي جرت بين الطرفين وكيف انتهت بمعركة كان نتيجتها استشهاد الحسين بن علي وعدد من أهل بيته وأصحابه(1) ، فلما سمع يزيد بن معاوية ذلك، قال: ((ويحكم ، قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة ، أما والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه ، رحم الله أبا عبد الله))(2). ولم يصل يزيد الرسول الذي جاء بالخبر(3) ، بل قيل إنه قتله كما تشير بعض المصادر المتأخرة(4) .
ومما تقدم من حوار ونقاش يتبين أن يزيداً أراد أن يؤكد لجلسائه أنه لم يأمر بقتل الحسين بن علي ولم يعلم بما حدث إلا بعد وقوعه ، وأن فعل عبيد الله بن زياد الخاطئ كان نتيجة تصرف شخصي منه ، ليثبت ليزيد كفاءته وحسن طاعته(5) ،إلا أن ذلك لا يُعفِي يزيدَ من تبعات ومسؤولية ذلك الأمر الخطير ، الذي أُرتكب بحق آل بيت النبي .

ولما علم الخليفة يزيد بن معاوية بخبر تمرد أهل المدينة عليه ، وخلعهم طاعته سنة (62هـ/681م) ، شهد مجلسه لقاءات مع كبار رجال الدولة ، حاول يزيد من خلالها منع تطور الأحداث في المدينة ووصولها إلى ما لا تحمد عُقباه ، والعمل على حل الأزمة حلا سلميا ، من ذلك بحثه لـلأمر مع النعمان بن

(1) الطبري ، تاريخ ، ج5، ص459-460؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج3، ص436 ؛ الديار بكري ، تاريخ الخميس، ج2، ص299 ؛ عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ، بلا ت ، ج3، ص ص72-73 .

(2) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص261 ؛ ينظر: الطبري ، تاريخ ، ج5، ص460؛ محمد بن علي بن محمد ابن العمراني ، الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق وتقديم ودراسة : الدكتور قاسم السامرائي ، (لايدن،1973م)، ص54؛ ظهير الدين علي بن محمد بن الكازروني ، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق الدكتور : مصطفى جواد ، مطبعة الحكومة ،(بغداد،1970م) ، ص109؛ كمال الدين ابو البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة ، 1958م) ، ج1، ص60.

(3) الطبري ، تاريخ ، ج5، ص460 .

(4) أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت ،1988م)، ج1، ص67 .

(5) الطبري ، تاريخ ،ج5، ص462 ؛ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي ، سؤال في يزيد بن معاوية، تحقيق : الدكتور صلاح الدين المنجد ،ط3، دار الكتاب الجديد ، (بيروت،1976م) ، ص15 ؛ الريس ، عبدالملك والدولة الأموية ، ص ص106-107 .

بشير الأنصاري(1) ، وتكليفه بمهمة الذهاب إلى المدينة وإقناع أهلها بالتراجع عن موقفهم ،ودعوتهم إلى الهدوء ولزوم الطاعة(2) . إلا أن النعمان بن بشير لم ينجح في مهمته هذه ، لعدم استجابة أهل المدينة لدعواته ، على الرغم من تحذيره لهم من عاقبة موقفهم هذا(3) .

ولما تطورت الأحداث في المدينة بطرد أميرها عثمان بن محمد بن أبي سفيان وحصار بني أمية في دار مروان بن الحكم ، تفاعل الخليفة مع الحدث وشهدت مجالسه لقاءات مع العديد من الشخصيات المهمة ، منهم عمرو بن سعيد الذي اطلعه يزيد على أوضاع المدينة وتطوراتها طالبا منه تولي قيادة الجيش الذي سيوجهه إلى هناك (4) ، إلا أن عمراً بن سعيد اعتذر عن القيام بهذه المهمة لما لها من تبعات وأبعاد(5) . ويبدو أن اختيار يزيد لعمرو بن سعيد ، لتولي قيادة الجيش المتوجه إلى المدينة ، كان لمعرفة الأخير بتلك البلاد عندما كان واليا عليها ، ولخبرته بطبيعة أهلها .

وبرفض عمرو بن سعيد تولي تلك المهمة،استدعى يزيد مسلم بن عقبة المري(6)،إلى مجلسه للتداول معه بهذا الشان(7)،حيث أسند إليه قيادة ذلك الجيش ، فدخل المدينة بالقوة وأخذ البيعة من أهلها ليزيد(8).

شهدت مجالس الخليفة عبد الملك بن مروان الكثير من اللقاءات و المشاورات بخصوص حركات المعارضة التي قامت في عهده،وسبل مواجهتها،ففي أحد المجالس بحث عبد الملك مع وجوه بني أميـة (1) **هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري ، كان كريما جوادا ، تولى الكوفة لمعاوية ثم أميرا على حمص لمعاوية ويزيد ، قتل بعد معركة مرج راهط . (ابن قتيبة ، المعارف**

، ص167 ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج3، ص ص550-552؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج3، ص559) .
(2) الطبري ، تاريخ ، ج5، ص481 .
(3)البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج4-ق2، ص32 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج5، ص481 .
(4) الطبري ، تاريخ ، ج5، ص483 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج3، ص455 .
(5) الطبري،تاريخ،ج5،ص483؛ابن الأثير،الكامل،ج3،ص455؛ العصامي،سمط النجوم ، ج3، ص ص88-89 .
(6) هو مسلم بن عقبة المري ، شهد صفين مع معاوية ، قاد جيش يزيد في وقعة الحرة سنة (63هـ/ 682م) ، مات خارج مكة . (خليفة بن خياط ، تاريخ ، ج1، ص178؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، (الكويت ،1960م) ، ج1، ص67) .
(7)الطبري ، تاريخ ، ج5، ص483 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج3، ص455 .
(8) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج4-ق2، ص33 ؛ الازرقي ، أخبار مكة المشرفة ، ج2، ص18 ؛ مهند ماهر جاسم ، حركة أهل المدينة المناهضة لخلافة يزيد بن معاوية سنة 63هـ، المجلة العلمية لجامعة تكريت – العلوم الإنسانية ، المجلد(4) العدد(1) ،1997م، ص128 .

مسألة تعاظم أمر الزبيريين وبسط نفوذهم على مساحة واسعة من أراضي الدولة الإسلامية،مبديا قلقه من احتمال مهاجمتهم للشام(1)،إذ أبدى الحاضرون استعدادهم لمواجهة الموقف،إذ تم الاتفاق على إرسال جيش إلى العراق لمواجهة مصعب بن الزبير،على أن يتولى قيادته عبد الملك شخصيا(2).وكان موقف الأمويين حرجا في هذه الحقبة أمام تزايد نفوذ الزبيريين،مما دفعهم إلى إرسال قوات لمواجهة مصعب،وبقيادة الخليفة شخصيا حيث اتجه إلى العراق،والتقى بمصعب وقتله في معركة دير الجاثليق(3)،سنة (71هـ/690م)(4) .

وبعد القضاء على حركة الزبيريين بقتل عبد الله بن الزبير في مكة على يد الحجاج بن يوسف سنة (73هـ/692م)(5) ، التقى عبد الملك مع عدد من أنصارهم وناقشهم في أسباب خروجهم عليه ووقوفهم إلى جانب آل الزبير ، ففي أحد المجالس ناقش عبد الملك أحدهم في الدوافع وراء انضمامه للزبيريين وعدائه لبني أمية ، فلم يتعلل بأكثر من سوء حظه(6) .

ولما حضر الشاعر إسماعيل بن يسار(7) وكان أحد اتباع آل الزبير ، إلى أحد مجالس عبد الملك وأراد أن ينشد شعرا ،منعه عبد الملك مذكرا إياه بموالاته للزبيريين ووقوفه إلى جانبهم ، ودفاعه بشعره عنهم، إلا أن إسماعيل بن يسار أكد لعبد الملك بأنه لم يكن أكثر من شاعر مضحك ، عندها سمح له بالإنشاد فمدح عبد الملك وأبناءه(8) .

(1) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص310 .
(2) المصدر نفسه ، ص311 .
(3) دير الجاثليق : وهو دير قديم البناء ، يقع على الحد بين آخر أرض السواد وأول أرض تكريت . (شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : أحمد زكي باشا ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة ،1924م)،ج1، ص308) .
(4) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص ص156- وما بعدها ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج4، ص ص104- وما بعدها .

(5) البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج5، ص368؛ الطبري ، تاريخ ،ج6، ص187 .
(6) الآبي ، نثر الدر ، ج4، ص137؛ العصامي ، سمط النجوم ، ج3، ص167 .
(7) هو إسماعيل بن يسار ، مولى تميم ، من شعراء العصر الأموي ، كان يفخر بقومه العجم ، انقطع إلى الزبيريين حين خرجوا على الأمويين ، ثم تقرب إلى الأمويين . (الأصفهاني ، الأغاني ،ج4،ص400؛ عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية ، دار الطليعة ، (بيروت ،1962م)، ص ص30-31).
(8) الأصفهاني ، الأغاني ، ج4، ص ص412 - 413.

ويبدو أن إسماعيل بن يسار قد قلل من قدر نفسه في مجلس عبد الملك ، عندما أبدى هذا الاعتذار مظهرا بعده عن المبدئية ، متناسيا مواقفه السابقة وأشعاره في مدح الزبيريين .

و شهدت مجالس عبد الملك لقاءات ، ومناظرات مع بعض الخوارج(1) ، بخصوص الآراء والأفكار التي يتخذونها ، ففي أحد تلك المجالس ناقش عبد الملك خارجياً في آراء الخوارج ومبادئهم ، متمنيا عليه التراجع عنها ، إلا أن الرجل دافع بكل صلابة عن فكره الخارجي رافضا التخلي عنه مهما كان الثمن(2) . ولذلك ظل الخليفة عبد الملك راغبا على الدوام بمناقشة رجالات الخوارج محاولا إقناعهم بالعدول عن أفكارهم ومواقفهم ، لأنه يعلم أن فيهم صلابة على الموقف لذلك نجده يبحث مع خارجي آخر من أتباع شبيب(3) ، في الأفكار والمقاصد التي تضمنها قوله :

ومنا سويدٌ والبطينُ وقعنب ومنا أميرُ المؤمنين شبيب(4)

إلا أن الخارجي بين لعبد الملك أن قوله لم يكن هكذا وانما قال:(ومنا أميرَ المؤمنين شبيب)(5).
ومعنى كلامه ((ومنا يا أميرَ المؤمنين شبيب)). فمن خلال تلاعبه بحركات الإعراب،بإبداله حركة الضم إلى

(1) الخوارج : كل من خرج عن الأمام الذي اتفقت عليه الجماعة ، وهم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب إثر قبوله التحكيم ، يقولون بتكفير أصحاب الكبائر وأن الإمامة جائزة في غير قريش . (أبو محمد علي بن حزم الأندلسي ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مؤسسة الخانجي ، (مصر ، بلا ت) ، ج2، ص113؛ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، مؤسسة الخانجي ، (مصر ، بلا ت)، ج1، ص155 ، وهو بهامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ؛ محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني ، الفرق الإسلامية ، تحقيق : سليمة عبد الرسول ، مطبعة الارشاد ، (بغداد ، 1973م)، ص62) .
(2) المبرد ، الكامل ، ج3، ص ص231-232 .
(3) هو شبيب بن يزيد بن نعيم بن شيبان الخارجي ، يكنى أبا صحارى ، خرج في منطقة الموصل ، ادعى الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين ، هزم عدة جيوش للحجاج ، غرق في نهر الدجيل سنة (77هـ/696م) . (ابن قتيبة ، المعارف، ص232؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج9، ص22) .
(4) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج2،ص155؛ التنوخي ، المستجاد، ص244؛ الآبي ، نثر الدر ، ج4، ص111.
(5) أبو الحسن محمد بن عمران العبدي،العفو والاعتذار،تحقيق:الدكتور عبد القدوس أبو صالح،مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،(الرياض،1981م)،ج1،ص188 ؛ التنوخي ،المستجاد،ص244،إبراهيم بن محمد البيهقي،المحاسن والمساوئ،دار صادر،

(بيروت،1960م)،ص134؛ أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الاصفهاني، محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، منشورات مكتبة الحياة ، (بيروت ، 1961م)، ج1، ص109 .

النصب، غيَّر معنى البيت الشعري، وبذلك تخلص من الإحراج أمام الخليفة،وبيَّن أن قوله لم يكن يتضمن الاعتراف بالخلافة لشبيب(1).

ولما أعلن عبد الرحمن بن الأشعث(2) تمرده في سجستان(3) سنة (81هـ/700م) حين خالف الحجاج في أمور ذات علاقة بالشؤون الإدارية والعسكرية لمنطقته ، كتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره بالأمر(4) ، إذ بعث الكتاب بيد رسول حضر إلى مجلس الخليفة عبد الملك وسلمه الرسالة وأطلعه على طبيعة ذلك التمرد وما وصلت إليه الأحداث من تطورات ، الأمر الذي أقلق عبد الملك(5) . فدعا إلى مجلسه خالد بن يزيد بن معاوية وأطلعه على كتاب الحجاج ، وقلقه إزاء تطور الأحداث في سجستان ، غيرَ أن خالداً بن يزيد هوَّن الأمر على عبد الملك وقلل من مخاوفه تجاه هذا الحدث قائلا : ((يا أمير المؤمنين : إن كان هذا الحدث من قبل سجستان ، فلا تخفه ، وان كان من قبل خراسان تخوفته))(6) . والظاهر أن خالداً بن يزيد كان على دراية باتجاهات بعض الزعماء والولاة وما يهدد الدولة الأموية من حركات في بعض أقاليمها(7) .

ويبدو أن قلق عبد الملك من حركة ابن الأشعث نابع من القدرات العسكرية والشهرة والنسب الذي يتمتع به ابن الأشعث،فضلا عن كثرة أتباعه وحسن تسليحهم،وما يؤدي إليه تصادم الطرفين من إراقةٍ لدماء المسلمين .

ولما اشتد أمر ابن الأشعث ، عرض عبد الملك الموضوع في مجلس آخر على وجوه أهل الشام ، الذين

(1) العبدي،العفو والاعتذار،ج1،ص188؛البيهقي،المحاسن والمساوئ،ص134؛ السلطاني،رسوم دار الخلافة،ص256 .

(2) هوعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، كان أميرا ، من القادة الشجعان ، له وقائع مع الحجاج ابن يوسف الثقفي ، قتل سنة (85هـ/704م) . (الطبري ، تاريخ ، ج6، ص ص389- وما بعدها؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4، ص226) .

(3) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة ، اسم مدينتها زرنج ، تقع جنوب هراة . (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الله الرومي الحموي ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا ت) ، ج5، ص53) .

(4) الطبري ، تاريخ ،ج6، ص339 ؛ عبد الله فياض ، محاضرات في تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، ط1، مطبعة الارشاد ، (بغداد ، 1967م)، ص ص95-96 .

(5) ابن اعثم ، الفتوح ، ج7، ص126 .

(6) الطبري ، تاريخ ،ج6، ص339 .

(7) فاضل خليل ابراهيم،خالد بن يزيد،سيرته واهتمامته العلمية،دار الحرية للطباعة،(بغداد ،1984م)،ص 79.

أظهروا ميلهم للحل السلمي ، ودعوا إلى البحث في أسباب المشكلة ومعالجتها ، واقترحوا عليه عزل الحجاج عن المشرق إن كانت تلك هي رغبة أهل العراق ، حقنا لدماء المسلمين(1) . عندها قرر عبد الملك إرسال أخيه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك إلى العراق على رأس جيش من أهل الشام ، وطلب منهما التفاوض مع ابن الأشعث لوقف القتال وفق شروط كان في

مقدمتها عزل الحجاج عن العراق وتولي محمد بن مروان مكانه ، ومساواتهم بأهل الشام في العطاء ، على أن يتولى ابن الأشعث أي بلد يشاء ما دام حيا(2) ، إلا أن اهل العراق رفضوا هذه الشروط ، فجرت بين الطرفين معارك عدة انتهت بهزيمة ابن الأشعث وهربه إلى بلاد الهند(3) .
وعلى الرغم من القضاء على حركة ابن الأشعث ، إلا أن مجالس الخليفة عبد الملك ، شهدت الكثير من اللقاءات مع عدد من أتباع تلك الحركة ، خاصة مع بعض الذين هربوا من الحجاج والتجأوا إليه ، تركزت على أسباب تلك الحركة ودوافع انضمامهم لها فعفا الخليفة عن قسم منهم وقتل القسم الآخر(4) .
وللخطورة التي شكلتها تلك الحركة على عبد الملك وما تركته في نفسه من أثر ، ظلت أحداثها ماثلة في مجالسه ، ففي أحد المجالس ذكّر عبد الملك محمد بن شهاب الزهري(5) بموقف أبيه وعمه من حركة ابن الأشعث ، ودورهما فيها ، قائلا : ((كان أبوك وعمك نعَّاقينِ في فتنة ابن الأشعث))(6) ، فذكّره الزهري بعفوه عنهما ، وتجاوزه عن ما قاما به(7)

(1) **الطبري ، تاريخ ، ج6، ص**347 .
(2) **المصدر نفسه ، ج6، ص**347**؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4، ص**204 .
(3) **الطبري ، تاريخ ، ج6، ص ص**347-348 **؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج3، ص**127**؛ عبد الأمير عبد حسين دكسن ، الخلافة الأموية ، ط1، دار النهضة العربية ، (بيروت ، 1973م) ، ص**251 .
(4) **العبدي ، العفو والاعتذار ، ج2،ص ص 507-وما بعدها .**
(5) **هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله الزهري ، أبو بكر ، أحد أعلام أئمة الإسلام ، الفقيه المحدث ، توفي سنة (124هـ/741م) . (السدوسي ، كتاب حذف من نسب قريش ، ص64؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص130 ؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، صفة الصفوة ، تحقيق : محمود فاخوري ، ط1، مطبعة النهضة الجديدة ، (القاهرة ، 1970م) ، ج2،ص136) .**
(6) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج2، ص**16 .
(7) **المصدر نفسه ، ج2، ص**16 .

وفضلا عن ذلك فإن تداعيات هذه الحركة انتقلت إلى مجلس الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي شهد نقاشا بخصوص بعض أتباعها ، فلما قبض الحجاج بن يوسف على الفضل والقاسم ابني عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن عبد المطلب ، وكانا من أتباع ابن الأشعث ، خشي بنو هاشم أن يقتلهما الحجاج ، فكلموا فيهما عمر بن عبد العزيز وكان أميرا على المدينة آنذاك ، والذي استجاب لمطلبهم وكتب إلى ابن أخته عبد العزيز بن الوليد في أمرهما ، طالبا منه أن يشفع لهما عند أبيه الوليد(1) ، فاستجاب لطلب خاله، فحضر عبد العزيز إلى مجلس أبيه فعرض عليه ذلك الأمر ، فكتب الوليد إلى الحجاج يأمره أن لا يؤذيهما وأن يطلق سراحهما(2) .
ويبدو أن الوليد أراد من وراء ذلك مراعاة منزلة بني هاشم خاصة وأهل المدينة عامة ، تقديرا لهم وحفظا لمكانتهم .
وبحضور أشراف الشام ومن بينهم عمر بن عبد العزيز ، ناقش الخليفة الوليد خارجياً في آراء الخوارج وأفكارهم ، ومواقفهم تجاه الخلفاء الأمويين وأقوالهم فيهم ، فعبّر الخارجي عن رأيه فيهم

بكل جرأة ، إذ نعت كلاَ من معاوية وعبد الملك والوليد بالعتوِّ والظلم والجبروت ، عندها أمر الوليد بقتله(3) .

وبعد انصراف جلسائه بحث الوليد مع عمر بن عبد العزيز قضية قتل الخارجي ومدى صوابها إذ بين له عمر أن هذا الأجراء لم يكن صائبا ، ولا مناسبا ، وكان العفو عنه أو سجنه أفضل من قتله ، لان السجن ربما يعطيه فرصة ليراجع نفسه ، فضلا عن أن العفو عنه يقلل من واقعية اتهاماته(4) .

وتماشيا مع هذا النهج ، وبعد توليه للخلافة اتخذ عمر بن عبد العزيز الحوار اسلوباً لحل القضايا السياسية التي تواجهه ، فعلى الرغم من الانتصار الذي حققه على الخوارج الذين كان يقودهم شــوذب

(1) العبدي ، العفو والاعتذار ، ج2، ص ص368-369 .

(2) المصدر نفسه ، ج2، ص ص369-370 .

(3) أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، نسخها وصححها وعلق عليها : أحمد عبيد، ط6،عالم الكتب ، (بيروت ،1984م)، ص120 .

(4) المصدر نفسه ، ص ص120-121 .

الخارجي(1) ، فقد دعاه إلى الحوار والمناقشة ، فأرسل شوذب رجلين من أتباعه ليتحاورا مع الخليفة(2) ، إذ شهد مجلس عمر بن عبد العزيز مناقشة تعد من أبرز المناظرات التي شهدتها مجالس الخلفاء الأمويين ، والتي تركزت على مسألة الخلافة ومن هو أولى بها ، والتي انتهت باقتناع الخوارج واعترافهم بان عمر على صواب(3) .

إن عمر بن عبد العزيز فضل استخدام الحوار اسلوباً للتعامل مع الخوارج ، بدل الحرب والقتال ، لما تبين له أنهم لم يخرجوا من أجل مكاسب مادية ، وإنما كانوا يبتغون الآخرة ، إلا أنهم ضلوا الطريق(4).

وإيمانا منه بصواب منهج الحوار اسلوباً ناجحاً في معالجة الكثير من القضايا والوقوف على حقيقة أمرها ، استدعى عمر بن عبد العزيز إلى مجلسه غيلان الدمشقي(5) ورجلان كانا يقولان بالقدر وناقشهما في أقوالهما وادعاءاتهما ، ودعاهما إلى فهم الإسلام بشكل أعمق ، والتمييز بين أصوله وفروعه (6) .

(1) هو بسطام اليشكري المعروف بشوذب الخارجي ، خرج في عهد عمر بن عبد العزيز ، بمكان قرب الكوفة، قتل في عهد يزيد بن عبد الملك سنة (101هـ/720م) . (الطبري ، تاريخ ، ج6، ص ص555-577؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4، ص317) .

(2) الطبري ، تاريخ ، ج6،ص ص555-556 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4، ص317 .

(3) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ص113-115؛ الطبري ، تاريخ ، ج6، ص556 ؛ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ، جامع بيان العلم وفضله ، الطباعة المنيرية ، (مصر ، بلا ت)، ج2، ص ص105-106 ؛ مجهول ، العيون والحدائق ،ج3، ص ص43-46 ؛ عماد الدين خليل ، ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ط3، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، 1987م) ، ص96 .

(4) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج2، ص216 .

(5) هو غيلان بن مسلم الدمشقي ، أبو مروان ، تنسب إليه الفرقة الغيلانية من القدرية ، كان يقول إن القدر خيره وشره من العبد ، ويرى أن الخلافة تصلح في غير قريش وكل من قام بالكتاب والسنة ولا تثبت إلا بإجماع الأمة ، قتله هشام بن عبد الملك . (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ط2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، (بيروت ، 1971م)، ج4، ص424 ؛ خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ط4، دار العلم للملايين ، (بيروت ، 1979م)، ج5 ، ص124) .

(6) جمال الدين محمد بن محمد بن نباته المصري ، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المدني ، (القاهرة ، 1964م)، ص290 .

وقد أقر غيلان بضعف حجته أمام عمر بن عبد العزيز حين سُئل عن أشد الناس عليه ، فأجاب قائلا: ((عمر بن عبد العزيز كأنما يلقن من السماء))(1) .

إلا أن مواصلة غيلان وأتباعه بالقول بالقدر ، وحرصا من الخليفة عمر بن عبد العزيز على التعامل مع هذه المسألة ومعالجتها بأسلوب الحوار ، دعاهم إلى مجلسه لمناظرة إياس بن معاوية(2) ، الذي ناقش غيلان في بعض المسائل ، وتبين له من خلالها عجز غيلان وضعف حجته ، أمام حجج إياس وأدلته(3) .

إن هدف عمر بن عبد العزيز من هذا اللقاء ، كان محاولة منه لإقناع غيلان بالتراجع عن آرائه وأفكاره ، عن طريق الحوار ومقارعة الحجة بالحجة اسلوباً أمضى وقعاً من غيره .

ولما خرج يزيد بن المهلب سنة (101هـ/719م) على الخليفة يزيد بن عبد الملك(4) ، شهد مجلس الأخير لقاءات مع مستشاريه حول طبيعة هذه الحركة ، وكيفية التعامل معها ، فنتيجة لتلك اللقاءات وتحت ضغط الظروف السياسية ، وافق يزيد بن عبد الملك على تسمية أخيه هشام وليا للعهد وابنه الوليد ابن يزيد من بعده ، وإرسال جيش الشام بقيادة مسلمة بن عبد الملك إلى العراق لمواجهة تلك الحركة (5) .

وفي مجلس آخر تناول يزيد بن عبد الملك مع أخيه مسلمة – قائد الجيش المكلف بمواجهة يزيد بن المهلب – مدى تأثير هذه الحركة على الخلافة ، إذ ابدى يزيد بن عبد الملك قدرة عالية في التصدي لهذه الحركة وإمكانية القضاء عليها(6) .

(1) ابن نباته ،سرح العيون ، ص290 .

(2) هو إياس بن معاوية بن مرة بن هلال المزني ، أبو واثلة ، تابعي فقيه ، كان المثل يضرب في ذكائه ، شغل منصب قاضي البصرة ، توفي سنة (122هـ/739م) . (أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، وضع حواشيه وعلق عليه : مجدي بن منصور بن سيد الشورى، ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت ،1995م) ، ص182 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج9، ص ص347-348 ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج1، ص135)

(3) بدران ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج3، ص180 .

(4) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص578؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4،ص ص334-وما بعدها .

(5) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5، ص177 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4،ص ص347 .

(6) أبو الطيب محمد بن أحمد بن اسحق بن يحيى الوشاء ، الفاضل في صفة الأدب الكامل ، تحقيق : يوسف يعقوب مسكوني ، مطبعة شفيق ، (بغداد ، 1970-1971)،ج1،ص ص148-149 .

ويبدو أن يزيد بن عبد الملك ابتغى من وراء ذلك رفع معنويات الجند ، بإظهار ثقته العالية في قدراتهم بالقضاء على هذه الحركة ، واستطاع جيش الخلافة فعلا إنهاء هذا التمرد سنة (102هـ/720م)(1).

وبعد القضاء على حركة يزيد بن المهلب ، عرض يزيد بن عبد الملك على جلسائه موضوع أسرى آل المهلب ،وكيفية التعامل معهم ، فتباينت آراؤهم بخصوص هذه القضية ، بين محرض على قتلهم وبين داع إلى العفو عنهم(2) ، وكان من بين الحاضرين الشاعر كثير عزة(3) الذي حاول التوسط لهم لدى يزيد بن عبد الملك والذي خاطب الخليفة قائلا :

حليمٌ إذا ما نالَ عاقب مجمَــلا أشدَّ العقاب أو عفا لـم يثــرَّبِ

فعفوُ أميرَ المؤمنين وحسبــه فما تحتسبْ من صالح لك يكتـبِ

أساءوا فإن تعفو فإنك أهلُــه وأفضلُ حلم حسبهُ حلَمُ مغضــبِ(4)

إلا أن يزيداً رفض شفاعة الشاعر وأمر بَقتلهم(5) .

وهذا يبين قلق يزيد بن عبد الملك الشديد من هذه الحركة ، ولاسيّما وأن كثيراً من الروايات التاريخية درجت على تلقي العفو بعد أبيات الشعراء ، إلا أن شيئا من هذا لم يحدث مع كثير عزة هذه المرة .

(1) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص ص957-وما بعدها؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4،ص ص341-وما بعدها؛ محمد عبد الحي شعبان ، الثورة العباسية ، ترجمة : عبد المجيد حسيب القيسي ، دار الدراسات الخليجية ، بلا ت ، ص163 .

(2) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ص15-16 .

(3) هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي،الشاعر أحد عشاق العرب،صاحب عزة وله معها حكايات ونوادر،توفي سنة(105هـ/723م).(أبومحمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري،الشعر والشعراء،تحقيق وشرح:أحمدمحمد شاكر،دار المعارف،(مصر،1966م)،ج1،ص503؛ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج4،ص ص106-وما بعدها) .

(4) كثير عزة ، الديوان ، جمعه وشرحه : الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، (بيروت ،1971م)، ص ص351-352 .

(5) خليفة بن خياط ، تاريخ ،ج1، ص334؛ ابن الأثير ، الكامل ،ج4، ص344 ؛ الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك، ص33 .

وقد صارت مجالس الخلفاء في بعض الأحيان منابرَ للمناظرة ، فعندما أسرف غيلان الدمشقي في القول بالقدر ، استدعاه الخليفة هشام إلى مجلسه ، وبحث معه فيما يقول ويدّعي ، طالبا منه الكف عن عرض تلك الآراء والأفكار ، إلا أن غيلان اقترح على هشام أن يدعو له من يشاء من العلماء ليناظره ويحاوره ، فإن كانت الغلبة له في تلك المناظرة كف الخليفة عن متابعته، وإن كان غيرُ ذلك فلهشام أن يحكم عليه بما يشاء (1) ، فاختار الخليفة هشام الإمام الأوزاعي(2) لهذه المهمة ، فجرت بين الطرفين مناظرة في مجلس الخليفة ، انتهت بتفوق واضح للأوزاعي على خصمه(3). عندها أمر هشام بقتل غيلان بصفته خارجاً عن الإسلام ، لأنهُ لم يتب أو يتراجع عن أفكاره وأصر على موقفه(4) .

كما تطرق مجلس الخليفة الوليد بن يزيد الى موضوع القدرية ، والدعوة إلى إعادة أتباعها الذين نفاهم الخليفة هشام إلى جزيرة دهلك(5) ، إلا أن الوليد بن يزيد رفض تلك الدعوات ، مثمنا إجراءات هشام وجهوده في مواجهتهم والتصدي لهم(6) .
ويبدو أن موقف الوليد بن يزيد الحازم من القدرية ، هو الذي دفعهم إلى التحالف مع ابن عمه يزيد ابن الوليد للتخلص منه ، والذي كان هو الآخر يقول بالقدر (7) .
ولمابدأ أمر الدعوة العباسية بالظهور، تناولت مجالس الخليفة مروان بن محمد ، هذه الدعوة

(1) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص193؛ ابن نباته ، سرح العيون ، ص291 .
(2) هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمر الاوزاعي ، والاوزاع بطن من حمير ، إمام أهل الشام في الفقه والزهد،كان يسكن بيروت ومات فيها سنة (157هـ/773م) . (أبو نعيم احمد بن عبدالله الاصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر ،(بيروت ،بلا ت)،ج6، ص135 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج10، ص ص 118-وما بعدها) .
(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص193 ؛ ابن نباته ، سرح العيون ، ص292 .
(4) الطبري ، تاريخ ،ج7،ص203؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص193 .
(5) وهي جزيرة في بحر اليمن ، وبلدة ضيقة حارة كان بنو أمية اذا سخطوا على أحد نفوه إليها . (ياقوت ، معجم البلدان ،ج4، ص329) .
(6) الطبري، تاريخ ،ج7، ص232 .
(7) المصدر نفسه ، ج7، ص233 ؛مجهول ،غرر السير ،نسخة الدكتور مهند ماهر عن نسخة الدكتور عبدالامير دكسن ،عن مخطوطة مكتبة البودليان في اكسفورد برقم (2-54)،ورقة 114ب0

وأبعادها وسبل مواجهتها ، ففي أحد المجالس اقترح عبد الحميد بن يحيى(1) على مروان بن محمد،فكرة مصاهرة إبراهيم بن محمد بن علي(2)،كوسيلة احترازية لاحتوائها(3). وعلى الرغم من أن هذه الفكرة تبدو معقولة إلى حد ما لحل ومعالجة مشكلة الدعوة العباسية المتنامية(4)،واستحسان مروان بن محمد لها،إلا أنه رفضها لكونها تتعارض مع ما عرف به من رجولة وشجاعة(5).ومع هذا فالمعروف أن أمر الدعوة العباسية قد حسم وخطط له على مستوى أعلى من هذا بكثير،ولا يمكن لمصاهرة أن تبدد جهود ثلاثين عاما من الدعوة لها .
وفي مجلس آخر اقترح مروان بن محمد على عبد الحميد الكاتب ، أن ينضم إلى صفوف العباسيين ، ويظهر الغدر بالأمويين ، وإن حاجة العباسيين إلى خبرته وآدابه ، ستجعله محل ثقتهم ، ومن خلال وجوده معهم ربما يستطيع مساعدته في حياته ، فان لم يستطيع فان بمقدوره حفظ حرمته بعد مماته(6) . إلا أن عبد الحميد رفض ذلك الاقتراح وعده أمرا قبيحا بالنسبة له ، وآثر البقاء والصبر معه(7) ، وبهذا فضل عبد الحميد أن يُقتل مع صاحبه ، على أن يتخلى عنه في الظروف الصعبة التي يمر بها ، وهذا دليل على وفائه ، وبقي معه إلى أن قتلا معا في قرية بوصير بمصر ، سنة (132هـ/750م)(8) .

(1) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء ، المعروف بالكاتب ، من أئمة الكتّاب ، سكن الشام ، وبقى مع الخليفة مروان بن محمد إلى نهاية الدولة الأموية . (الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص72 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج3، ص ص228-وما بعدها) .

(2) هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، زعيم الدعوة العباسية ،كان يسكن الحميمة ، أوصى له أبوه بالإمامة .(مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ص240-وما بعدها ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج4، ص ص186-187) .

(3) الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص72 ؛ مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ص397-399 .

(4) محمد جاسم حمادي ، الجزيرة الفراتية والموصل ، دراسة في التاريخ السياسي والإداري ، دار الرسالة للطباعة ، (بغداد ، 1977 م)، ص278 .

(5) الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص72 .

(6) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج1، ص26 ؛ الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص79 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج1، ص58؛ ابن نباته ، سرح العيون ، ص238 .

(7) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج1، ص27 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج3، ص151 .

(8) ابن نباته ، سرح العيون ، ص239 ؛ محمد كرد علي ، أمراء البيان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، 1948م)، ص47 .

السياسة الداخلية

بما أن حكم البلاد وسياسة الرعية ومتابعة شؤونها من أهم واجبات الخليفة ، لذا حرص الخلفاء الأمويون على بحث هذه الأمور ، ومناقشتها في مجالسهم ، من أجل الوصول إلى أفضل الصيغ في السياسة الداخلية للبلاد ، وتشخيص الأخطاء والعمل على تجاوزها ، والإفادة من نصائح جلسائهم في هذه الأمور ، التي من أهمها سياسة البلاد وحكمها(1) .

فمعاوية بن أبي سفيان الذي تولى الخلافة بالسياسة والدهاء والسيف،أثبت أنه سياسي محنك، فبحكمته وحسن تدبيره،استطاع أن يفرض سيطرته على جميع أرجاء الدولة،ويحافظ على استقرارها الداخلي(2).تلك السياسة كانت موضع مناقشات مجالس معاوية،ففي أحدها ناقش معاوية جلساءَ ه في مقومات تلك السياسة مبينا الخطوط العامة لها ،التي من خلالها استطاع التعامل مع مسائل الحكم والدولة،قائلا:((إني لا أضع سيفي حين يكفيني سوطي،ولا أضع سوطي حين يكفيني لساني،ولو أَن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت.فقيل له:وكيف ذلك؟ قال:كنت إذا مدوها أرخيتها وإذا أرخوها مددتها))(3).

ولما كان الحلم يمثل أبرز سمات سياسة معاوية الداخلية ، لذا شهدت مجالسه بحثا لتلك السمة ومناقشته لأسباب اعتماده عليها ، ففي أحد المجالس تجاوز رجلٌ على معاوية واغلظ له في القول ، فتجاهل معاوية الأمر ، فلامه جلساؤه على حلمه تجاه هذا الرجل ، فبين لهم معاوية أن سياسته تقوم وتعتمد على الحلم في مثل تلك القضايا ما دامت بعيدة عن الملك والخلافة(4) . وفي مجلس آخر راجع يزيد ابن معاوية أباه في صفة الحلم التي اعتمد عليها في سياسته الداخلية، ومبالغته في هذا الجانب،مبديا تخوفه من أن يكون ذلك ضعفا،إلا أن معاوية طمأن يزيد بأن ذلك لا يمثل ضعفا وإنما يمثل منهجا ثابتا،لأن الحلم هو الصفة المطلوبة في هذه المرحلة لما يجلبه من نتائج محمودة (5) .

(1) محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، 1968م)، ج2، ص ص146-147 .

. Encyclopedia International , Vol.3 , P :513 (2)

(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج1، ص18 ؛ ينظر : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : محمد رفعت فتح الله ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ، (القاهرة ، 1975م) ، ج6، ص44 .

(4) الطبري ، تاريخ ،ج5، ص336 .

(5) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج4-ق2، ص79 .

وفي مجلس آخر لمعاوية حاور فيه عددا من وجوه قريش في سياسته الداخلية ، وأبرز ملامحها ، فأشاد بعضهم بتلك السياسة التي تقوم على الحلم والعفو عن المسيء والابتعاد عن استخدام القوة في معالجة القضايا التي تواجهه ، مقرين بنجاحها ، مبدين رضاهم عنها ، إلا أن بعضهم هدد معاوية بأنه لو لم يتبعها لاجبروه على مثلها (1) .

وكانت تلك السياسة موضع نقاش في مجلس آخر لمعاوية بينه وبين زياد بن أبي سفيان ، الذي كان يرى انه أسوس من معاوية لأنه استطاع أن يضبط العراق بالقوة ويعيد إليه الاستقرار على الرغم من كثرة اضطراباته(2) ، إلا أن معاوية أكد لزياد على الرغم من النجاح الذي حققه في العراق باستخدام الشدة والحزم ، إلا أن سياسته التي تقوم على الحلم والرفق والتأني في اتخاذ القرارات ، والحلول السلمية لمعظم القضايا حققت نجاحا أكبر ونتائج أفضل على المدى البعيد(3).

وفي أحد مجالسه أكد معاوية المعنى نفسه ، في رد له على رجل أشاد بزياد وسياسته قائلا : ((اسكت ما ادرك صاحبك شيئا قط بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني))(4) .

و شهدت مجالس معاوية عرض بعض الأفكار والآراء على شكل نصائح من جلسائه تذكرُ بأولويات سياسته الداخلية،ففي أحد المجالس دعا أبو مسلم الخولاني(5) معاوية إلى التزام سياسة يكون هدفها الأساسي الاهتمام بالرعية وتوفير كل السبل التي تحفظ لهم حقوقهم،وتحقق لهم الراحة والأمان(6).\1) par **الزبير بن بكار،الأخبار الموفقيات،تحقيق:الدكتور سامي مكي العاني ، مطبعة العاني ،(بغداد ، بلات)، ص153؛علي بن محمد بن عباس أبوحيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه:أحمد أمين وأحمد الزين ، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، بلا ت)، ج3، ص181.**

(2) الغزالي ، مقامات العلماء ، ص ص217-218 .

(3) المصدر نفسه ، ص218 .

(4) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج1، ص10 .

(5) هو عبد الله بن ثوب الخولاني ، غلبت عليه كنيته ،يعد من كبار التابعين ، كان فاضلا عابدا ناسكا ، توفي سنة (60هـ/679م) . (ابن عبد البر،الاستيعاب ،ج2، ص272 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج8،ص149) .

(6) الغزالي ، مقامات العلماء ، ص233 ؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، تحقيق : الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، مراجعة: السيد الطنطاوي ، المطبعة العصرية ، (الاسكندرية ،1978م)، ص ص98-99 .

أما الخليفة عبد الملك فقد بين في أحد مجالسه أهم مقومات سياسته الداخلية وأبرز ملامحها ، عند إجابته عن سؤال ابنه الوليد عن السياسة ، قائلا : ((هيبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصنائع))(1) . وربما أراد عبد الملك أن يبين لابنه أن السياسي

الناجح عليه أن يأخذ بنظر الاعتبار المكانة الاجتماعية لرعيته ، فيجب أن تهابه الخاصة ، فهم أشراف القوم وأهل الأحساب والمكانة في المجتمع ، والذين لهم تأثير في مجريات الأحداث ، وأن يعاملهم معاملة خاصة ويتفقد أحوالهم(2) ، وأن يهتم بعامة الناس ويجتهد في إرضائهم واستمالة قلوبهم بالعدل والإنصاف ، حتى ينقادوا إلية طوعا لا كرها(3) .
وفي الإطار نفسه وفي مجلس آخر حدد عبد الملك لابنه وولي عهده الوليد ، ملامح السياسة الداخلية التي عليه اتباعها ، عند توليه الخلافة ، والتي تقوم بالاعتماد على أهل الخبرة والتجربة في إدارة البلاد ، والاهتمام بأشراف الناس وتقريبهم إلية ، قائلا : ((لا تعزل أخاك عبد الله عن مصر ،وانظر عمك محمد ابن مروان واقره على الجزيرة ، وأما الحجاج فأنت أحوج إليه منه إليك ، وانظر علي بن عبد الله (4) فاستوص به خيرا))(5) ، إلا أن الوليد لم يتبع نصيحة والده فعزل أخاه عن مصر وعمه عن الجزيرة(6) وأبعد علياً بن عبد الله وجفاه (7) .

(1) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج1، ص10 ؛ ينظر : أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي ، الأمالي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، بلا ت) ، ج2، ص80 ؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ، بهجة المجالس وأنيس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، مراجعة : الدكتور عبد القادر القط ، دار الجيل للطباعة ، (القاهرة ، بلا ت) ، ص335 ؛ أسامة بن منقذ ، لباب الآداب ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، المطبعة الرحمانية ، (مصر ،1935م)، ص35 ؛ النويري ، نهاية الأرب ،ج6، ص43 .
(2) ابن الجوزي ، الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء ، ص62 .
(3) ابن أبي الربيع ، سلوك المالك في تدبير الممالك ، ص142 .
(4) هو علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، أبو محمد ، تابعي ، ثقة ، كان عابدا عالما ، توفي سنة (118هـ/736م) . (ابن سعد ، الطبقات ،ج5،ص312 ؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب ،ج4، ص ص 224-225).
(5) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج3، ص225 .
(6) المصدر نفسه ، ج3، ص225 .
(7) أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي ، الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد ، ط3، دار الرائد العربي ، (بيروت ، 1986م)، ص ص 215-216 .

وفي مجلس آخر وبحضور أشراف الشام ، كلم عطاء بن أبي رباح(1) ، عبد الملك في سياسته الداخلية، التي رأى أن أولوياتها تتمثل في العناية بالحجاز لمكانته الدينية والاهتمام بأهله ، والعناية بالجيش لدوره في الدفاع عن البلاد ، والمحافظة على حقوق الرعية ، والاستماع إلى متظلمهم(2) .
أما الخليفة عمر بن عبد العزيز فحرصا منه على الوصول إلى أفضل الصيغ لسياسة داخلية تحقق العدل والمساواة بين الناس ، كان يستدعي إلى مجالسة الفقهاء وأصحاب الرأي، يستشيرهم ويناقشهم في الخطوات الواجب اتباعها لتحقيق ذلك الهدف ، ففي أحد مجالسه، ناقش عمر بن عبد العزيز محمداً بن كعب القرظي(3) في أشياء تتعلق بالسياسة الداخلية ، الذي أخبرَ عمر أن السياسي الناجح يجب عليه أن يولي اهتماما بمشاكل الناس ، وألا يستعجل في اتخاذ القرارات بشأنها . وأن يكون الحلم والحكمة والتفاهم منهجا غالبا في حل القضايا التي تواجهه وأن يبتعد عن استخدام القوة قدر المستطاع(4) وفي مجلس آخر تشاور عمر بن عبد العزيز مع سالم بن عبد الله

(5) ومحمد بن كعب القرظي ، في كيفية إيجاد سياسة داخلية ترضي الجميع وتحفظ حقوقهم ، فبينا له أن الوصول الى ذلك ، يتطلب منه

(1) هو عطاء بن أبي رباح ، واسم أبي رباح أسلم ، مولى آل أبي خيثم الفهري ، يعد من كبار التابعين ، ثقة فقيه عالم كثير الحديث ، توفي سنة(115هـ/733م) .(ابن سعد ، الطبقات ،ج5، ص ص467- 470؛ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار، ص106؛ ابن كثير ،البداية والنهاية،ج9، ص ص317-320).

(2) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج4، ص678؛ ناجي معروف ، أصالة الحضارة العربية ، مطبعة التضامن ،(بغداد ، 1969م)، ص ص364-365 .

(3) هو محمد بن كعب القرظي ، كان يكنى أبا حمزة ، من حلفاء الأوس ، كان من أفاضل أهل المدينة عالما وفقها ، توفي سنة (108هـ/726م) . (خليفة بن خياط بن شباب العصفري، الطبقات ،تحقيق:أكرم ضياء العمري ، ط1،مطبعة العاني ،(بغداد ،1967)،ص264؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ،ج5، ص269) .

(4) الآبي ، نثر الدر ، ج4، ص244 .

(5) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، تابعي ، كان زاهدا عابدا ، يعدمن فقهاء المدينة وعلمائها ، توفي سنة (106هـ/724م) .(ابن سعد، الطبقات ، ج5، ص ص195-201 ؛ ابن حبان ،مشاهير علماء الامصار ، ص85 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج9، ص244) .

أن يتعامل مع الناس كأنهم أب وأخ وابن ، وأن يحبَّ لهم ما يحب لنفسه ويرضى (1) .

وكان الخليفة هشام بن عبد الملك سياسيا محنكا ،حسن السيرة ، ويعدمن ساسة بني أمية البارزين (2) ، اذ كانت مجالسه تضم الفقهاء وأصحاب الرأي الذين كان يستثمرُ وجودهم في تلك المجالس ليعبروا عن آرائهم التي تسهم في رسم تلك السياسة ، حرصا منه في الوصول الى سياسة داخلية هدفها صلاح الملك واستقامة الرعية ، وحفظ مصالحها(3) .

(1) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج1، ص30 ؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، 1955م)، ص ص54-55 ؛ جاسم علي جاسم البدراني ، الوفادات على الخلفاء الأمويين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ،1999م، ص123.

(2) المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص199 ؛ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن سليمان القلقشندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ،ط1، عالم الكتب ، (بيروت ،1964م) ، ج1، ص150

(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج1، ص45 ؛ القيرواني ، زهر الآداب ،ج2، ص857 ؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، المصباح المضيء في خلافة المستضيء ، تحقيق :ناجية عبد الله إبراهيم ، مطبعة الشعب ، (بغداد ،1977م)، ج2، ص ص 121-122 ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج6، ص11 .

العلاقات مع الدولة البيزنطية

بالنظر لأهمية العلاقات الخارجية بين الدول ، فإنها حظيت هي الأخرى باهتمام الخلفاء الأمويين اذ شهدت مجالسهم الكثير من المشاورات والأحاديث بخصوص تلك العلاقات وطبيعتها ولاسيما العلاقة بالدولة البيزنطية بحكم جوارها للدولة الإسلامية ، وما بينهما من صراع وتنافس ، فعلى أثر موافقة الخليفة معاوية بن أبي سفيان على اقتراح امبراطور الروم بتبادل الرسل والمبعوثين بينهما ، أرسل الامبراطور الى معاوية برجلين أحدهما طويل القامة والآخر متينا قوي الجسم ، مباهيا المسلمين وخليفتهم بهيئتهما وقوة جسميهما التي تدل على قوة جيشهم(1)، ولمواجهة هذا التصرف بحث الخليفة معاوية الموضوع في مجلسه مع عمرو بن العاص بخصوص إيجاد رجلين يضاهيان الروميين طولا وشدة ، فوقع الاختيار على قيس بن سعد بن عبادة(2) لطول قامته ، وعلى محمد بن الحنفية(3) لقوة جسمه وشدته ، وذلك نوعٌ من التحدي للروم البيزنطيين(4) .
ولما التقى الطرفان في مجلس معاوية تبين للرومي الطويل أن قيس بن سعد أطول منه ، وجرى بين الآخر و محمد بن الحنفية مصارعة لمعرفة أيهما أقوى من صاحبه ، فكانت الغلبة والفوز لابن الحنفية ، فخرج الروميان مغلوبين مخذولين(5) .

(1) المبرد ، الكامل ،ج2، ص114 ؛ محمود بن عمر الزمخشري ، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تحقيق: الدكتور سليم النعيمي ، مطبعة العاني ، (بغداد ، بلا ت) ، ج1، ص842 .

(2) هو قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي ، له صحبة ، كان مع علي بن أبي طالب بايع معاوية لما بايعه الحسن بن علي ، توفي في المدينة أواخر خلافة معاوية . (ابن سعد، الطبقات ،ج6، ص ص52-53 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية ،ج8، ص ص 103-وما بعدها) .

(3) هو محمد بن علي بن أبي طالب ، أمه خولة بنت جعفر من بني حنيفة ، كان عالما ورعا ، مات في الطائف سنة (81هـ/700م) . (ابن سعد، الطبقات ،ج5، ص ص 91-وما بعدها ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص126) .

(4) المبرد ، الكامل ، ج2، ص114 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج4، ص170 .

(5) الزمخشري ، ربيع الأبرار ،ج1، ص842؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،ج4، ص171 .

إن ما شهده مجلس معاوية يمثل تطورا في طبيعة العلاقة بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية، إذ أراد إمبراطور الروم نقل المنافسة بين الطرفين الى ساحة أخرى عدا ساحة الحرب عن طريق التحدي واستهداف المعنويات .
ولما وصلت الأنباء الى معاوية أن أحد بطارقة الروم يكيد للاسلام وأهله ويظهر عداءه لهم، ويحرض الروم ضدهم ، بحث الموضوع مع مستشاريه ، داعيا إياهم الى وضع خطة لمواجهة هذا البطريق والتحدي الذي يمثله ، للحد من إيذائه للمسلمين (1) ، وبعد لقاءات شهدها مجلس معاوية تم وضع خطة للتخلص من شر هذا البطريق عن طريق مراسلته وإقامة علاقات حسنة معه ، للايحاء للروم بأن هذا البطريق متعاون مع المسلمين ، ولما تم تنفيذ الخطة ، واكتشف امبراطور الروم هذه العلاقة ، ظن بالبطريق سوءا وقتله بتهمة الخيانة ، وبذلك تخلص المسلمون من شره وخطره(2) .
ومن باب المعاملة بالمثل في العلاقات الدولية ، وبوصول الأخبار الى الخليفة معاوية ، بأن أسيرا مسلما لدى الروم ضربه أحد بطارقتهم ، وبحضور الإمبراطور مما أغاض معاوية ودفعه الى إحضار الأسير إلى مجلسه مستفسرا منه عن ما حدث وعن الشخص الذي ضربه(3) ، ثم ناقش الموضوع باهتمام مع بعض رجالات دولته ، إذ وضعت خطة لإحضار ذلك البطريق الذي ضرب

الأسير المسلم(4) ، نجحت تلك الخطة وتم إحضار البطريق الى مجلس معاوية الذي طلب من الأسير المسلم ان يفعل بالبطريق مثلما فعل به في مجلس إمبراطوره على أن لا يزيد على فعل البطريق به ، وبعد أن نفذ الأسير ما طلب منه ، أمر معاوية بإطلاق سراح البطريق وإيصاله الى بلاده ، والذي حدّث عند وصوله إمبراطور الروم بما جرى له ، فأظهر الإمبراطور إعجابا بمعاوية وتدبيره(5) . مما يدل على قوة الدولة الإسلامية وقدرة خليفتها على تنفيذ أي عمل يراه ، لايعجزه في ذلك شيءٌ مما يثير الرعب والفزع والتحسب لدى البيزنطيين من المسلمين وقوتهم .

(1) **المبرد ، الكامل ، ج2، ص**113 .

(2) **المصدر نفسه ، ج2، ص ص**113-114 .

(3) **النويري ، نهاية الأرب ،ج6، ص ص 185-186** .

(4) **المصدر نفسه ، ج6، ص**186 .

(5) **المصدر نفسه ،ج6، ص ص 186-187** .

إن اهتمام معاوية بموضوع هذا الأسير ، والعمل على معاقبة البطريق الذي اعتدى عليه ، أراد من خلاله أن يبين للروم أن الخلافة تولي أسراها اهتماما بالغا ، وانها لن تتهاون تجاه مثل تلك التجاوزات وأن العلاقة بين الدولتين تقوم على أساس المعاملة بالمثل .

وفي إطار علاقة التحدي بين الدولتين البيزنطية والإسلامية ، ناقش معاوية في أحد مجالسه تلك العلاقة ، طالبا من جلسائه أن يرشحوا له مبعوثا الى إمبراطور الروم ، فكلفه بنقل رسالة عنه الى ذلك الإمبراطور ، ورفع الآذان أمامه في مجلسه(1) ، فلما وصل المبعوث مجلس الإمبراطور ، فعل ما أمره به معاوية ، عندها حاول البطارقة قتله ، إلا أن الإمبراطور منعهم من ذلك بحجة أن قتل الرسول ربما يدفع معاوية الى قتل النصارى في بلاد المسلمين(2) .

وضمن هذا الجو التنافسي بين الدولتين البيزنطية والإسلامية،هدد الإمبراطور الرومي جستنيان الثاني الخليفة عبد الملك بن مروان، إن لم يتخلَّ عن الكتابات التي أحدثها في كتبه إليه، فإنه سوف يكتب على دنانيرهم ما يسيء الى الرسول محمد (3)،ولأهمية الموضوع وما يترتب عليه من تبعات،ربما تؤثر في طبيعة العلاقة بين الدولتين،استدعى عبد الملك الى مجلسه خالد بن يزيد بن معاوية ليناقشه في الأمر،والذي أشار على عبد الملك أن يستغنى عن دنانيرهم ويضرب عملة إسلامية،قائلا : ((حرم دنانيرهم ، واضرب للناس سكة فيها ذكر الله تعالى))(4) .

وبناء على تلك المشورة، قرر عبد الملك تعريب السكة وضرب عملة إسلامية خالية من الشارات النصرانية(5) التي تعد خطوة مهمة لتدعيم الاستقلال السياسي والاقتصادي للدولة الإسلامية(6) .

(1) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج1، ص198؛ محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، قصص العرب ، دار الجيل، (بيروت ،1988م) ، ج1، ص**360 .

(2) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج1، ص**198 .

(3) **ابن الاثير ، الكامل ، ج4، ص**167 .

(4) **المصدر نفسه، ج4، ص167 ؛ وفي رواية أن الذي أشار على عبد الملك بذلك ، هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه، (الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ج1، ص ص**63-64) .

(5) **الطبري ، تاريخ ،ج6، ص256 ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص**167 .

(6) **شعبان ، صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص**128 .

إن هذا القرار خلق على ما يبدو جوا من التوتر في العلاقة بين الدولتين ، مما دفع عبد الملك الى إرسال مبعوثٍ الى إمبراطور الروم ، للوقوف على رأيه في الموضوع ، ومدى تأثيره فيهم ، وما هي ردود أفعالهم تجاهه(1) .
انتدب عبد الملك عامراً الشعبي لهذه المهمة ، والذي قام بها خير قيام،حتى أبدى إمبراطور الروم إعجابا كبيرا به(2)،وبعودة الشعبي الى دمشق حضر الى مجلس عبد الملك وأطلعه على نتائج سفارته الى إمبراطور الروم،والمواضيع التي بحثت معه،وانطباعاته عنه(3).وبحث معه أيضا صفة العداء وعدم الود الغالبة على علاقة الإمبراطور بالخلافة،من خلال محاولته إغراء عبد الملك بقتل عامر الشعبي في رسالته التي حملها الأخير الى عبد الملك والتي جاء فيها : ((العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف ولوا أمورهم غيره))(4).
ولما قرر الخليفة الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق ، وضم كنيسة للنصارى له ، تدخل إمبراطور الروم في القضية من خلال رسالة وجهها الى الوليد ، أراد فيها أن يعيب على الوليد هذا الإجراء ، جاء فيها : ((إنك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها ، فان كان حقا فقد خالفت أباك وإن كان باطلا فقد أخطأت)) (5) .
ولخطورة الموضوع الذي يعد تدخلا في الشؤون الداخلية للدولة الإسلامية ، وللحساسية الشديدة التي تحكم العلاقة بين الدولتين في هذا الجانب ، ناقش الوليد جلساءه في مضمون الرسالة وكيفية الرد عليها (6). فاقترحوا أن تكون الإجابة قوله تعالى {((وَداوُدَ وسُليمـان إذْ يَحكُمـانِ في الحرث إذْ نَفَشَـتْ فيهِ غَنَـمُ))}

(1) جمال الدين الآلوسي، الدبلوماسية عند المسلمين العرب ، مطبعة وزارة الأوقاف ، (بغداد ،1979م)، ص18 .

(2) الآبي ، نثر الدر ، ج5، ص144 ؛ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، بلا ت)، ج12، ص231 ؛ الآلوسي ، الدبلوماسية عند المسلمين العرب ، ص18 .

(3) المبرد ، الكامل ، ج2، ص113؛ المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص114 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان،ج3، ص13 ، مصطفى الشكعة (الدكتور)،معالم الحضارة الإسلامية ،ط3، دار العلم للملايين ، (بيروت ،1978م)، ص116 . (4)المبرد ، الكامل ،ج2، ص113 ، ينظر : الزمخشري ، ربيع الأبرار ، ص800 ؛ النويري ، نهاية الأرب، ج6، ص179 .

(5) الوشاء ، الفاضل ،ج1، ص127 ؛ ينظر : مجهول ، العيون والحدائق ،ج3، ص5 .

(6) الوشاء ، الفاضل ،ج1، ص127 .

القَوم وكُنَّا لحكمهم شاهدين* ففهمناها سليمانَ وكلاً اتينا حُكما وعِلما))(1) . فكتبها الوليد الى إمبرَاطور الروم ، فلم يردَّ عليه(2) .
ومن الجدير بالذكر أن الوليد بن عبد الملك ، لما قرر بناء المسجد وإدخال كنيسة دمشق فيه، اتفق مع أصحابها أن يُبقيَ لهم كنيسة أكبر منها أخذها المسلمون عنوة ، مقابل أن يدخل كنيسة دمشق في المسجد(3).
وفي نطاق السياسة الخارجية التي اعتمدها الخليفة عمر بن عبد العزيز والتي تقوم على بناء علاقات جيدة مع الدول المجاورة عن طريق دعوة ملوكها للإسلام ، قرر دعوة إليون إمبراطور الروم للإسلام ، وكلف رسولين يقومان بهذه المهمة لإقناعه ، فبحث معهما تفاصيل تلك المهمة

وطبيعتها . ولما عاد الرسولان ، ناقشهما الخليفة في نتائج مهمتهما ، وما توصلا إليه مع الإمبراطور (4) .

(1) **سورة الأنبياء ، آية** 78-79 .

(2) **الوشاء ، الفاضل ، ج**1**،ص**128 .

(3) **ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج**9**، ص**167 .

(4) **المبرد ، الكامل ،ج**2**، ص ص** 111-112 .

الفصل الثاني: الجوانب الإدارية والعسكرية في مجالس الخلفاء

التولية والعزل

كان الخليفة في العصر الأموي هو المسؤول الأعلى عن الشؤون العامة للدولة كافة،و له وحده الحق في تعيين الولاة على الأقاليم والأمصار لينوبوا عنه في إدارتها ، ممن كان يرى فيهم القدرة على القيام بتلك المهمة ، ويعزلهم متى كان ذلك ضروريا(1) .

وشهدت مجالس الخلفاء الأمويين الكثير من اللقاءات والمشاورات والأحاديث، التي كان لها دورٌ كبير في تعيين هذا الأمير او عزل ذاك الوالي ، فلما ولّـى الخليفة معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن عمرو بن العاص(2) ، على الكوفة سنة(41هـ/661م)(3) ، بحث الموضوع في مجلسه مع المغيرة بن شعبة ، الذي أبدى تخوفا من قراره الذي سيؤدي إلى ازدياد نفوذ عمرو بن العاص وابنه ، على حساب الخلافة نفسها ، قائلا : ((استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة ، وعمرا على مصر ، فتكون انت بين لحيي الأسد))(4) . مما دفع معاوية الى إعادة النظر في قراره ، فعزل عبد الله بن عمرو عن الكوفة قبل أن يصل إليها ، وعين المغيرة بن شعبة بدلا منه(5).

وكان هذا التعيين موضع نقاش بين معاوية وعمرو بن العاص، الذي أثار مخــاوف الخليفة من الصلاحيات المالية والإدارية الواسعة الممنوحة للمغيرة ، ونصحه بعدم إسناد الشؤون

(1) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ص51-وما بعدها ؛ صالح أحمد العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت،1969م)، ص106 ؛ نجدت خماش ، الإدارة في العصر الأموي ، ط1، دار الفكر ، (دمشق،1980م)، ص302 .

(2) هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، يكنى بأبي محمد وقيل أبو نصر ، صحابي ، كان مع معاوية في صفين ، مات سنة (63هـ/682م) . (ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص71 ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ،ج2، ص ص346-وما بعدها ؛ ابن حجر ، الإصابة، ج2، ص ص251-252).

(3) الطبري ، تاريخ ، ج5،ص166؛ ابن الاثير الكامل ، ج3، ص278 .

(4) الطبري ، تاريخ ، ج5،ص166؛ ينظر : ابن الاثير الكامل ، ج3، ص278 ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج20،ص290 .

(5) الطبري ، تاريخ ، ج5،ص166 ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج20،ص290 ؛ علي حسني الخربوطلي ، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ،دار المعارف ، (مصر ،1959م) ، ص81 .

المالية إليه، وجعل صلاحياته مقتصرةً على الشؤون الإدارية والعسكرية(1)، وبناءً على ما دار في هذا المجلس قرر معاوية سحب الصلاحيات المالية التي كان يتمتع بها المغيرة(2) . ويبدو أن الذي دفع عمرو ابن العاص إلى ذلك، رغبته في النيل من المغيرة، لأنه كان سببا في عزل ابنه عبد الله عن ولاية الكوفة(3).

ولما بلغ معاوية اضطراب الأوضاع في البصرة، وعدم قدرة واليها عبد الله بن عامر(4) (41-45هـ/ 661-665م)على ضبط شؤونها(5) ، استدعاه الى مجلسه ، وناقشه في شؤون ولايته ، ثم

طلب منه ان يتنازل عن تلك الولاية ، وعن أمواله وأملاكه التي في مكة ، فأبدى عبد الله موافقته على التنازل عن ولاية البصرة على أن تترك له أمواله وأملاكه ،وأن لا يحاسب عماله ، ولا تـُتعقبَ آثاره ، فوافق معاوية على ذلك(6) ، فعزله عن البصرة سنة (45هـ/665م)(7) .

ويبدو أن استدعاء معاوية لعبد الله بن عامر ، وطلبه منه التنازل عن أمواله الى جانب تنازله عن ولاية البصرة ، كان مناورة من قبل معاوية ليضطره الى الموافقة على التنازل عن ولاية البصرة ، وينشغل في المطالبة بالأموال ، لذا ترك له أمواله بعد موافقته على التنازل عن عمله .

(1) **الطبري ، تاريخ ، ج5،ص**166 .

(2) **ابن الاثير الكامل ، ج**3**، ص**278 ؛ **النويري ، نهاية الأرب ، ج**20**،ص**290 .

(3) **الطبري ، تاريخ ، ج5،ص**166 .

(4) **هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، كان جوادا شجاعا،ولاه عثمان بن عفان البصرة،وضم إليه فارس،فافتتح خراسان وسجستان،ولاه معاوية البصرة ، توفي سنة** (59**هـ**/678**م**). (**ابن سعد ،الطبقات،ج**5**،ص ص**44**-ومابعدها؛ابن قتيبة ، المعارف ، ص ص**181-182) .

(5) **الطبري ، تاريخ ، ج**5**،ص**213 ؛ **ابن الجوزي ، المنتظم ، ج**4**،ص**31؛ **شعبان ، صدر الإسلام والدولة الأموية ،ص**97 .

(6) **الطبري ، تاريخ ، ج**5**،ص**213 ؛ **ابن الأثير الكامل ، ج**3**، ص**299 ؛**النويري ، نهاية الأرب ، ج**20**،ص**301 .

(7) **خليفة بن خياط ، تاريخ ،ج**1**، ص**191 .

وبعد وفاة زياد بن أبي سفيان سنة (53هـ/672م) ، بحث معاوية في أحد مجالسه مع عبيد الله بن زياد في أسماء الأشخاص الذين ولاهم أبوه ، ومسألة عدم إسناده لعبيد الله أياً من أعماله، إذ استطاع عبيد الله في ذلك المجلس إقناع معاوية بان يوليه خراسان(1) . رغم أنها كانت تابعة إداريا الى والي العراق وهو الذي يعين عليها واليا أو يحكمها مباشرة(2) .

والظاهر أن تعيين عبيد الله على خراسان كان لغرض الوقوف على خبراته الإدارية ،فإن أثبت كفاءة ولاه العراق ، ففي رواية لابن أعثم(3) أن معاوية قال لعبيد الله : ((إني سأوليك العراق وأجعلك مكان أبيك، ولكن اذهب فقد وليتك خراسان ، فإذا فرغت من أمرها وليت العراق بعدها))
.

ويبدو أن عبيد الله بن زياد قد أثبت كفاءة في ولايته خراسان ، مما دفع معاوية الى اختياره لولاية البصرة ، بعد عزل عبد الله بن عمرو بن غيلان(4) عنها ، نزولا عند رغبة أهل البصرة ، الذين حضر وفدٌ منهم الى مجلس الخليفة معاوية ، واشتكوا إليه واليها عبد الله بن عمرو ، وبعد تشاوره معهم ، قام بتعيين عبيد الله بن زياد عليها (5) ، وذلك في سنة (55هـ/764م)(6) .

(1) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج**1**، ص ص**229-230 ؛ **الطبري ، تاريخ ،ج**5**، ص ص**295-296 ؛ **الآبي، نثر الدر، ج**3**، ص**16 ؛ **ابن الاثير ، الكامل ،ج**3**، ص**345 ؛ **العصامي ، سمط النجوم ،ج**3**، ص**18 .

(2) **فاروق عمر فوزي ، طبيعة الدعوة العباسية ، ط**1**، دار الإرشاد ،(بيروت،**1970**م)، ص**137 .

(3) **الفتوح ، ج**4**، ص**204 .

(4) هو عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي ، كان ثقة ، ولاه معاوية البصرة سنة (54هـ/673م) ثم عزله عنها بعد عام واحد . (الطبري ، تاريخ ،ج5، ص295 ؛ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي ، الثقات ،ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ،(الهند ، 1981م)، ج7، ص51 ؛ ابن الاثير ،الكامل ،ج3، ص347) .

(5) الطبري ، تاريخ ،ج5، ص 300 ؛ الآبي ، نثر الدر ، ج4، ص132 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ،ج4، ص97 ؛ ابن الاثير ،الكامل ،ج3، ص347 .

(6) خليفة بن خياط ، تاريخ ،ج1، ص212 .

ولما سأل سعيد بن عثمان بن عفان الخليفة معاوية في أحد مجالسه أن يوليه خراسان ، اعتذر الخليفة عن ذلك لوجود عبيد الله بن زياد عليها(1)، إلا أن سعيداً أخذ يذكّر معاوية بفضل أبيه عثمان عليه ، ويناقشه في مسالة إسناد ولاية العهد ليزيد ، وأنه أحق بها منه(2) ،مما دفع يزيد بن معاوية وكان حاضرا الى التدخل وإقناع أبيه بأن يولي سعيد بن عثمان خراسان(3) ، التي قدمها سنة (56هـ/675م)(4) .

وفي مجلس آخر سأل عبد الرحمن بن زياد معاوية أن يوليه أحد أقاليم الدولة ، وكنوع من الاعتذار أخذ معاوية يذكر له ولايات العراق والمشرق وأسماء ولاتها ، فالكوفة عليها النعمان بن بشير الأنصاري ، وعبيد الله بن زياد على البصرة وخراسان ،وأخوه عبّاد على سجستان ، ثم رأى أن يشركه في عمل أخيه عبيد الله ، فولاه خراسان سنة (59هـ/678م)(5) .

ويلاحظ أن معاوية في حديثه مع عبد الرحمن بن زياد ، اقتصر على ذكر ولايات العراق والمشرق ، دون الإشارة الى أي إقليم من أقاليم الدولة الأخرى ، كأنه كان يرى أن آل زياد أصلح ما يكونون لإدارة الولايات التي كانت خاضعة لأبيهم زياد ، والذي مردُّه ربما إلى النجاح الكبير الذي حققه زياد في إدارة تلك المناطق(6) .

وكان لبعض الشخصيات من ذوي المنزلة المعروفة في الأوساط الاجتماعية ، ممن يحضرون مجالس الخلفاء أهمية كبيرة ودور فعال ومؤثر في تعيين الولاة وعزلهم عن مناصبهم، من ذلك أنه لما جـاء والي

(1) الطبري ، تاريخ ،ج5، ص300 ؛ ابن الأثير ، الكامل ،ج3،ص355؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج20،ص360 .

(2) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (منسوب له) ،ج1،ص191؛ ابن أعثم، الفتوح ،ج4،ص ص184-185 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج6،ص348 .

(3) الطبري ، تاريخ ،ج5،ص305 ؛ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه : محمد حسين شمس الدين ،ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت،1987م)، ج1، ص ص303-304 .

(4) خليفة بن خياط ، تاريخ ،ج1، ص212 ؛ الطبري ، تاريخ ،ج5،ص305 .

(5) الطبري ، تاريخ ،ج5،ص315 .

(6) المصدر نفسه ،ج5،ص222 ؛ خماش ، الإدارة في العصر الأموي ، ص121 .

البصرة عبيد الله بن زياد بوجوه أهلها للسلام على معاوية وكان من بينهم الأحنف بن قيس(1) . تكلم الحاضرون وأثنوا على عبيد الله و أشادوا بحسن إدارته بينما ظل الأحنف ساكتا ، فقال معاوية : ((مالك يا أبا بحر لا تتكلم ، فقال : إن تكلمت خالفت القوم ، فقال: انهضوا فقد عزلته عنكم ،

واطلبوا واليا ترضونه))(2). ثم بعد أيام جاء بهم معاوية الى مجلسه ليسألهم ان كانوا قد اتفقوا على شخص ليوليه عليهم، إلا أنهم اختلفوا وسمى كل فريق منهم رجلا، والأحنف لا يتكلم، فطلب منه معاوية أن يشاركهم في النقاش ، فبين للخليفة أنه إن كان الوالي من آل حرب فانه يفضل إعادة عبيد الله بن زياد ، وإن كان من غيرهم فالأمر للخليفة ، عندها قرر معاوية إعادة عبيد الله على البصرة(3) . ويبدو أن اعتماد معاوية على موقف الأحنف ورأيه في اتخاذ قراره بشان عزل عبيد الله عن البصرة وإعادته إليها ، نابع من ثقته بالأحنف المعروف بحنكته وسداد رأيه ، ولأنه رأى فيه تحقق المصلحة العامة للدولة فضلا عن رغبته في احترام القوى القبلية والاهتمام برأيها.
ومن ذلك أيضا أن عبد الله بن جعفر(4) حضر الى مجلس معاوية وطلب منه أن يعيد تعيين حاكم سجستان عليها، فوافق الخليفة على طلبه، وكتب عهده عليها، عندما رأى أنه شخصٌ ملائمٌ لإدارتها(5).

(1) الطبري ، تاريخ ،ج5،ص222 ؛ ابن الأثير ، الكامل ،ج3،ص ص363-364 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان،ج2،ص53 .

(2) الطبري، تاريخ ، ج5، ص317 ؛ ينظر : ابن الجوزي ، المنتظم ،ج4،ص124 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان،ج2 ، ص53 .

(3) الطبري، تاريخ، ج5، ص317؛ ابن الاثير، الكامل،ج3، ص364 ؛ محمود شيت خطاب ، الأحنف بن قيس ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الحادي عشر ،1964م، ص ص67-68 .

(4) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، يكنى بأبي جعفر ، أول مولود ولد للمسلمين في أرض الحبشة ، كان يسمى بحر الجود لكرمه ، كان إذا وفد على معاوية وابنه يزيد يكرمانه ويحترمانه ، توفي سنة (80هـ/699م) .(ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2، ص ص275-276؛ ابن حجر، الإصابة،ج2، ص289) .

(5) الغزالي، مقامات العلماء، ص224؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج59، ص195.

ولما بلغ الخليفة يزيد بن معاوية أن الحسين بن علي يريد الخروج الى الكوفة ، وأن فيها مسلماً ابن عقيل يأخذ البيعة للحسين من أهلها(1) . وأن أميرها النعمان بن بشير الأنصاري لم يتخذ أي إجراء ازاء ذلك ، مما أقلق يزيدا وأساءه(2) ، فعرض الموضوع في مجلسه على سرجون(3) واستشاره فيمن يوليه على الكوفة ، فأشار عليه بعبيد الله بن زياد ، إلا أن يزيد رفض توليته في بادئ الأمر ، غير أن سرجون بين أن هذه رغبة معاوية(4) عندها ولاه الكوفة وعزل النعمان بن بشير عنها(5) .
والظاهر أن ظروف العراق دفعت يزيد بن معاوية الى جمع العراق لعبيد الله بن زياد ، لخبرته ولكونه من البيت الأموي (6) .
ولما وصلت الأنباء إلى يزيد بن معاوية، أن عبد الله بن الزبير يأخذ البيعة لنفسه في مكة ، أقسم أن يحضره إلى مجلسه موثوقا بقيوده(7) ، الا أن عدم النجاح في القبض عليه وإحضاره(8) ، دفع يزيد بن معاوية إلى مناقشة الموضوع مع جلسائه الذين عزوا التقصير في هذا الأمر إلى أمير الحجاز عمرو بن سعيد وشككوا في جديته تجاه هذا الأمر ، فتمخض النقاش عن عزله عن الحجاز وتعيين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بدلا عنه سنة (61هـ/680م)(9) .

(1) الطبري ، تاريخ ، ج5، ص356؛ ابن اعثم ، الفتوح ،ج5، ص59؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج3، ص387.
(2) البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج4-ق2، ص81 ؛ الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص31 .
(3) هو سرجون بن منصور الرومي ، كتب لمعاوية في ديوان الخراج ، وكذلك لابنه يزيد ، كان يتقلد ديوان الشام في عهد عبد الملك ، الذي عزله لما رأى منه تثاقلاً في تنفيذ أوامره .
(الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص24 ، ص ص31-وما بعدها) .
(4) البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج4-ق2، ص81-82 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج5، ص356؛ ابن اعثم ، الفتوح ،ج5، ص60 ؛ الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص31 ؛ النويري ، نهاية الأرب ،ج20، ص388 .
(5) خليفة بن خياط ، تاريخ ،ج1، ص221 ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج3، ص387 .
(6) ثابت إسماعيل الراوي، العراق في العصر الأموي، ط1، مطبعة الإرشاد ، (بغداد ،1965م)، ص46 .
(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص475؛ ابن الاثير، الكامل، ج3، ص446 .
(8) الطبري، تاريخ، ج5، ص476؛ ابن أعثم، الفتوح، ج5، ص279.
(9) الطبري، تاريخ، ج5، ص477؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص448.

ولما تولى أبو المهاجر(1) افريقية (55-62هـ/674-681م)، حبس عقبة بن نافع(2) وأساء معاملته(3) ، وفي سنة(62هـ/681م) حضر عقبة الى مجلس يزيد بن معاوية وبحث معه موضوع عزله والطريقة التي عزل بها ، مذكّرا الخليفة بإنجازاته العسكرية والعمرانية في افريقية خلال ولايته عليها(4) ، عندها قرر يزيد إعادته إليها(5) . ويبدو أن إعادة تعيين عقبة على افريقية، جاءت تثمينا لجهوده فيها، فضلا عن الخبرة التي اكتسبها خلال ولايته عليها .

ولما بدأت العصبية القبلية تظهر في خراسان بين القيسية واليمانية في أثناء ولاية بكير بن وشاح(6) (73-74هـ/692-693م) ، كتب أهل خراسان الى عبد الملك أن يولي عليهم قرشياً ، أملا في أن لا يتعصب لأحد الطرفين (7) ، ولحساسية الأمر أطلع الخليفة عبد الملك جلساءه على مضمون ذلك الكتاب ، وعلى طبيعة أوضاع خراسان ، مبينا أهمية هذا الإقليم كثغر جهادي للمسلمين ، وضرورة تلافي أي خلاف بين أبنائه ، فانتهت مناقشاتهم بتعيين أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد(8) واليا على خراسان سنة (74هـ/693م) (9) .

(1) هو أبو المهاجر دينار بن دينار مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري ، تابعي ، وكان احد القادة المشهورين . (البلاذري ، فتوح البلدان ، ص320 ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج3، ص321) .
(2) هو عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري القرشي، تابعي ، أحد قادة المسلمين المشهورين ، قتل سنة(63هـ/683م). (ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص178 ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ،ج3، ص ص 108-109) .
(3) ابن الاثير ، الكامل ،ج3، ص321 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ،ج3، ص135 .
(4) أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله المالكي، رياض النفوس، قام على نشره: حسين مؤنس، ط1، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة ، 1951م)، ص22 .
(5) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، مطبعة بريل ، (ليدن ،1920م)، ص198 ؛ المالكي ، رياض النفوس ، ص22 ؛ غلوب ، الفتوحات العربية

الكبرى ، ص638 ؛ حسين مؤنس (الدكتور) ، فجر الأندلس ، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر ، (القاهرة ، 1959م)، ص40 .
(6) هو بكير بن وشاح التميمي ، أحد الأمراء في العصر الأموي، كان شجاعا قوي المراس ،ولاه أمية بن عبد الله على طخارستان، ثم قتله في خراسان سنة (77هـ/696م)0(الطبري،تاريخ ،ج6، ص311 ؛ابن الاثير،الكامل ،ج4، ص185).
(7) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص ص199-200 ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص133 .
(8) هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية القرشي ، استعمله عبد الملك على خراسان ، توفي سنة (86هـ/705م) . (ابن سعد ، الطبقات ،ج5، ص478؛ ابن حبان ، الثقات ،ج4، ص40).
(9) البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج4-ق2 ، ص153 ؛ الطبري ، تاريخ ،ج6 ، ص200؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج2، ص ص133-134 .

والظاهر أن قريشا كانت في تلك الحقبة بعيدة عن الصراع القبلي في خراسان على الرغم من أنها محسوبة على الكتلة القيسية ، لذا جاء تعيين أمية لحفظ التوازن بين الكتلتين المتنافستين وهما القيسية واليمانية(1) .

ولما قتل والي افريقية زهير بن قيس البلوي(2) سنة (69هـ/688م) واضطربت أحوالها(3)، ألقى هذا الموضوع بثقله في مجلس الخليفة عبد الملك ، إذ حضر أشراف الناس مجلسه وبحثوا معه الأمر ، مشددين على ضرورة إرسال الجيوش إليها ، وتعيين من يعيد لها الأمن والاستقرار ، ليأمن أهلها من غارات الروم(4) ، فوقع الاختيار في هذا المجلس على حسان بن النعمان الغساني(5) للقيام بهذه المهمة(6) ، وسير معه عبد الملك سنة (74هـ/693م) جيشا كبيرا فأثبت كفاءة إدارية وعسكرية عالية ، واستطاع أن يبسط نفوذه على إفريقية ويعيد لها الأمن والاستقرار(7) .

(1) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص200 ؛ عبد الأمير دكسن ، ملاحظات حول سياسة عبد الملك بن مروان في اختيار عماله ، مجلة كلية الآداب ، العدد الخامس عشر ،1972م، ص52 .
(2) هو زهير بن قيس البلوي ولقبُهُ أبو شداد ، صحابي ، شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص قتل سنة (69هـ/688م) .(ابن الاثير، الكامل ،ج4، ص91؛ ابن حجر، الإصابة ،ج1، ص ص555-556) .
(3) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص321 ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص135 .
(4) المالكي ، رياض النفوس ، ص31 .
(5) هو حسان بن النعمان بن عدي الازدي الغساني ، من أولاد ملوك غسان ، ومن رجال الحرب المشهورين في الفتوحات الاسلامية ، كانت له مكانة عند بني أمية ، مات سنة (87هـ/705م) . (بدران، تهذيب تاريخ دمشق ،ج4، ص149 ؛ الزركلي ، الأعلام ،ج2، ص177) .
(6) المالكي ، رياض النفوس ، ص31 .
(7) أبو إسحق إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق : المنجي الكعبي ، (تونس ،1968م) ،ج1، ص64 ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص ص136-137؛ عبد

الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي في شمال افريقية والأندلس ، دار الرشيد للنشر ، (بغداد ،1982م) ، ص133 .

ولما حضر إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله(1) مجلس عبد الملك، أطلعه على أسلوب الحجاج ابن يوسف في إدارته للحجاز ، وتذمر أهلها من سياسته(2) ، لذا قرر عبد الملك عزل الحجاج عن الحجاز وتعيينه واليا على العراق وذلك سنة (75هـ/694م)(3) .

ويبدو أن عزل عبد الملك للحجاج عن الحجاز ، على الرغم من جهوده في القضاء على عبد الله بن الزبير سنة(73هـ/692م) وإعادة الحجاز الى سلطان بني أمية ،كان إرضاء لأهل هذا المصر من جهة ، ولان الحجاج الرجل المناسب لولاية العراق المضطرب آنذاك من جهة أخرى(4) .

ولحرص الخليفة عبد الملك على أن يكون عماله من أهل الأمانة والعفة، فانه لما بلغه أن أحد هؤلاء العمال يقبل الهدايا ، أحضره الى مجلسه ، وحقق معه في الأمر ، ولما أقر بذلك عزله عن عمله(5) ، وكان هدف الخليفة من هذا الإجراء هو تنظيم الإدارة على أسس صحيحة نقية من الشوائب ، وقبول الهدايا يعني فساد الإدارة وضياع الحقوق لأنه عدّها رشوة سافرة(6).

(1) هو إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي، أبو إسحاق المدني، استعمله عبد الله بن الزبير على خراج الكوفة ، وكان يقال له أسد الحجاز ، توفي سنة (110هـ/728م) . (الزبيري ، نسب قريش ، ص283 ؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ،ج1، ص100).

(2) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج1، ص276 ؛ أبو فرج معافى بن زكريا النهرواني ، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، تحقيق : الدكتور محمد مرسي الخولي ، ط1، عالم الكتب ،(بيروت،1983م)،ج1، ص211

(3) التنوخي ، المستجاد ،ص ص45-46؛ البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص167 ؛ أبو عبد الله بن الأزرق ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق : الدكتور علي سامي النشار ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد،1978م)، ج1، ص ص330-331 .

(4) ابن قتيبة ، المعارف ، ص223 ؛ اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص191 ؛

Sir William Muir , The Caliphate , its rise , Decline and fall , Edinbrgha , 1924 , p.33.

(5) الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص ص 43-44 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص115 .

(6) كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ،ج2، ص167 .

ولما لاحظ عبد الملك تثاقل سرجون بن منصور كاتب ديوان الشام بالرومية في تنفيذ أوامره(1) ، بحث الموضوع في مجلسه مع سليمان بن سعد الخشني (2) كاتب ديوان الرسائل ، إذ انتهت تلك المناقشة بعزل سرجون بن منصور عن عمله ، وإسناده الى سليمان بن سعد ، بعد تعهد الأخير لعبد الملك بنقله إلى العربية(3) . فأسفر هذا المجلس عن حركة تعريب الدواوين، تلك الحركة التي عززت الاستقلال السياسي والإداري للدولة الإسلامية(4).

وعندما ولى الخليفة سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب على العراق حربها وخراجها سنة (96هـ/714م)(5) ، حضر الأخير الى مجلس سلميان ، وناقشه في الموضوع ، طالبا منه أن يعفيه من مسؤولية الشؤون المالية ،وأن يسندها إلى صالح بن عبد الرحمن(6) لخبرته في هذا المجال ، فوافق سليمان على ذلك، وعين صالح بن عبد الرحمن على خراج العراق ، الذي وصله

قبل وصول يزيد بن المهلب(7) . ولعل تدهور أوضاع العراق الاقتصادية خلال ولاية الحجاج بن يوسف (75-95هـ/674-713م) هو الذي دفع يزيد بن المهلب الى الابتعاد عن تولي المسؤولية المالية فيه(8) .

(1) الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص40 .

(2) هو سليمان بن سعد الخشني ، تقلد ديوان الرسائل لعبد الملك ، وكتب لابنه الوليد على ديوان الخراج ، وكتب لعمر بن عبد العزيز ثم عزله ، كما كتب ليزيد بن عبد الملك . (الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص 40،ص47،ص53 ، ص56) .

(3) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص271 ؛ الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص 40 .

(4) الصالح ، النظم الإسلامية ، ص174 .

(5) الطبري ، تاريخ ،ج6، ص523 ؛ ابن اعثم ، الفتوح ،ج7، ص252 ؛ الاسكافي ، لطف التدبير ، ص97 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج3، ص69 .

(6) هو صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم ، أبو الوليد أول من حوّل كتابة دواوين الخراج من الفارسية الى العربية في العراق ، ولاه سليمان خراج العراق ، قتل نحو سنة (103هـ/722م) . (المبرد، الكامل، ج2، ص196؛ الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص38) .

(7) الطبري ، تاريخ ،ج6، ص523 ؛ مجهول ، العيون والحدائق ،ج3،ص ص19-20 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج4، ص301 .

(8) الطبري ، تاريخ ،ج6، ص523 ؛ مجهول ، العيون والحدائق ،ج3، ص19؛ محمد حسين الزبيدي (الدكتور) ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري ، المطبعة العالمية،(القاهرة ،1970م)، ص279.

وعندما ضيق صالح بن عبد الرحمن على يزيد بن المهلب في الجوانب المالية ، دفع ذلك الأخيرَ الى التفكير في تولي خراسان التي كانت شاغرة ، وكان الخليفة سليمان يبحث لها عن شخص مناسب ، ليوليه عليها(1) ، فبعث يزيد بن المهلب عبد الله بن الأهتم(2) الى سليمان لكي يرتب له الأمر والذي حضر الى مجلس سليمان وبحث معه الأوضاع في خراسان ، ومن يصلح لولايتها ، فتم في هذا المجلس اختيار يزيد بن المهلب واليا لها(3) .

وكان الخلفاء الأمويون ينظرون باهتمام الى رأي سكان الأقاليم في تعيين ولاتها ، فيعزلون الوالي الذي لا يرغب الناس به ، من ذلك حضور رجل من حكماء حضرموت الى مجلس سليمان بن عبد الملك ، وشكايته لظلم واليها وسوء إدارته ، عندها قرر سليمان عزل ذلك الوالي وأمره بإعادة الحقوق الى أصحابها، بعد أن اقتنع بدقة ملاحظات الحضرمي(4) .

إن قدوم مثل هذا الشخص الى مجلس الخليفة سليمان يبين مدى ثقة العامة بخلفائهم وحرص الخلفاء الشديد على نشر العدل بين الناس ومحاربة الفساد الإداري بكل مظاهره.

(1) الطبري ، تاريخ ،ج6، ص ص524-525؛ مجهول ، العيون والحدائق ،ج3،ص20؛ فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمه عن الفرنسية : الدكتور حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم ، ط2، مطبعة السنة المحمدية ، (القاهرة ،1965م)، ص23 .

(2) هو عبد الله بن الأهتم المنقري ، كان خطيبا ذا مقامات ووفادات . (الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1، ص355).

(3) الطبري ، تاريخ ،ج6، ص ص525-526؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص301 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج6، ص298 .
(4) ابن الجوزي ، المصباح المضىء ،ج2، ص58 .

ولما عزل الخليفة عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحكمي(1) عن ولاية خرسان سنة (100هـ/718م)(2) حرصا منه في اختيار وال يناسبها ، استدعى الى مجلسه من أهل خراسان أبا مجلـز(3)، ليستشيره فيمــن يولي عليها ، لمعرفته بأحوالها ورجـالها ، فجرى بينهما حديث قدّم أبو مجلز من خلاله توضيحا عن صفـات المرشحيـن ومزياتهم لتولي هذا المنصــب(4) ، وبناءً على المعلومات التي قدمها أبو مجلز ، اختار الخليفة عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم لتولي صلاتها وحربها ، وعين عبد الرحمن بن عبد الله القشيري على خراجها(5) .

إن استدعاء عمر بن عبد العزيز لشخص معين من أهل خراسان ليستشيره في من يوليه عليهم ، ما هو إلا مظهر من مظاهر الاهتمام بالرأي العام ، والأخذ بآراء الثقاة مما سيؤدي ذلك الى تعيين من يثق بهم الناس ، والذي من شأنه تحقيق أفضل السبل في إدارة البلاد ، ونشر العدل بين الرعية .

وكان الخلفاء يسمحون في مجالسهم بحضور المعزولين عن مناصبهم ليستفهموا عن أسباب عزلهم ، فمثلا لما عزل عمر بن عبد العزيز أحد قضاته ،حضر القاضي الى مجلس الخليفة وناقشه في الأمر ، متسائلا عن أسباب عزله، فأجابه الخليفة قائلا: ((بلغني أن كلامك أكثر من كلام الخصمين اذا تحاكما إليك))(6) .

لذا فإن عمر بن عبد العزيز كان يرى أن كثرة كلام القاضي لا يتناسب و مهنته ، لأن ذلك ربما لا يعطي الفرصة الكافية للمتخاصمين لتوضيح ما لديهم من حجج ، وبالتالي يؤثر في تحقيق العدالة التي حرص عليها كثيرا .

(1) هو الجراح بن عبد الله الحكمي ،أصله من اليمن ،سكن الشام ، كان من رواة الحديث.(ابن حبان،الثقات ،ج4، ص112 ؛ علي بن أبي الكرم محمد بن الأثير،اللباب في تهذيب الأنساب ،مكتبة المثنى،(بغداد ،بلات)،ج1، ص378) .
(2) اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص211 ؛ الطبري ، تاريخ ،ج6، ص 558؛ ابن خلدون ، تاريخ ،ج3،ص139.
(3) هو لاحق بن حميد بن سدوس بن شيبان ، ثقة له أحاديث ، كان ينزل خراسان ، وكان عامل بيت المال بمرو وعلى ضرب السكة ، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز . (ابن سعد ، الطبقات ، ج7،ص367؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص264 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج6، ص561) .
(4) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص561؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج4، ص321 .
(5) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص561؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج4، ص321-322 .
(6) الآبي ، نثر الدر ، ج2، ص118؛ ينظر : ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، ص61 .

ولما أراد عمر بن عبد العزيز تعيين شخص على صلاة مصر ، عرض الأمر على جلسائه،طالبا منهم أن يرشحوا له من أهلها من يصلح لتولي هذا المنصب(1)، فرشح له جلساؤه شخصين اختار أحدهما بعد أن تبين له أنه أقصد في صلاته من صاحبه(2) .

ولما أساء أمير الحجاز عبد الرحمن بن الضحاك(3) ، التصرف مع فاطمة بنت الحسين (4) وحاول إيذاءها بأحد أبنائها لرفضها الزواج منه(5) ، رفعت شكواها الى الخليفة يزيد بن عبد الملك الذي استنكر هذا التصرف وناقش جلساءه في أبعاده وتداعياته ، وقرر في ذلك المجلس

عزله ومعاقبته عقوبة قاسية ، وذلك سنة (104هـ/722م)(6).مما يبين مدى احترام خلفاء بني أمية وإجلالهم لآل بيت النبي محمد ، وحرصهم على حفظ مكانتهم .

ولما توفي والي خراسان أسد بن عبد الله القسري سنة (120هـ/738م) ، كتب الخليفة هشام بن عبد الملك الى والي العراق يوسف بن عمر الثقفي أن يبعث إليه رجلا له علم وخبرة برجالات خراسان وقوادها ، ليستشيره في اختيار خلف لأسد(7) ، فبعـث إليه بعبد الكريم بن سليط الحنفي(8) ، الذي حضر مجلس هشام ، إذ جرى بينهما نقاش مطول ، طرح عبد الكريم خلاله أسماء أشخاص عدة لشغل هذا المنصب ،

(1) أبوعمر محمد بن يوسف الكندي ، الولاة وكتّاب القضاة ، تهذيب وتصحيح : رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، (بيروت ،1908م)، ص67 .

(2) المصدر نفسه ، ص67 .

(3) هو عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، استعمله يزيد بن عبد الملك على الحجاز سنة (101هـ/719م) ثم عزله عنها سنة (104هـ/722م) . (خليفة بن خياط ، تاريخ ،ج1، ص340 ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص233 ؛ اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص218) .

(4) هي فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، تزوجها ابن عمها الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه (ابن سعد ، الطبقات ، ج8، ص474) .

(5) ابن سعد ، الطبقات ، ج8، ص474 ؛ الطبري ، تاريخ ،ج7، ص13 .

(6) الطبري ، تاريخ ،ج7، ص13 ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص363 .

(7) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص339 ؛ اليعقوبي ، تاريخ ،ج2،ص ص228-229 .

(8) هو عبد الكريم بن سليط بن عقبة الهفاني الحنفي ، من أهل مرو ، كان أحد رواة الحديث . (الطبري ، تاريخ ، ج7، ص155 ؛ ابن حبان ، الثقات ،ج7، ص131).

لكن الخليفة لم يقتنع بأحد منهم ، ولما عرض عليه اسم نصر بن سيار(1) ، قال هشام : ((هو لها ، قال : إن اغتفرت واحدة ، فإنه عفيف مجرب عاقل ، قال : وما هي ؟ قال : عشيرته قليلة ، قال : لا أبا لك ، أتريد عشيرة أكبر مني ، أنا عشيرته))(2) . فكانت نتيجة هذا المجلس تعيين نصر بن سيار واليا على خراسان(3) .

يتضح من ذلك من ذلك مدى حرص الإدارة الأموية في عهد هشام ، على الاهتمام بالانتماء والإسناد القبلي للولاة ، وموازنة هذه القضية مع مواصفات الولاة الأخرى ، وهكذا كان هشام موفقا في الاختيار ، إذ أنجز نصر بن سيار خلال ولايته(120-131هـ/738-748م) الكثير من الأعمال التي تستحق التقدير في الجوانب الاقتصادية والعسكرية(4) .

ولما دانت خراسان لنصر بن سيار حسده والي العراق يوسف بن عمر فحاول عزله عنها ، وتعيين الحكم بن الصلت عليها ، فكتب بذلك الى الخليفة هشام ، مبينا ما يتميز به الحكم بن الصلت من خبرة في الإدارة تؤهله لتولي خراسان (5) ، وبوصول الكتاب الى هشام ، أحضر الى مجلسه من دار ضيافة الخلافة ، رجلا من أهل خراسان يدعى مقاتل بن علي الصغدي (6) ليشاوره في الأمر ، والتأكد من مدى صحة مضمون كتاب يوسف بن عمر ، فلما تبين لهشام أن خبرته في إدارة خراسان قليلة لأنه لم يتول فيها إلا قرية صغيرة ، رفض تعيينه عليها ، وأقر نصر بن سيار في منصبه(7) .يتضح من هذا المجلس مدى حرص الخليفة هشام على استعمال أهل الخبرة والتجربة ، لما لذلك من أثر كبير في إنجاز المهام التي تُناطُ بهم .

(1) هو نصر بن سيار بن رافع بن حرب بن ربيعة الكناني ، كان شيخ مضر في خراسان ، تولى قيادة الجيش فيها ، ثم عينه هشام واليا على خراسان حتى نهاية الدولة الأموية . (ابن قتيبة ، المعارف ، ص231 ؛ الزركلي ، الأعلام ،ج8، ص23) .

(2) الطبري ، تاريخ ،ج7،ص ص155-156 ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص ص440-441 .

(3) اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص229 ؛ الطبري ، تاريخ ،ج7، ص156 .

(4) الكبيسي ، عصر هشام بن عبد الملك ، ص145 .

(5) الطبري ، تاريخ ،ج7، ص193 ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص459 .

(6) لم أعثر له على ترجمة .

(7) الطبري ، تاريخ ، ج 7 ، ص 193 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج4 ، ص 459 .

ولما قرر الخليفة هشام تعيين إبراهيم بن أبي عيلة(1) على خراج مصر أحضره الى مجلسه وأبلغه بقرار تعيينه ، مبينا له أن اختياره لهذا المنصب كان لأمانته وحسن سيرته بين الناس(2) ، الا أن ابراهيم اعتذر عن تولي هذا المنصب ، متعللا بقلة خبرته في مجال الشؤون المالية(3)، مما أغضب الخليفة هشاماً، ودفعه الى العدول عن رأيه(4) .

ويبدو أن غضب هشام نابع من رغبته في إسناد الشؤون المالية لمن عرف بأمانته وصدقه، وبخاصة أن أمانة إبراهيم بن أبي عيلة يؤكدها اعتذاره عن تولي هذا المنصب لقلة خبرته في هذا المجال .

وكان الخلفاء الأمويون ينظرون باهتمام الى الرأي العام الى جانب الكفاءة ، عندما يختارون الولاة لأقاليمهم ، فالخليفة الوليد بن يزيد (125-126هـ/742-743م) ، لما عزل منصور بن جمهور(5) عن العراق سنة (126هـ/743م) ، وقرر تعين عبد الله بن عمر بن عبد العزيز مكانه ، التقى الأخير في مجلسه وناقشه في أسباب ذلك التعيين ، موضحا له أن أهم الأسباب وراء توليته العراق ، هو احترام أهل هذا المصر لأبيه عمر بن عبد العزيز ومكانته في نفوسهم، قائلا : ((إن أهل العراق يميلون الى أبيك فسر إليها فقد وليتكها))(6) .

(1) هو إبراهيم بن أبي عيلة ، كان كاتباً للخليفة هشام بن عبد الملك ، يقيم في فلسطين ، وكانت له مكانة عند الخليفة المنصور ويحضر مجالسه . (الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص137) .

(2)التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج1، ص88 ؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار ، إعتاب الكتّاب ، تحقيق : صالح الأشتر ، المطبعة الهاشمية ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، (دمشق ،1961م) ، ص64 .

(3)الأصفهاني ، حلية الأولياء ،ج5، ص244 ؛ ابن الأبار ، إعتاب الكتّاب ، ص64 .

(4) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج1، ص89؛ الأصفهاني ، حلية الأولياء ،ج5، ص244 ؛ ابن الأبار ، إعتاب الكتّاب ، ص64 .

(5) هو منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو الكلبي ، كان من فرسان المسلمين ، وكان على العراق ثم عزل عنه ، ووُلي مكانه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وكان أحد الستة الذين قتلوا الخليفة الوليد بن يزيد. (ابن دريد ، الاشتقاق ، ص541 ؛ الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص70 ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص458) .

(6)الطبري ، تاريخ ،ج7، ص284 ؛ ينظر : ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص494 .

ولما أحضر الخليفة مروان بن محمد ابن رغبان(1) الى مجلسه ليوليه عملا ، ورأى آثار العبادةِ واضحة عليه ، عدل عن قرار تعيينه ، قائلا له : ((يا هذا إن كان بك من عبادة فما يحل لنا أن نستعملك ، وإن كان من رياء فما يحل لنا أن نستعملك))(2) . يتبين من هذا المجلس أن الخلفاء الأمويين كانوا يرون أنه من غير المناسب استعمال من لا تتوافر لديه الخبرة الإدارية الكافية وإن كان من العباد والزهاد ، أو من يشك في صدقه وإخلاصه .

ومما تقدم يتضح أن مجالس الخلفاء الأمويين تكاد تكون دارا للتشاور والنقاش الحر ، وتبادل الآراء التي تطرح بين الخلفاء والرعية لاختيار ولاتهم بأنفسهم على وفق الكفاءة ، نظرا لان الولاة يمثلون الخلفاء في ولاياتهم ، كما كان يترك فيها الخلفاء حرية الرأي للشخص في موافقته على قبول الوظيفة أو المهمة التي يكلف بها أو رفضها وعدم إقحامه بها إذا لم يكن راغبا فيها . وهذا دليل على مدى تكامل العقلية الإدارية والحضارة الإسلامية ونضوجها .

(1) هو حبيب بن عبد الله بن رغبان ، مولى حبيب بن سلمة الفهري ، تقلد الاعطاء لأبي جعفر المنصور . (الجهشياري، الوزراء والكتّاب ، ص102).

(2) الآبي ، نثر الدر ،ج3،ص ص74-75 .

التوجيهات الإدارية

اهتم الخلفاء الأمويون بتنظيم شؤون الدولة وإدارتها حرصا منهم على نجاح ولاتهم في إدارة أقاليمها ، فشهدت مجالسهم تقديم توجيهات وإرشادات هدفها إدارة تلك الأقاليم بطريقة تحفظ حقوق الدولة والفرد على حد سواء ، ففي بعض المجالس كان الجلساء يقومون بتقديم نصائح إدارية ، هدفها المصلحة العامة ، فمن ذلك النصيحة التي تقدم بها مروان بن الحكم للخليفة معاوية في أحد مجالس الأخير،بخصوص صفات الشخص الذي يصلح لإدارة العراق ، إذ نصحه أن لا يولي هذا المصر إلا لشخص إداري له خبرة إدارية واسعة في شؤون العراق وأوضاعه، يتصف بالحلم والأناة ، وغير متسرع في اتخاذ القرارات ، وأن لا يستكره أهله على شيء(1) . إن مسحة القلق وعدم الاستقرار التي طبعت أوضاع العراق ، واحتياجه الى نمط خاص من الولاة ، من أصحاب الكفاءة والخبرة الإدارية ، دفعت معاوية الى إشراك جلسائه في هذا الموضوع .

وكان الخلفاء الأمويون يستثمرون وجود ولاة الأقاليم في مجالسهم ليزودوهم بالتعليمات التي يرونها ضرورية وتساعدهم في إدارة مناطقهم ، ومنها تلك التوجيهات التي أعطاها الخليفة معاوية لزياد بن أبي سفيان في أحد مجالسه ، بخصوص إدارة العراق ،التي دعاه فيها الى الابتعاد عن الإفراط في الحب والبغض خلال تعامله مع الرعية ، لأن ذلك ربما يؤدي الى ضياع حقوق الناس ،كما نصحه بالتراجع عن قراراته اذا اكتشف انها غير صائبة ، إذ قال له : ((يا زياد ليكن حبك وبغضك قصدا ، فإن العثرة فيهما كامنة ، واجعل للنزوع والرجوع بقية في قلبك))(2) .

كما كان يجري في مجالس الخلفاء الأمويين ، تزويد الولاة عند تعيينهم بالتوجيهات الإدارية، التي من خلالها يرسمون لهم الخطوط العريضة التي عليهم اتباعها في إدارة أقاليمهم فمثلا عندما أسند الخليفة معاوية ولاية خراسان الى عبيد الله بن زياد سنة (54هـ/673م)(3) ، قدّم له توجيهات دعاه فيها الى تقوى الله تعالى ، والوفاء بالعهود ، والتأني في اتخاذ القرارات ، كما دعاه الى إشاعة العدل والمساواة بين الرعية(4) .

(1) **الآبي ، نثر الدر ، ج3، ص44 .**

(2) القيرواني ، زهر الآداب ،ج2،ص ص587-588 .
(3) الطبري ، تاريخ ،ج5، ص296؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج3، ص345 .
(4) الطبري ، تاريخ ،ج5، ص ص296-297؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج3، ص345 ؛ابن خلدون ،تاريخ ،ج3،ص15 ؛ العصامي ، سمط النجوم ،ج3، ص18 .

ولما عين الخليفة يزيد بن معاوية في أحد مجالسه سَلماً بن زياد واليا على خراسان وسجستان سنة (61هـ/680م)(1) ، دعاه الى اليقظة والحزم في إدارة ولايته ، وحذره من التهاون والتقصير ، ونصحه بالجد والمثابرة في مباشرة الأمور ، من أجل الارتقاء الى أفضل الصيغ في الإدارة ، كما أوصاه بالابتعاد عن الارتجال في اتخاذ القرارات ، واعتماد التخطيط المسبق ، الذي هو بدون شك أحد سمات الإدارة الناجحة(2) .

وبعد أن بسط الخليفة مروان بن الحكم نفوذه على مصر سنة (64هـ/683م) وقرر العودة الى دمشق ، أسند ولاية مصر لابنه عبد العزيز ، والذي استصعب البقاء فيها وليس بها أحد من أهل بيته ، قائلا : ((يا أمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به أحد من بني أبي))(3)، إلا أن الخليفة زوده بتوجيهات بين له فيها أن حسن معاملة الرعية ، وحسن استقبالهم ، يؤدي الى كسب ودهم ، وجعلهم أتباعاً مخلصين ، قائلا : ((يا بني عُمَّهم بإحسانك يكونوا كلهم بني أبيك ، واجعل وجهك طلقا تصفُ لك مودتهم ، وأوقع الى كل رئيس منهم انه خاصتك دون غيره يكن عيناك على غيره وينقاد قومه إليك))(4) . وبهذه التوجيهات حدد مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز معالم النهج الإداري الذي من خلاله يمكن استمالة قلوب الرعية ، واحتواء شخصيات المجتمع ، بتقريبهم إليه ، مما يؤدي إلى انقيادهم وطاعتهم(5) .

(1) الطبري ، تاريخ ،ج5، ص472؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج3، ص445 .
(2) الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2، ص151 ؛ الآبي ، نثر الدر ،ج3، ص38 . وفي رواية ان تلك التوجيهات كانت من قبل يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد وليس لسلم . (القيرواني ، زهر الآداب ،ج2، ص993) .
(3) الكندي ، الولاة وكتّاب القضاة ، ص47 ؛ ينظر : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مطبعة بولاق ،1294هـ، اعادة طبعه بالاوفست ، مكتبة المثنى ، (بغداد،1970م) ،ج1، ص209 .
(4) الكندي ، الولاة وكتّاب القضاة ، ص47 ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ص209 .
(5) ساجدة محمد زكي اللهيبي،وصايا الخلفاء السياسية في العصر الأموي،دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مطبوعة بالآلة الكاتبة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 1993م ، ص55 .

كما دعاه الى الوفاء بالعهد ، وأن لا يقدم على أمر حتى يستشير فيه لما للاستشارة من دور في اتخاذ القرارات المناسبة ، فقال له : ((وأوصيك أن لا تعد الناس موعدا إلا نفذته لهم وإن حملته على الأسنة وأوصيك أن لا تعجل في شيء من الحكم حتى تستشير فإن الله لو أغنى أحدا من ذلك لاغنى نبيه محمداً بالوحي))(1) .

ففي هذا المجلس حدد له أبوه أسلوبا في الحكم والإدارة يقوم على تنفيذ ما يلزم به نفسه أمام العامة، لما لذلك من أثر في زرع الثقة في نفوسهم ، واعتماد مبدأ الشورى في اتخاذ القرارات ، ذلك المبدأ الذي عده نهجا إسلاميا لا يمكن الاستغناء عنه ، ويبدو أن عبد العزيز أفاد من تلك التوجيهات في

إدارته لمصر ، التي شهدت استقرارًا وتطورًا على جميع الأصعدة ، خلال ولايته (64-85هـ/683-704م)(2) .
وفي أحد مجالسه قدّم الخليفة عبد الملك بن مروان ، لأخيه عبد العزيز الذي كان واليا على مصر ، توجيهات إدارية تساعده في إدارة ولايته ، دعاه فيها الى الإعتناء بعملية اختيار الحاجب،
وضرورة إلقاء التحية على أصحابه لما للتحية من أثر في نفوس الآخرين ، كما دعاه الى التأني في إصدار الأحكام والعقوبات(3) . وطلب منه أيضا الاهتمام وبشكل مستمر بكاتبه وحاجبه وجليسه قائلا : ((تفقد كاتبك وحاجبك وجليسك ، فإن الغائب يخبره عنك كاتبك ، والمتوسم يعرفك بحاجبك ،والداخل عليك يعرفك بجليسك))(4) . لأن هؤلاء الثلاثة يمثلون أهم عناصر الإدارة ، فإذا أحسن اختيارهم ، واستمر في مراقبتهم سوف يحقق نجاحا في إدارة شؤون ولايته،لأن الأعوان الأكفاء الصادقين يشتد بهم الملك ويقوى(5)، خصوصا الحاجب لدوره في تنظيم عمل المسؤولين في الدولة،لأنه يمثل الواجهة التي تتوسط بين المسؤول والرعية(6) .

(1) **المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ص ص**209-210 .

(2) **اليعقوبي ، تاريخ ،ج**2**، ص**196 ؛ **كرد علي ، الإسلام والحضارة ، ج**2**، ص**163 .

(3) **أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ،ط**1**، مطبعة الخانجي ، (القاهرة ،**1979**م)، ج**2**، ص**38 ؛ **ابن الطقطقي، الفخري ،ص**126 ؛ **شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي ، طراز المجالس ، المطبعة الوهبية ، (مصر ،**1284**هـ) ، ص**77 .

(4) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج**1**، ص**44 ؛ **ينظر : الخفاجي ، طراز المجالس ، ص ص**77-78 .

(5) **ابن أبي الربيع ، سلوك المالك ، ص**139 .

(6) **المصدر نفسه ، ص**160 ؛ **أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني المرادي ، الإشارة الى أدب الإمارة ، دراسة وتحقيق : الدكتور رضوان السيد ،ط**1**، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت ، **1981**م)، ص ص**108-109

وفي مجلس عبد الملك الذي قرر فيه إسناد ولاية الكوفة لأخيه بشر بن مروان سنة (72هـ/691م)(1) ، وإرسال روح بن زنباع الجذامي (ت84هـ) مستشارا له ، زود عبد الملك بشرا بتوجيهٍ إداري ، كان يرى أنه ضروري لإدارة هذا المصر ، فطلب منه أن لا يتخذ قرارا ولا يقطع أمرا إلا بعد التشاور مع روح ، إدراكا من الخليفة لما للاستشارة من دور في اتخاذ القرارات الصائبة ، فضلا عما يتمتع به روح من صفات الصدق والعفاف ، والإخلاص للأمويين(2) ، الا أن بشرا لم يلتزم بهذا التوجيه ، وضاق ذرعا بروح ، مما دفع الأخير إلى العودة الى دمشق(3) .
ولما ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق سنة (75هـ/694م) ، بعد تفاقم خطر الخوارج واضطراب أوضاعه(4) ، زوده في مجلسه بتوجيهٍ انطوى على تعليمات إدارية كان عبد الملك يرى أنها مناسبة لنجاح الإدارة في هذا الإقليم ، اذ دعاه الى الحزم والشدة والحذر في التعامل مع أهل هذا المصر المضطربة أحواله(5)، والتزم الحجاج بهذه التوجيهات منذ اليوم الأول لوصوله الكوفة ، من خلال خطبته التي ألقاها في مسجدها(6) .
وإدراكا من الخليفة عبد الملك لأهمية عمل الحاجب ، ومن أجل تنظيم ذلك العمل ، دون التأثير على الجوانب الأخرى ، حدد لحاجبه في أحد مجالسه واجباته وبين له صلاحياته ، جاء ذلك في

توجيهِ له ، قائلا : ((وقد جعلت حجابة بابي بيدك ، إلا عن ثلاثة : صاحب الطعام فإنه يفسد بالتأخير ، والإذن بالصلاة فانه داع الى الله ، والبريد فان في تأخيره فساد القاصية))(7) .

(1) **خليفة بن خياط ، تاريخ ،ج1، ص**265 .

(2) **أبو اسحق ابراهيم المعروف بالرقيق النديم ، قطب السرور في أوصاف الخمور ، تحقيق : أحمد الجندي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، (دمشق ، بلا ت) ، ص**291 .

(3) **الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص ص**36-37 ؛ **المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص ص**109-110.

(4) **الطبري ، تاريخ ،ج6، ص**202 ؛ **ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص**138 ؛ Jeam Baptiste perier,Vied ALHadjdj ibn Yousof .Librairie Emile Bouillon ..Paris,1904.p.326

(5) **القيرواني ، زهر الآداب ،ج2، ص**904 .

(6) **ينظر** : **اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص**191 ؛ **الطبري ، تاريخ ،ج6، ص ص**202-203 ؛ **المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص ص**123-124 ؛ **ابن الجوزي ، المنتظم ،ج4، ص ص**304-307 ؛ **ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص ص**138-139 .

(7) **ابن الأزرق ، بدائع السلك ،ج1، ص**237 .

ولم يألُ الخليفة عمر بن عبد العزيز جهدا في اختيار أنسب الولاة وأصلحهم ، فقد كان يطلب في بعض الأحيان من جلسائه أهل الخبرة والتجربة أن يقدموا له النصائح والتوجيهات الإدارية ، بخصوص صفات من يصلح لتولي تلك المناصب ، التي كان هدفه من ورائها الارتقاء الى أفضل صيغ الإدارة ، خدمة للصالح العام ، فمن ذلك طلبه من جلسائه أن يرشدوه إلى أناس ليستعملهم ، فقالوا له : ((عليك بأهل العذر ، قال : ومن هم ، قالوا : الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم وإن قصروا قال الناس : قد اجتهد عمر))(1) . ويبدو أنها نصيحة إدارية مهمة والغاية منها تسهيل عملية إدارة الولايات ، والوصول الى إسلوب إداري هدفه إرضاء أهلها ، إذ إنها تقوم ، على أساس أن سكان كل إقليم أو ولاية يرشحون للخليفة شخصا يوليه عليهم، فان نجح في عمله كان ذلك هدف الخليفة ومبتغاه وإن أخفق في مهمته فالرعية تتحمل أخطاءه لأنها شاركت في اختياره(2)

ولما طلب الخليفة عمر بن عبد العزيز في أحد مجالسه من إياس بن معاوية (ت 122هـ) أن يدله على أناس من العلماء (القراء) ليوليهم ، بين له أنهم صنفان ، صنف يعمل للآخرة فهؤلاء لا يطلبون المناصب ولا يرغبون بها ، وصنف يعمل للدنيا فنصحه بعدم استعمالهم ، لكونهم نفعيين وأصحاب مصالح شخصية ، لا يصلحون للإدارة ، ودعاه الى استعمال أهل الخبرة والكفاءة من أهل البيوتات المعروفة(3) .

وفي مجلس للخليفة يزيد بن الوليد (126هـ/743م) ، قدّم له أحد جلسائه ، نصيحة إدارية مهمة تنم عن تجربة وبعد نظر ، بأن دعاه الى تولية أصحاب المكانة الاجتماعية من أهل البيوتات المعروفة ، وأن يعين رجالاً من أهل العلم والصلاح يتابعون تنفيذهم لأوامر الخلافة ، قائلا : ((يا أمير المؤمنين ، ول أهل البيوتات ، وضم الى كل عامل رجالا من أهل الخبرة والعفة يأخذونهم بما في عهدك ، قال : أفعل))(4) .

إن هذه النصيحة دعوة الى إسلوب إداري يضمن تنفيذ أوامر الخلافة ، عن طريق الاستعانة بأهل الخبرة والتجربة ، وتعيين مساعدين لهم من أهل الصلاح والعفة ، يراقبون دقة وشرعية قراراتهم ، لأنه ربما تتوافر الخبرة ، ولا تتوافر العفة . (1) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج1، ص17 .**

(2) **خماش ، الإدارة في العصر الأموي ، ص122.**

(3) **أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي ، البصائر والذخائر ، حققه وعلق عليه : أحمد أمين والسيد أحمد الصقر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، 1953م)، ص63 .**

(4) **الطبري ، تاريخ ، ج7، ص293 .**

إدارة الولاة للأقاليم

كانت الدولة الإسلامية في العصر الأموي مقسمة على عدة ولايات، كل ولاية يديرها والٍ تسند إليه الشؤون الإدارية والمالية والعسكرية ، والواجبات الدينية فيها(1) .

ولما كانت أقاليم الدولة الإسلامية متفاوتة من حيث أهميتها ،ومدى استقرارها وطبيعة الأحداث الدائرة فيها ، فضلا عن رغبة الخلافة في إسلوب إدارتها ، لذا ظهرت أنماط مختلفة من إدارة الولاة لها ، ومن أجل الوصول الى الصيغة المناسبة في إدارة كل إقليم ، حرص الخلفاء الأمويون على متابعة أساليب إدارة تلك الأقاليم وتقييم أداء ولاتها ، وتشخيص الحالات السلبية والعمل على تجاوزها ، لذا تناولت مجالسهم طريقة إدارة الولاة لتلك الأقاليم ، ففي لقاء له مع أهل العراق تطرق الخليفة معاوية معهم إلى الأوضاع في العراق عامة والبصرة خاصة(2) ، إذ قام رجل من أهل الكوفة وانتقد إدارة عبد الله بن عامر للبصرة (41-45هـ/661-665م) ، واصفا إياه بالعجز والضعف ، قائلا : ((يا أمير المؤمنين ، إن أهل البصرة أكلهم سفهاؤهم وضعف عنهم سلطانهم ، فقال معاوية : تتكلم عن أهل البصرة وهم حضور))(3) . والظاهر أن الخليفة معاوية كان يفضل سماع ذلك من أهل البصرة ، لأن الأمر يعنيهم أكثر من غيرهم .

إن إدارة عبد الله بن عامر للبصرة كانت تقوم على الرفق واللين وغض الطرف عن بعض تجاوزات أهلها(4) ، فكثرت فيها الإضطرابات وانتشرت الفوضى ، لأن هذا النوع من الإدارة لم يكن هو الأسلوب المناسب في التعامل مع سكانها ، فكانت النتيجة عزله عنها سنة (45هـ/665م) (5) .

(1) **الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص51 ؛ محمد ضياء الدين الريس ، النظريات السياسية الإسلامية ، دار المعارف ، مطبعة لجنة البيان العربي ، (القاهرة ، 1966-1967م) ، ص ص232-233 .**

(2) **الطبري ، تاريخ ، ج5، ص213 ؛ ابن الاثير ،الكامل، ج3، ص 298 .**

(3) **الطبري ، تاريخ ، ج5، ص213 ؛ ابن الاثير ، الكامل، ج3، ص 298 .**

(4) **الطبري ، تاريخ ، ج5، ص212 ؛ ابن الاثير ، الكامل، ج3، ص 298 .**

(5) **خليفة بن خياط ، تاريخ ،ج1، ص191 .**

وفي أحد مجالسه وبحضور عتبة بن أبي سفيان والي مصر (43-44هـ/663-664م) ، بحث الخليفة معاوية مع عدد من أهل مصر إدارة عتبة لبلادهم ، والذين انتقدوا بدورهم بكل حرية وصراحة تلك الإدارة، لكون عتبة لا يلتقي الناس إلا قليلا ولا يرونه إلا نادرا ، إذ وصفه أحدهم

لمعاوية قائلا : ((حوت بحر يا أمير المؤمنين ووعل (1) برٍ ، فقال معاوية لعتبة :اسمع ما تقول فيك رعيتك))(2) . إلا أن عتبة دافع عن نفسه وبرر تصرفه بعدم إمكانيته التصرف بالأموال لتلبية حاجات الرعية ، عندها ضم إليه معاوية الخراج(3) . يتضح من ذلك أن أهل مصر يرون أن قلة لقاء الولاة بالرعية يعد خللا إداريا ، لأن ذلك من شأنه تعطيل مصالح الكثير من الناس ، فضلا عن عدم قدرة بعضهم على إيصال شكواهم إليه.

ولكي يطمئن الخليفة معاوية على الوضع في العراق راجع أحد جلسائه في إدارة زياد لهذا المصر،والذي بين لمعاوية أن زياداً كان حازما في إدارته،يمارس عمله ويتخذ قراراته بعيدا عن الهوى والعاطفة، يستعمل على الكفاءة والأمانة،ولايقدم على خطوة إلا بعد تخطيط مسبق لها(4).

ومن الجدير بالذكر أن زياداً عمل جاهدا على تثبيت سلطان بني أمية في الأقاليم التي عهد إليه بإدارتها بكل ما أوتى من دهاء وحنكة ، فاستقرت البلاد وانتشر الأمن بين الناس (5) ، تلك الحالة الجديدة التي وضح زياد أسبابها لمعاوية عندما سأله في مجلسه عن إدارته للبصرة ، قائلا : ((أقمتهم بعد حنف ، وكففتُهم عما لايُعرف بما يُعرف ، فاذعن المعاند عن الحق رغبة ، وخضع المبتدع رهبة))(6) .

(1) **الوعل** : **تيس الجبل وهو نوع من الغزلان . (ابن منظور ، لسان العرب ،ج3، ص953) .**

(2) **ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص86 ؛ ينظر : الكندي ، الولاة وكتّاب القضاة ، ص36 .**

(3) **ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص86 ؛ الكندي ، الولاة وكتّاب القضاة ، ص36 .**

(4) **الآبي ، نثر الدر ،ج4، ص240 ؛ ابن منقذ ، لباب الآداب ، ص ص40-41 .**

(5) **الطبري ، تاريخ ، ج5، ص222 ؛ العسكري ، الأوائل ، ص205 ؛ عماد الدين إسماعيل أبي الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، بلا ت ، ج1، ص185 .**

(6) **بدران ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج7، ص5 .**

كما تباحث الخليفة معاوية في مجلسه مع سعيد بن العاص(1) حول إدارة مروان بن الحكم للحجاز(2)، إذ أشاد سعيد بإسلوب مروان في إدارته لهذا الإقليم، وقدرته على ضبط أموره بتنفيذه أوامر الخلافة ، وطريقة تعامله مع أهله ، القائمة على الحلم واللين والبعيدة عن الشدة والقسوة ، آخذا بنظر الاعتبار خصوصية الحجاز ومكانة أهله(3) .

ولعل مناقشة معاوية موضوع إدارة مروان بن الحكم للحجاز مع سعيد بن العاص ، لخبرة الأخير وتجربته الإدارية ، حين كان واليا على الحجاز قبل مروان ، ولكي يطمئن على النهج الذي رسمته الخلافة لإدارة هذا الإقليم ، والذي يقوم على الرفق واللين في التعامل مع سكانه(4) .

وفي مجلس للخليفة معاوية انتقد معاوية بن حديج(5) ، إدارة عبد الرحمن بن أم الحكم(6) للكوفة خلال ولايته عليها ، جاء ذلك من خلال رد معاوية بن حديج على أم الحكم وتبريره لمنعه ابنها عبد الرحمن من دخول مصر واليا عليها ، برغم تعيينه من الخليفة معاوية(7) .

(1) **هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي ، كان من سادات المسلمين وأجوادهم ، استعمله الخليفة عثمان على الكوفة ، كان معاوية يعاقب بينه وبين مروان بن الحكم على الحجاز ، توفي سنة (58هـ/677م) . (ابن عبد البر ، الاستيعاب ،ج2، ص ص9-10؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج8، ص87).**

(2) **تولى مروان بن الحكم الحجاز مرتين في عهد الخليفة معاوية ، الأولى من (41-48هـ/661-668م) ، والثانية من (54-57هـ/673-676م) .(خليفة بن خياط ، تاريخ ،ج1،**

ص217) .
(3) الطبري ، تاريخ ،ج5،ص295؛ الآبي ، نثر الدر ، ج3، ص164 .
(4) علي حسني الخربوطلي ، الدولة العربية الإسلامية ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (القاهرة ، 1960م)، ص ص168-169 .
(5) هو معاوية بن حديج بن جفنة بن حارث السكوني ، له صحبة ،شهد فتح مصر ، كان عاملا لمعاوية عليها. (ابن سعد، الطبقات ، ج7، ص503 ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ،ج3، ص406؛ ابن حجر ، الإصابة،ج3،ص431).
(6) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفي ، أمه أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان ، ولاه معاوية الكوفة وطرده أهلها منها . (الطبري ، تاريخ ، ج5، ص309) .
(7) الطبري ، تاريخ ،ج5، ص312 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج3، ص358 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ،ج1، ص ص151-152 .

ومن الجدير بالذكر أنه لما طرد أهل الكوفة عبد الرحمن بن أم الحكم بعد اضطراب أوضاعها سنة (58هـ/677م) عينه معاوية واليا على مصر ، إلا أن معاوية بن حديج منعه من دخولها لاعتقاده بعدم قدرته على إدارتها(1) .

يتبين من هذا المجلس مدى حرص رجالات الدولة على أن يلي أقاليمها أهل الخبرة المشهود لهم بحسن الإدارة ، ومحاولة إبعاد من لا يتصف بهذه الصفات من مزاولة عمله ، حتى لو كان من خاصة الخليفة ، كما تتبين الحرية التي يتمتع بها الناس في مجالس الخلفاء ، وانتقادهم للحالات السلبية .

وفي مجلس له راجع الخليفة يزيد بن معاوية مع عمرو بن سعيد ، كيفية إدارة الأخير للحجاز ، التي كانت سببا في عزله عنه سنة (62هـ/681م) ، خاصة طريقة تعامله مع عبد الله بن الزبير ، التي تقوم على الرفق والمداراة(2) ، والتي دافع عنها عمرو بن سعيد ووضحها للخليفة يزيد في لقائهما ، مؤكدا أن ظروف الحجاز تقتضي هذا النوع من الإدارة ، بسبب ميل أهل الحجاز لابن الزبير ، فضلا عن قلة الإمكانات المتاحة لديه ، فإنه فضل استخدام طريقة الاحتواء دون المواجهة المباشرة(3) .

وأثبتت الأحداث فيما بعد صواب ذلك الإسلوب في إدارة الحجاز ، وصواب طريقة تعامل عمرو بن سعيد مع عبد الله بن الزبير وحركته(4) .

أما مجالس الخليفة عبد الملك بن مروان فقد شهدت الكثير من اللقاءات ، تم فيها تناول إدارة الولاة للأقاليم ، فمن ذلك سؤاله لأحد جلسائه عن أسلوب بشر بن مروان في إدارته للعراق (72-75هـ/691-694م) ، إذ بين للخليفة أن بشرا إداري حازم يجمع في إدارته بين الشدة واللين ، وكلٌ في موضعه ، قائلا: ((يا أمير المؤمنين هو الشديد في غير عنف واللين في غير ضعف)) (5) .عندها أظهر عبد الملك تأييده لهذا النهج في إدارة العراق ، لكونه الأسلوب الأمثل والمناسب لحفظ حقوق الناس وهيبة السلطان(6) .

(1) الطبري ، تاريخ ،ج5، ص312 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج8، ص85
(2) الطبري ، تاريخ ،ج5، ص478 ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج3، ص448 .
(3) الطبري ، تاريخ ،ج5،ص ص478-479 .

(4) المصدر نفسه ،ج5، ص479؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج3، ص449 .
(5) أبو بكر محمد بن الوليد الفهري المالكي الطرطوشي ، سراج الملوك ، ط1، المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر ، (مصر ، 1935م)، ص260 .
(6) المصدر نفسه ، ص260 .

وفي مجلس آخر راجع الخليفة عبد الملك خالداً بن عبد الله بن خالد بن أسيد(1) ، وأخاه أمية بن عبد الله في مسألة إدارتهما لكل من العراق وخراسان عندما كانا واليين عليهما ، منتقدا تلك الإدارة من خلال ذمه لمساعديهم ، وإظهاره عدم رضاه عن مقادير الأموال التي كانوا يرسلونها الى الخلافة من هذين البلدين الغنيين ، ممتدحا في نفس الوقت إدارة الحجاج للعراق ، مبديا رضاه عن مقادير الأموال التي يبعثها الى بيت المال في دمشق(2) . الا أن خالداً بن عبد الله دافع عن أسلوبه في إدارة البصرة والقائم على بذل المال لاسترضاء أهلها ، من أجل المحافظة على الأمن والاستقرار ، موضحا أن أوضاع تلك البلاد ومواقف أهلها من الخلافة الأموية ، يستوجب هذا النوع من الإدارة ، مشككا في الوقت نفسه بنجاح إدارة الحجاج وسياسته في العراق(3) .

تلك الإدارة التي تميزت بالحزم والشدة ، والتي على ما يبدو كانت تنسجم مع طبيعة أوضاع العراق المضطرب في السنوات الأولى من ولايته(4) ، فكانت موضع انتقاد وعدم رضا حتى من مساعدي الحجاج أنفسهم ، ففي مجلس الخليفة عبد الملك وبحضور الحجاج بن يوسف ، انتقد عمارة بن تميم اللخمي – الذي كان أحد قادة الحجاج في مواجهة حركة ابن الأشعث – طريقة الحجاج في إدارة العراق ، ورأى ان تلك الطريقة هي السبب وراء عدم استقرار العراق وظهور الحركات المعارضة فيه ، قائلا : ((فلا رضي الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه ، وهو الأخرق السيئ التدبير ، الذي أفسد عليك العراق ، وألب عليك الناس ، وما أتيت إلا من خَرَقه وقلة عقله وخبالة رأيه وجهله بالسياسة))(5) .

(1) هو خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، استعمله عبد الملك على البصرة ، ثم عزله عنها سنة (73هـ/692م) .(الزبيري ، نسب قريش ، ص ص189-190؛ الطبري ، تاريخ ،ج6، ص194) .
(2) البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج4-ق2، ص ص165-166؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج4، ص94؛ الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ، ج1، ص192 .
(3) الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص229 .
(4) عبد الواحد ذنون طه ، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ،ط1، مطابع جامعة الموصل ، (الموصل ،1985م)، ص59 .
(5) الآبي ، نثر الدر ،ج4، ص ص128-129 ؛ البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص131.

وفي مجلس آخر للخليفة عبد الملك انتقد عباد بن زياد بن أبي سفيان إدارة الحجاج للعراق ، وذلك عندما طلب منه عبد الملك الموازنة بينه وبين زياد بن أبي سفيان ، إذ بين أن زيادا استطاع أن يضبط العراق دون الاستعانة بقوات من خارج ولايته ، بينما الحجاج لم يستطع ذلك حتى بمساعدة أهل الشام له، فضلا عن انكسار الخراج في عهده(1) .

ويبدو أن هذه المقارنة بين الإدارتين لم تأخذ بنظر الاهتمام تغير الظروف والأحوال بين العصرين لاسيما أن العلاقة بين أهل العراق وأهل الشام قد ساءت كثيرا في الحقبة التي بين ولاية زياد

وولاية الحجاج ، خاصة بعد ثورة ابن الأشعث الذي لم يستطع الحجاج القضاء عليه ، الا بمساعدة جيش الشام(2) .
ولما حضر يزيد بن أبي مسلم (ت102هـ) الذي كان أحد مساعدي الحجاج الى مجلس الخليفة سليمان بن عبد الملك ، سأله سليمان عن الحجاج قائلا : ((أفترى الحجاج بلغ قعر جهنم بعد)) (3) . إلا أن هذا الكلام لم يرق ليزيد بن أبي مسلم ، فدافع عن الحجاج من خلال الإشادة بإدارته ، مبينا أن السياسة التي اتبعها الحجاج في إدارته للأقاليم التي تولاها ، كان لها دور واضح في المحافظة على الأمن والاستقرار ،والقضاء على المعارضين ، فضلا عن أثره الكبير في عمليات الفتح في المشرق(4) .إن إشادة يزيد ابن أبي مسلم بإسلوب الحجاج في الإدارة ، ودوره في القضاء على الحركات المعارضة ، وإسهاماته الفاعلة في عمليات الفتح ، وهو يعلم موقف الخليفة سليمان من الحجاج ومساعديه ، الذين أيدوا الخليفة الوليد بن عبد الملك في محاولة إبعاده عن ولاية العهد ، يبين مدى إخلاصه لصاحبه(5) .

(1) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج5، ص251 .**

(2) **خماش ، الإدارة في العصر الأموي ، ص126 .**

(3) **الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1، ص395 ؛ ينظر : الوشاء ، الفاضل ، ج1، ص93 ؛ علي بن الحسين الموسوي العلوي الشريف المرتضى ، أمالي المرتضى ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2، دار الكتاب العربي ، (بيروت ،1967م)،ج1، ص295 ؛ القيرواني ، زهر الآداب ،ج2، ص1018 .**

(4) **المبرد ، الكامل ،ج2، ص197؛ الوشاء ، الفاضل ،ج1، ص ص93-94؛ ابن عبد ربه ، العقد ،ج4، ص104 ؛ الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص51 ؛ ابن الأبار ، إعتاب الكتّاب ، ص58 .**

(5) **محمود الجومرد ، الحجاج رجل الدولة المفترى عليه ،ط1، مطبعة الأديب البغدادية المحدودة ، (بغداد ، 1985م)، ص83 .**

وفي أحد مجالسه بحث الخليفة عمر بن عبد العزيز مع أبي الصيداء(1) ، إسلوب والي خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي (100هـ/718م) في إدارة الإقليم ، الذي بين للخليفة أن الشدة هي السمة المميزة لإدارته ، وتعصبه لقومه واعتزازه بهم وتعاليه على غيرهم يمثل أبرز ملامحها(2) .
ويبدو أن أبا الصيداء كان يرى أن تعصب الوالي لقومه ، وتعامله بجفاء مع بقية رعيته يؤثر على أدائه من جهة ، ويولد ردود أفعال سلبية لدى الآخرين من جهة أخرى .
ويُذكر أن قوما وقفوا بباب الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فتأخر عليهم إذنه ، فقال رجل منهم: ((ما يصلح هذا أن يكون عبدا للحجاج))(3)، فوصلت مقالته الى مسامع الخليفة عمر ، فلما دخل القوم الى مجلسه ، سأل عن القائل ، فقام رجل منهم وأقر بأنه هو الذي قالها ، فقال له عمر بن عبد العزيز : ((فان الله يغفر لك ، كيف ذكرت الحجاج وما كانت له دنيا ولا آخرة . فهلا فضلت علي زياداً الذي جمع لهم كما تجمع الذرَّة وحاطهم كما تحوط الأم البّره))(4)، مما يبين أن الخليفة عمر بن عبد العزيز يرى أن زياداً بن أبي سفيان أفضل من الحجاج في كفاءته الإدارية،وحرصه علىحقوق الرعية

وفي مجلس للخليفة هشام بن عبد الملك تم بحث قابلية نصر بن سيار الإدارية ، مع عدد من أهل خراسان ، الذين بعثهم والي العراق يوسف بن عمر الى الخليفة وأمرهم ان يعيبوا إدارة نصر لخراسان أمامه، إلا أن من تكلم منهم أشاد بخبرة نصر الإدارية وحسن تدبيره(5) .
والظاهر أن كفاءة نصر بن سيار الإدارية ، والإنجازات المالية والعسكرية التي حققها خلال ولايته على خراسان (120-131هـ/737-748م) ، كانت من الضخامة والأهمية ، بحيث لم يستطع أحد انكارها حتى لو أُمِرَ بذلك(6) ، فضلاً عن صراحة العرب المسلمين ودقتهم وعدلهم في تقييم الرجال، التي جاءت نتيجة للتربية التي نشؤوا عليها ، وحرية الرأي التي لمسوها من ولاة أمورهم .

(1) واسمه صالح بن طريف ، مولي بني ضبة من أهل خراسان ،كان فاضلا في دينه . (الطبري ، تاريخ ،ج6، ص559)
(2) الطبري ، تاريخ ،ج6، ص559 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج4، ص321 .
(3) القالي ، الأمالي ،ج3، ص216 .
(4) القالي ، الأمالي ،ج3، ص216 ؛ ينظر : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المدني ، (القاهرة ،1965م)، ص440 .
(5) الطبري ، تاريخ ،ج7، ص195 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج4، ص460 .
(6) الطبري ، تاريخ ،ج7، ص195 .

الفصل في الخصومات

أبدى الخلفاء الأمويون حرصا كبيرا على إشاعة العدل والمساواة بين الرعية ، إذ كانوا يراعون في اختيار القضاة العلم والعفاف والورع والتقوى ،كما كان القضاة مستقلين في أحكامهم، لا يتأثرون بالميول السياسة للدولة ، وأحكامهم نافذة على الجميع حتى على كبار المسؤولين(1) .
ومن أجل وضع حد لأي تجاوزات على حقوق الرعية من قبل المسؤولين في الدولة أو أبناء الأسرة الحاكمة ، اهتم الخلفاء الأمويون بالنظر في الشكاوى المقدمة ضد هؤلاء ، فافردوا لذلك مجالس خاصة تسمى مجالس النظر في المظالم(2) ، فقد كان الخليفة معاوية يعقد مجلسه في المسجد ويأتيه الضعيف والأعرابي والمرأة والصبي فيستمع لشكواهم ويرد مظالمهم(3) .
أما الخليفة عبد الملك بن مروان فقد خصص يوما للنظر في المظالم ، إذ كان يجلس فيه للمتضلمين ((فكان إذا وقف على مشكل أو احتاج فيها الى حكم منفذ رده الى قاضيه أبي إدريس الأودي ، فنفذ فيه أحكامه فكان أبو إدريس هو المباشِر ، وعبد الملك هو الآمر))(4) .
وكان للخليفة عمر بن عبد العزيز مجالس ينظر فيها المظالم ، والعمل على إرجاع الحقوق الى أهلها ، حتى من أقرب الناس إليه(5) .
وعلى الرغم من ذلك،فقد كان الخلفاء الأمويون يتولون بأنفسهم الفصل في بعض الخصومات التي تجري بين الرعية،لذا تناولت مجالسهم بعض المسائل،وأصدرت الأحكام فيها،ففي أحد مجالس الخليفة معاوية تنازع عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة بن زيد مولى رسول الله،حول قطعه أرض يّدعي كل منهما أنها له وبحضور عدد من بني هاشم وبني أميـة(6).حـكم فيهـا الخليفـة معاويـة لأسامـة بـن زيـد ،

(1) ينظر : مهند ماهر جاسم ، القضاء في العصر الأموي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مطبوعة بالالة الكاتبة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ،1991م، ص325 .
(2) ينظر : عطا سلمان جاسم ، النظر في المظالم في الخلافة العربية الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة، مطبوعة بالآلة الكاتبة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ،1985م، ص ص60-وما بعدها .
(3) المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص38 .
(4) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص129 .
(5) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص57؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج45،ص014
(6) المبرد ، الكامل ، ج2، ص95؛ المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص18 .

قائــــلا : ((الجلية(1) عندي ،حضرت رسول الله وقد أقطع هذه الضيعة أسامة))(2) .

ومن الخصومات التي نظر فيها الخليفة معاوية في مجلسه،الشكوى التي قدمها أبو بردة بن أبي موسى الأشعري(3) ، ضد عقيبة الأسدي(4) ، والقضية مفادها أن أبا بردة كان قد دخل حماماً فتزاحم مع رجل ، فضرب الرجل أبا بردة فأثر في وجهه ، فهجاه عقيبة الأسدي ، عندها حضر أبو بردة الى مجلس معاوية واشتكى إليه عقيبة لهجائه إياه ، وبعد نقاش بينهما حول الموضوع وتفاصيله ، بين معاوية لأبي بردة أن مثل هذه الأمور تستوجب غض الطرف عنها ، وأن ما قيل بمثلها على معاوية أكثر ولم يغضب(5) .

ويبدو أن معاوية رأى أن هذه مسألة لا تستحق إثارتها ، لذا لم يبعث الى المدعى عليه ، ليقف على حقيقة الأمر ، وأقنع أبا بردة بأن يترك القضية ، لأنها لاتستحق أكثر من أن يدعوَ عليه(6) .

كما شهدت مجالس الخليفة عبد الملك بن مروان النظر في بعض جرائم الحدود ، فمن ذلك أنه جيء برجل قامت عليه البينة بالسرقة ، فأمر عبد الملك بقطع يده ، فقال الرجل :

يدي يا أمير المؤمنين أعيذُها بعفوِكَ من عارٍ عليَّ يَشينُها
فلا خيرَ في الدنيا ولا في نعيمِها إذا ما شمالٌ فارقتها يمينُهــا(7)

فارتأى عبد الملك أن ينفذ فيه حكم الله ، إلا أنه عفا عنه بعد تدخل والدة السارق وطلبها من عبد الملك العفو عنه بقولها :((يا أمير المؤمنين اجعله من بعض ذنوبك التي تستغفر منها))(8) .

(1) الجلية : الخبر اليقين ، وجلي الشئ كشفه . (ابن منظور ، لسان العرب، ج1، ص492).
(2) المبرد ، الكامل ، ج2، ص96 ؛ ينظر : المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص ص18-19 .
(3) هو أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، كان فقيها حافظا عالما ، تولى قضاء الكوفة في زمن الحجاج ، مات سنة (104هـ/722م) . (ابن سعد ، الطبقات ، ج6،ص268؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج9،ص240) .
(4) هو عقيبة بن هبيرة الأسدي ، شاعر جاهلي إسلامي ، كانت له وفادات على معاوية . (عمر عبد القادر البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ،ط3، مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، 1989م) ، ج2، ص260) .
(5) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج6، ص ص146-147 .
(6) المصدر نفسه ، ج6، ص147 .

(7) أبو علي المحسن بن أبي القاسم التنوخي ، الفرج بعد الشدة ،ط1،دار الطباعة المحمدية ، (القاهرة،1955م)،ج1، ص ص85-86 .
(8) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص33 .

إن عرض مثل هذه القضية في مجلس الخليفة عبدالملك ، يبين أن مجلسه كان مفتوحا لاستقبال مختلف القضايا والخصومات ، دون الانفراد للمظالم .

أما مجالس الخليفة الوليد بن عبد الملك فقد شهدت هي الأخرى الفصل في بعض الخصومات التي منها ، قضية المرأة التي ورثت طستا وباعته في سوق الصفر بدمشق ، إلا أن المشتري وجده ذهبا ، فقرر إعادته إليها لأنه اشتراه على أنه صفر ، لكن المرأة رفضت إعادته لأنها ورثته على أنه صفر(1) فاختصما الى الخليفة الوليد بن عبد الملك ، الذي أحضر مستشاره رجاء بن حيوة الى مجلسه وطلب منه أن يحكم بينهما، بحضور الخليفة ، فعرض رجاء بن حيوة الطست على المرأة فرفضت أن تأخذه ، وكذلك الرجل ، عندها اقترح رجاء بن حيوة على الخليفة الوليد أن يعطي ثمنه للمرأة ويضعه في بيت مال المسلمين (2) .

إن عرض مثل هذه الخصومة في مجلس الخليفة الوليد بن عبد الملك من أجل الفصل فيها ، ربما بسبب موقف المتخاصمين الذي كان يمثل غاية في الورع والتقوى ، لأنه من المفترض أن تكون الحالة معكوسة ، فالمرأة هي التي تطالب بإرجاع الطست ، لا أن تمتنع عن أخذه ، وأن يرفض الرجل إعادته،لا أن يعيده لها .

ومن الخصومات التي عرضت في مجلس الخليفة الوليد بن عبد الملك ، قضية الأعرابي الذي شكا للخليفة الوليد صهرا له كان في المجلس نفسه (3) ، إلا أن المصادر التاريخية لم تحدد تلك الخصومة ولا الحكم الصادر فيها .

كما شهدت مجالس الخليفة عمر بن عبد العزيز النظر في الخصومات التي تخص العامة،من ذلك الشكوى التي قدمها فتيان ضد عمهما ، بخصوص ميراث أبيهما،إذ حضر الطرفان في مجلس الخليفة الذي أبلغ العم بأن أبناء أخيه يدَّعون أن مال أبيهم لديه ، فأقر الرجل بالمال وأحضره ، مبينا أن هذين

(1) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر الدمشقي، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ،مطبوعات المجمع العلمي العربي ، (دمشق ، بلا ت)، مج1، ص319 .
(2) المصدر نفسه ،مج1، ص319 .
(3) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، أخبار الحمقى والمغفلين ، تحقيق : علي الخاقاني ،ط2، مطبعة المصري ، (بغداد ،1966م) ،ص154؛ أبي الفداء ، المختصر في تاريخ البشر ،ج1، ص199 ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ،ج1، ص ص242-243 .

الفتيين توفي أبوهما ، وأنه كان ينفق عليهما منذ ذلك الوقت ، وأنه احتفظ بالمال لكي يحافظ عليه، وهو الآن يعيده لهما كاملا ، عندها أكد له الخليفة عمر أنه يستحق أن يحتفظ بالمال ، إلا أن الرجل رفض ذلك(1) .

إن النظر في هذه الخصومات في مجالس الخلفاء الأمويين ، يبين أنها لم تقتصر على النظر في المظالم، وكانوا يستمعون وينظرون في بعض الخصومات بين العامة ، متى كان مناخ المجلس يسمح بذلك .

(1) ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، ص107 .

الخطط الحربية

تميز العصر الأموي بكثرة الحروب والوقائع العسكرية ، وشهد حركة فتوحات كبيرة وواسعة ، هدفها نشر الإسلام ، كما شهد هذا العصر الكثير من الحركات المعارضة ، التي أعدت الحملات العسكرية لمواجهتها والقضاء عليها . إلا أن ما أوردته المصادر من معلومات بخصوص الخطط الحربية في مجالس الخلفاء ، لم يكن بمستوى تلك العمليات التي كانت تخوضها جيوش الدولة ، والتي ربما تعود إلى أن الأمراء والقادة الميدانيين هم الذين كانوا يضعون الخطط الحربية على وفق تقديراتهم للمواقف الميدانية ، وما يطرأ عليها من تغيير ، ولاسيما كثرة المواقف التي تحتاج إلى قرارات سريعة وحاسمة(1) ، فضلا عن الصلاحيات الواسعة التي كان يتمتع بها هؤلاء القادة(2) .

فالخلفاء الأمويون كانوا يرون أن من أسباب نجاح القائد أن تكون خطته مرنة تتغير بتغير الظروف والمواقف في الميدان ، لذا فإن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، عندما استعمل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على الصائفة(3) في أرض الروم، عزله في المجلس نفسه بعد أن تبين له أن خطته في مواجهة الأعداء، لا تأخذ بنظر الاهتمام التطورات التي ستحدث في ساحة المواجهة ، وذلك عندما سأله معاوية قائلا :((ما تصنع بعهدي يا عبد الرحمن ؟ قال : أتخذه إماما ولا أعصيه ، قال : اردد علي عهدي))(4) ، ثم بعث الى سفيان بن عوف الغامدي(5) ،ولما كتب له عهد التولية على الصائفة سأله قائلا : **(1) بسام العسلي ، فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين ، دار الفكر ، (بيروت،1988م)، ج2، ص205 .**

(2) خماش ، الإدارة في العصر الأموي ، ص125 .

(3) الصائفة : وهي إرسال قوات عسكرية تتألف من ألف وخمسمائة إلى ألفي رجل صيفا ، مهمتهم التعرض لمناطق العدو الحدودية ، بتوجيه ضربات سريعة وخاطفة ثم الانسحاب تبدأ من أواسط تموز وتستمر شهرين أو أكثر . (قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ص192-193؛ خالد جاسم الجنابي(الدكتور) ، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي ،دار الحرية للطباعة ، (بغداد ،1984م)، ص192) .

(4) ابن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص113 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج1، ص94 .

(5) هو سفيان بن عوف بن المغفل الغامدي ، صحابي ، كان له بأس وسخاء ونجدة ، شهد فتح الشام ، استعمله معاوية على الصوائف،توفي سنة(52هـ وقيل 54هـ). (ابن حجر ، الإصابة،ج2، ص56).

((ما أنت صانع بعهدي))(1) ، عندها بين له سفيان أنه سوف يسير وفق الخطة المرسومة فيه ، إذا كان مضمونها يتناسب مع الوضع الميداني لساحة المواجهة ، وإلا خالفها إذا رأى عناصرها لا تنسجم و الموقف على أرض المعركة ، فاظهر الخليفة معاوية رضاه عنه(2) .

ولما تعاظم أمر الزبيريين وبسطوا نفوذهم على مساحات واسعة من أراضي الدولة الإسلامية(3) ، دعا الخليفة عبد الملك بن مروان إخوته وأشراف قومه ومستشاريه الى مجلسه للتشاور في وضع خطة لمواجهتهم، مبديا في الوقت ذاته قلقه من احتمال مهاجمتهم للشام(4) ، فرأى بعض الحاضرين أن يقيم عبد الملك في دمشق ويرسل قوات لقتال مصعب بن الزبير في العراق ، الا أن

عبد الملك رفض هذا المقترح ، إذ كان رفضه مبنيا على افتراض أنه لايجد الشخص الذي يجمع بين الشجاعة والخبرة وحسن التدبير في الحرب، وأنه يرى توافر هذه الصفات في نفسه ، لهذا قرر أن يتولى شخصيا قيادة الجيش المتوجه الى العراق(5) . فأبدى بشر بن مروان تأييدا لخطة عبدالملك ، إذ رأى أن أفضل طريقة لمواجهة الحركة الزبيرية وإبعاد خطرها ، ومن ثم القضاء عليها ، مهاجمتها في مناطق نفوذها ، بعد اتخاذ الاستعدادات اللازمة لذلك ، وأن يتولى الخليفة عبد الملك قيادة تلك القوات ، عندها اتفق الحاضرون على اتخاذ هذه الخطة(6) .

(1) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج1، ص94 .

(2) المصدر نفسه ،ج1، ص94 .

(3) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار ، الحلة السيراء ، تحقيق : حسين مؤنس ،ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر ، (القاهرة ،1963م) ،ج1، ص25؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج8، ص338 .

(4) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص310 .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج8، ص318 .

(6) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ص310-311 .

ويبدو أن حراجة موقف عبد الملك أمام تزايد نفوذ الزبيريين ، هو الذي دفعه الى عقد هذا المجلس واعتماد مثل هذه الخطة التي أهم عناصرها تولي الخليفة قيادة الجيش بنفسه ، فسار الى العراق والتقى مع مصعب بن الزبير وقتله وهزم جيشه في معركة دير الجاثليق سنة (71هـ/690م)(1) .

ولما قرر الخليفة عبد الملك أن يبعث الحجاج بن يوسف الى مكة للقضاء على عبد الله بن الزبير سنة (73هـ/692م) ، كتب عهده في مجلسه ، وشرح له الخطة الواجب اتباعها في القضاء على ابن الزبير والاستيلاء على مكة ، التي قوامها فرض حصار محكم عليها ، عن طريق السيطرة على جميع منافذها ، مما يؤدي الى استسلام ابن الزبير ، قائلا : ((يا حجاج انظر أن لا تطأ الحرم بالخيل والجنود ، ولكن انزل حيث شئت من أرض الحجاز وامنع ابن الزبير الميرة وخذ عليه الطرق واستعمل فيها الحصار))(2) .

والظاهر أن الحجاج بن يوسف قد اعتمد هذه الخطة ، فحاصر ابن الزبير في مكة ، وأحكم حصارها لعدة أشهر(3) ، فارتفعت الأسعار فيها وأصاب الناس مجاعة شديدة(4) ، فتفرق الناس عن ابن الزبير وخرج عدد كبير منهم الى الحجاج بالأمان ، بعد ذلك تمكن من قتله(5) .

وفي أحد مجالسه بحث الخليفة سليمان بن عبد الملك مع موسى بن نصير في طبيعة خططه العسكرية، واستعداداته الحربية في مواجهة الأعداء في ميادين القتال ، وإن كان يعتمد على التخندق أم لا ، فبين له موسى أن خططه الحربية كانت تعتمد المواجهة المباشرة مع الأعداء ، بأن كان ينزل الأرض المنبسطة ، وكان السيف يمثل السلاح الرئيس لمعاركه(6) .

(1) الطبري ، تاريخ ،ج6، ص ص156-159 ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص ص104-107 .

(2) ابن اعثم ، الفتوح ،ج6، ص ص272-273؛ وفي رواية أن احد جلساء عبد الملك هو الذي اقترح عليه هذه الخطة قائلا : ((يا أمير المؤمنين ليأخذ على ابن الزبير شعابها وعقابها ونقابها ، حتى يموت جوعا ، ويخرج مخلوعا)) .(القيرواني ، زهر الآداب ،ج2، ص990) .

(3) قيل أكثر من ثمانية أشهر (الطبري ، تاريخ ،ج6،ص187) . وقيل أكثر من خمسة اشهر . (ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج8، ص334) .

(4) ابن الاثير ، الكامل ، ج4، ص123 .
(5) اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص187؛ الطبري ، تاريخ ، ج6، ص188 ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ،ص123 .
(6) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (منسوب له) ، ج2، ص100 .

ويبدو أن الخطة التي اعتمدها موسى بن نصير في حروبه ، والتي كان يرى فيها الأسلوب المناسب في مواجهة الأعداء في المناطق التي فتحها ، كانت إحدى عناصر نجاحه ، وأسباب انتصاراته الكبيرة التي حققها في شمال أفريقيا والأندلس .

ولما عزم الخليفة سليمان بن عبد الملك على إرسال جيوش لفتح القسطنطينية ، سنة (98هـ/716م)(1)، التقى في مجلسه مع بعض القادة العسكريين ، للتشاور بشأن الخطة الواجب اتباعها في تنفيذ هذا الأمر ، إذ اقترح عليه موسى بن نصير خطة تقوم على فتح جميع ما دون القسطنطينية من مدن وحصون ، فلا يصل إليها إلا وقد هدمت حصونها وضعفت قوتها ،ولم يبق بينهم وبينها أي مانع مما يضطرها للاستسلام(2) . فيما أشار عليه القائد مسلمة بن عبد الملك بخطة مضمونها أن يترك ما دونها من المدن والحصون ، وأن يقصدها وحدها ، فإذا ما تم فتحها، فإن ما بقي دونها من مدن وحصون يكون غنيمة للمسلمين ، فوافق الخليفة سليمان على خطة مسلمة(3) ، وعينه قائدا للجيش الذي سيتوجه الى القسطنطينية(4) ، وقد نفذ الخطة التي رسمها ، بأن حاصر القسطنطينية إلا أنه لم يوفق في فتحها(5) .

(1) خليفة بن خياط ، تاريخ ،ج1، ص321 ؛ الطبري ، تاريخ ،ج6، ص530 .
(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج9، ص182 .
(3) المصدر نفسه ، ج9، ص182 .
(4) اليعقوبي ، تاريخ ، ج2، ص209 ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص304 .
(5) مجهول ، العيون والحدائق ، ص33 ؛ خودا بخش ، الحضارة الإسلامية ، ترجمة وتعليق : الدكتور علي حسني الخربوطلي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (القاهرة ،1960م)، ص109 .

تقييم المعارك

بالنظر لأهمية المعارك التي خاضتها جيوش الدولة الإسلامية في العصر الأموي ، ولأهيمة النتائج التي تمخضت عنها ، فإن المسؤولين في الدولة وعموم الناس كانوا ينتظرون نتائج تلك المعارك لذا كانت العادة بعد انتهاء المعركة يقوم القادة الميدانيين بإخبار الوالي أو الخليفة بالنتيجة التي أسفرت عنها المعركة ، وذلك عن طريق ما يبعثونه من رسائل(1) ، أو عن طريق الرسل الذين يقومون بنقل أخبار نتائج تلك المعارك الى الولاة أو الخلفاء في مجالسهم ، لذا شهدت مجالس الخلفاء الأمويين الكثير من اللقاءات لتقويم نتائج تلك المعارك ، من ذلك أنه بعد وقعة الحرة سنة (63هـ/682م)(2) ، بعث مسلم بن عقبة المري قائد الجيش الى الخليفة يزيد بن معاوية رسالة أخبره فيها بنجاحه في مهمته ودخوله المدينة بعد قتال شديد مع أهلها(3) ،عندها دعا الخليفة يزيد كلاً من ابنه معاوية بن يزيد وعبد الله بن جعفر الى مجلسه ، ليطلعهما على تلك الرسالة ، فأبديا أسفهما وحزنهما على ما جرى ، عندها أخذ يزيد يبين لهما أنه كان مضطرا لذلك في ظل تطور الأحداث الى هذا المستوى ، وأن ما حدث كان بعد استنفاد كل الوسائل الممكنة في حل مشكلة أهل

المدينة ، مخاطبا عبد الله بن جعفر بقوله : ((ألم أجبك إلى ما طلبت وأسعفتك فيما سألت ، فبذلت لهم العطاء واجزلت لهم الإحسان واعطيت العهود والمواثيق على ذلك))(4) .
ومن الجدير بالذكر أن عبد الله بن جعفر كلم الخليفة يزيد بن معاوية بخصوص موقف أهل المدينة في بداية حركتهم ضد الخلافة ، طالبا منه استرضاءهم ومعاملتهم برفق ، فاجابه يزيد الى طلبه (5) ، بأن تعهد لعبد الله بن جعفر بأن يجعل لأهلها عطاءين ، عطاء في الشتاء ، وعطاء في الصيف ، وأنه سوف يعمل على خفض أسعار السلع الأساسية فيها(6) ، فكتب عبد الله بن جعفر الى أهل المدينة بالأمر ، إلا أنهم رفضوا ذلك ، بقولهم : ((لا يدخلها علينا أبدا))(7) .

(1) **هاشم صائب محمد الجنديل ، مراسلات الخلفاء مع الأمراء والقادة العسكريين في العصر الأموي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة تكريت ، كلية التربية** ، 1998م، ص92 .

(2) **خليفة بن خياط ، تاريخ ، ج**1، **ص**277؛ **الطبري ، تاريخ ،ج**5، **ص ص**489-**وما بعدها** .

(3) **ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (منسوب له) ، ج**1، **ص ص**217-218 .

(4) **المصدر نفسه ، ج**1، **ص**218 .

(5) **ابن سعد ، الطبقات ، ج**5،**ص**145 .

(6) **ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (منسوب له) ، ج**1، **ص ص**206-207 .

(7) **ابن سعد ، الطبقات ،ج**5، **ص**145 .

ويبدو أن تقويم الخليفة يزيد بن معاوية لوقعة الحرة وأبعادها في مجلسه ، كان محاولة لإبعاد مسؤولية ما حدث عن الدولة ، وبيان أن ما جرى كان بسبب خروج أهل المدينة وتعنتهم في مواقفهم .
ومن أجل الوقوف على أسباب خسارة الجيوش لبعض معاركها ، والعمل على تجاوزها ، شهدت مجالس الخلفاء الأمويين مناقشات بخصوص بعض الخسائر التي ألحقت بجيوشهم في بعض الحروب ، منها مثلا هزيمة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد على يد الخوارج الأزارقة سنة (72هـ/691م)(1)، وكتابة والي البصرة خالد بن عبد الله الى الخليفة عبد الملك يخبره بذلك(2) ، إذ بحث الخليفة الأمر في مجلسه مع رسول والي البصرة ، مستفسرا عن موقف المهلب بن أبي صفره ، ودوره في تلك المعركة ، فلما أخبره أنه عامل خراج الاحواز(3) ، حيث عزا عبد الملك تلك الهزيمة الى عدم كفاءة عبد العزيز بن عبد الله وقلة خبرته وتجربته مع الخوارج ، لهذا أقدم على عزل والي البصرة خالد بن عبد الله (4) ، وعين مكانه بشر بن مروان، ولمنع تكرار ما حصل أمره أن يولي المهلب مهمة حرب الأزارقة ، لما يتمتع به من خبرة وتجربة في قتالهم ، فضلا عما تميز به من شجاعة وحزم(5) ، وقد كان الخليفة عبد الملك موفقا في اختياره للمهلب الذي استطاع أن يبعد خطرهم وينقذ البصرة منهم حتى سميت ((بصرة المهلب))(6) .
وبعد الانتصارات الكبيرة التي حققها طارق بن زياد وموسى بن نصير في معاركهم بالأندلس(7) ،بعث الأخير رسلا إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك ليخبره بنتائج تلك المعارك، حيث حضر الرسلُ الى مجلس الخليفة الوليد وأطلعوه على سير المعارك ، وبشروه بالانتصارات الكبيرة التي تم تحقيقها ، فأكبر الخليفة الوليد تلك الانتصارات وسجد شكرا لله تعالى(8) (1) **المبرد ، الكامل ،ج**3، **ص**349؛ **الطبري ، تاريخ ،ج**6، **ص ص**169-170 .

(2) **الطبري ، تاريخ ،ج**6، **ص**170 ؛ **ابن الاثير ، الكامل ،ج**4، **ص**118 .

(3) **المبرد ، الكامل ،ج**3، **ص ص**261-262؛ **الطبري ، تاريخ ،ج**6، **ص** 171 .

(4) **المبرد ، الكامل ،ج3، ص ص261-262؛ الطبري ، تاريخ ،ج6، ص 171 .**
(5) **المبرد ، الكامل ،ج3، ص262؛ العبود ، آل المهلب بن أبي صفره ، ص ص65-66 .**
(6) **ابن قتيبة ، المعارف ، ص225؛ بسام العسلي ، عبد الملك القائد ،دار النفائس، (بيروت ،1986م)، ص96.**
(7) **أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر ، (بيروت ،1997م)،ج1، ص233؛ مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها ، مطبعة ريدنير، (مجريط ، 1867م)،ص ص16-وما بعدها .**
(8) **ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (منسوب له) ، ج2، ص76 .**

ولما خسر جيش المسلمين بقيادة ثبيت النهراني في معركته مع الخزر سنة (104هـ/722م)(1) ، وبعدما حضر هذا القائد وعدد من جنده الى مجلس الخليفة يزيد بن عبد الملك ، ناقشهم الخليفة في تلك المعركة محاولا الوقوف على أسباب خسارتهم فيها ، إلا أن ثبيتاً بين للخليفة أنه لم يقصر في تلك المعركة ، وأنه بذل فيها جهدا كبيرا وعمل كل ما باستطاعته(2).

وفي سنة (112هـ/730م) لما قتل الجراح بن عبد الله الحكمي والي ارمينية وأذربيجان وأكثر من معه من جند المسلمين قرب أردبيل(3) على يد الخزر(4) ، بحث الخليفة هشام بن عبد الملك هذه المعركة في مجلسه مع سعيد بن عمرو الحرشي(5) ، الذي بين له الخليفة هشام أن المعلومات التي لديه تشير الى أن سبب خسارة المسلمين في هذه المعركة ، انسحاب الجراح الحكمي من ساحة المعركة(6) ، إلا أن سعيداً الحرشي أكد للخليفة هشام أن سيرة الجراح الحكمي وتاريخه العسكري ، يشيران الى غير ذلك ، وأنه قتل(7) ، ومن أجل تدارك الوضع هناك ، وتقليل وطأة الهزيمة على المسلمين أجرى الخليفة لقاءات مكثفة مع مستشاريه ، قرر خلالها إرسال عمرو بن سعيد الحرشي لمواجهة الخزر ، ووجه له الفرسان على البريد(8) ، حيث استطاع أن يبعد خطر الخزر عن المدن الحدودية مؤقتا(9) .

(1) **ابن الاثير ، الكامل ، ج4، ص ص360-361؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج3، ص83 .**
(2) **ابن الاثير ، الكامل ، ج4، ص ص360-361؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج3، ص83 .**
(3) **أردبيل : مدينة كبيرة جدا ، من أشهر مدن أذربيجان ، كانت قبل الإسلام قصبة الناحية . (ياقوت ،معجم البلدان ،ج1، ص121) .**
(4) **الطبري ، تاريخ ،ج7، ص70؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج4، ص393 .**
(5) **هو سعيد بن عمرو الحرشي ، أحد قادة العرب المشهورين ، كان له دور في محاربة الترك والسغد ، ولاه عمر بن هبيرة خرسان سنة (103هـ/721م) وعزله عنها سنة (104هـ/722م) . (أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي ،كتاب المحبر ، اعتنت بتصحيحه الدكتورة: ايلزة ليختن شتيتر ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد ، (الدكن، 1942م)، ص301؛ الطبري ، تاريخ ،ج6، ص577).**
(6) **الطبري ، تاريخ ،ج7، ص70 ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص393 .**
(7) **الطبري ، تاريخ ،ج7، ص70 ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص393 .**
(8) **خليفة بن خياط ، تاريخ ،ج2، ص356 ؛ الطبري ، تاريخ ،ج7، ص70 .**
(9) **الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص32 .**

وبعد الانتصار الذي حققه أسد بن عبد الله القسري على الترك وقتله خاقان سنة (119هـ/637م) (1) ، أرسل أسد مبعوثين إلى الخليفة هشام ليخبراه بنتيجة تلك المعركة والانتصار الكبير الذي حققه ، فلما وصلا إلى مجلس الخليفة هشام وأطلعاه على الأمر سجد شكرا لله تعالى(2) .
ومن أجل الوقوف على تفاصيل ما حدث ، كتب الخليفة هشام إلى والي العراق خالد بن عبد الله القسري ، أن يبعث له مقاتل بن حيان النبطي(3) ، الذي كان حاضرا في المعركة ، ليوضح له ما حدث(4) ، فلما حضر مقاتل إلى مجلس الخليفة هشام أخبره عن كل ما شاهده عن هزيمة الترك وانتصار المسلمين في تلك المعركة(5) .
ويبدو أن الخليفة هشاماً كان مدركا لأهمية هذا النصر على مستقبل المسلمين في تلك البلاد لذا أراد أن يكون تقويمه لنتائج هذه المعركة وأبعادها ، مبنيا على معلومات دقيقة .
ومما تقدم يتبين أن مجالس الخلفاء الأمويين كانت حافلة باللقاءات والمداولات العسكرية لتقويم سياسة الدولة الحربية ، ووسائل أدائها بكل صراحة وحرية ، فكانت أحد أسباب نجاح الدولة وتقدمها في الفتوحات في مشارق الأرض ومغاربها .

(1) **الطبري ، تاريخ ،ج7، ص ص**125-126 ؛ **ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص**427 .
(2) **الطبري ، تاريخ ،ج7، ص**126 .
(3) **هو مقاتل بن حيان النبطي البلخي ، أبو معان ، مولى بكر بن وائل ، وقيل مولى تيم الله بن ثعلبة ، كان صدوقا ، سكن في بلخ ، مات في كابل .(ابن سعد ، الطبقات ،ج7، ص**374؛**ابن حبان ، الثقات ،ج7، ص**508؛ **ابن الاثير ، اللباب ،ج3، ص**295) .
(4) **الطبري ، تاريخ ،ج7، ص**126؛ **ابن خلدون ، تاريخ ، ج3، ص**95 .
(5) **الطبري ، تاريخ ،ج7، ص**126 ؛ **ابن الاثير ، الكامل ،ج4، ص**427 .

الواردات المالية

اعتمدت الدولة الإسلامية ومنذ قيامها على موارد مالية عدة أهمها : الخراج(1) والجزية(2)، والفيء(3) وخمس الغنائم(4)، التي نزلت أحكامها في القرآن الكريم وبينها النبي وجرى العمل بها في العهد النبوي ، ثم اتبعها الخلفاء الراشدون من بعده ، إذ اجتهدوا في تفسير أحكامها ، وفق ما تتطلبه ظروف الدولة ، وما يحدث فيها من مستجدات(5) .
وكان موضوع الواردات متداولاً في مجالس الخلفاء الأمويين ، إذ شغل جانبا من مناقشات تلك المجالس ، ومن أمثلة ذلك ما دار في مجلس الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، عندما جاء والي العراق زياد ابن أبى سفيان ، بأموال إلى الخليفة معاوية فأعجب بها(6) مما جعل زياداً يفتخر بذلك ويبين له ، أن تلك الأموال ما هي ألا نتيجة للجهود الكبيرة التي بذلها في الجباية ، والتي شملت مختلف مناطق العراق ، قائلا : ((يا أمير المؤمنين دوخت لك العراق ، وجبيت لك برَّها وبحرها ، وغثَّها وسمينها ، وحملت إليك لِبَّها وقشورها))(7) . علما أن زياداً جبى من البصرة وكورها ستين مليون درهم، يعطي (1) **الخراج: مقدار معين من المال أو الحاصلات ، يفرض على الأراضي الزراعية التي فتحها المسلمون عنوة أو صلحا ، بوصفها حقوقا تؤدى عنها . (الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ص**231-232 ؛ **أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني ، التعريفات ،ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ،1998م)، ص**71).

(2) الجزية : وهي ضريبة فرضت على رؤوس أهل الذمة ، نظير حماية المسلمين لهم ، وتسقط هذه الفريضة بالإسلام. (البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ص92-93 ؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، تحقيق : صبحي الصالح، مطبعة جامعة دمشق ، (دمشق ،1961م)، ج1، ص22).
(3) الفيء : وهو ما أصابة المسلمون من مال المشركين دون قتال أو إيجاف خيل ولا ركاب . (الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص199 ؛ الصالح ، النظم الإسلامية ، ص368) .
(4) الغنائم : وهي كل ما حصل عليه المسلمون من أموال الكفار عن طريق الحرب . (الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص199 ؛ الجرجاني ، التعريفات ، ص116) .
(5) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص371 ؛ الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة ، ص213 ؛ دانيل دينيت ، الجزية والإسلام ، ترجمة : الدكتور فوزي فهيم جاد الله ، منشورات مكتبة الحياة ،(بيروت ، بلا ت)، ص52.
(6) الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص27 .
(7) المصدر نفسه ، ص27 ؛ أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابني هاشم الخالدين ، التحف والهدايا ، ذيل الكتاب ، تحقيق : سامي الدهان ، دار المعارف ، (مصر ،1956م)، ص238 .

الذرية ستة عشر مليون ، وينفق على احتياجات المدينة من بناء وإعمار مليوني درهم ، ويدّخر مليونين ، ويبعث بأربعين مليوناً إلى بيت المال في دمشق(1) ، في حين يذكر الصولي(2) أن خراج سواد العراق في زمن زياد كان مائة مليون درهم .

وبحث الخليفة يزيد بن معاوية مع والي خراسان عبد الرحمن بن زياد (59-61هـ/678-680م) ، مسألة مقدار واردات ذلك الإقليم ، التي أحضرها معه ، وكان مقدارها عشرين مليون درهم(3) . وفي مجلس له وبحضور خالد وأمية أبناء عبد الله بن أسيد ، أشاد الخليفة عبد الملك بن مروان بكثرة واردات العراق في زمن الحجاج بن يوسف(4) ، منتقدا في الوقت نفسه قلة تلك الواردات في عهد خالد بن عبد الله عندما كان واليا على البصرة(71-73هـ/690-692م)(5)، كما أكد خلاله على قلة واردات إقليمي خراسان وسجستان خلال ولاية أمية بن عبد الله عليهما (74-78هـ/693-697)(6) .

إلا أن خالداً بن عبد الله أكدَّ للخليفة عبد الملك أن سبب قلة الواردات التي كان يبعثها إلى بيت المال ، يعود إلى تسخير تلك الواردات بهدف استمالة قلوب الرعية ، وكسب ودهم ، بتوزيع معظمها عليهم(7) . ويبدو أن مقارنة الخليفة عبد الملك بين واردات المشرق في ولاية خالد بن عبد الله وأخيه أمية وولاية الحجاج بن يوسف ، كان يخص ما يحمل إلى بيت المال في دمشق من تلك الواردات ، وليست واردات الإقليم جميعها ، لأنه وفي مجلس آخر للخليفة عبد الملك ، أشار عبَّاد بن زياد إلى تراجع واردا (1) **ابن أعثم ، الفتوح ،ج4، ص181 .**
(2) أبو بكر محمد بن يحيى ، أدب الكتاب ، اعتناء : محمد بهجة الأثرى ، دار الباز للطباعة والنشر ، بلا ت،ج3، ص220 .
(3) ابن الأثير ، الكامل ، ج3، ص363 ؛ النويري ، نهاية الأرب ،ج20، ص63 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية،ج8، ص98 .
(4) البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج4-ق2، ص165 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج4، ص93 .

(5) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج4، ص93 ؛ الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص ص228-229
(6) البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج4-ق2،ص166 ؛ الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص229 .
(7) البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج4-ق2،ص166 ؛ الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص229 .

العراق في أثناء ولاية الحجاج بن يوسف (75-95هـ/694-713م) عما كانت عليه قبل ذلك(1) ، ويعد الخراج المصدر الأساس لواردات الدولة ، وإن انحساره ، يعني تراجع تلك الواردات(2) ، والظاهر أن الخليفة عبد الملك كان على اطلاع على ذلك التراجع ، لأن المصادر لم تشر إلى اعتراضه على قول عبَّاد .

والجدير بالذكر أن واردات سواد(3) العراق كانت قد تراجعت في عهد الحجاج بن يوسف ، إذ تشير المصادر إلى أن خراج السواد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب كان أكثر من مائة مليون درهم(4) ، أما في عهد الحجاج فقد تراجع عن هذا المقدار ، فقيل إنه كان أربعين مليون درهم(5) ، وقيل إنه كان ثمانية عشر مليون درهم(6) ، في حين ذكر البعض أنه كان ستين مليون درهم(7) ، وقدره البعض بخمسة وعشرين مليون درهم(8) .

(1) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج5، ص251 .
(2) صالح أحمد العلي ، الخراج في العراق في العهود الإسلامية الأولى ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ،1990م)، ص3 .
(3) السواد : يقصد به رستاق العراق وضياعه ، وسمي بذلك لسواده بالزروع والأشجار والنخيل وحد السواد من حديثة الموصل طولا إلى عبادان ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضا . (ياقوت ، معجم البلدان ، ج5، ص ص85-86).
(4) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ص377-378؛ أبو علي أحمد بن عمر بن رسته ، الأعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ، (ليدن ،1891م)، ج7، ص95 ؛ أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه ، المسالك والممالك ، (ليدن ، 1889م)، ص ص14-15 .
(5) البلاذري ، فتوح البلدان ،ص378 ؛ الصولي ، أدب الكتاب ،ج3، ص220 .
(6) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ص14-15 ؛ العسكري ، الأوائل ، ص115 ؛ أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : إحسان عباس ،ط2، مكتبة لبنان، (بيروت ،1984م) ،ص332 .
(7) العسكري ، الأوائل ، ص115 .
(8) علي بن الحسين المسعودي ، التنبيه والاشراف ، عني بتصحيحه ومراجعته : عبد الله اسماعيل الصاوي ، المكتبة التاريخية ، 1938م ، ص274 .

ولعل هذا التراجع يعود إلى الاضطرابات التي شهدها العراق قبل ولاية الحجاج ، أو تلك التي وقعت في سنوات ولايته الأولى ، والتي انعكست سلبا على أحوال الزراعة فهجر الفلاحون قراهم ، واستقروا في المدن(1) .

ولما قدم موسى بن نصير من الأندلس سنة (96هـ/714م) محملا بأموال كثيرة وهدايا إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك غير أن الوليد توفي قبل أن يلتقي به موسى(2) ، فقدمها موسى إلى الخليفة

سليمان ، وبينما كان الخليفة يطلع على تلك الأموال(3) ، قام أحد الجالسين وكان من أتباع موسى بن نصير ، ومسؤولا عن الغنائم ، فبين للخليفة سليمان أن موسى لم يخرج الخمس من تلك الأموال ، وهذا خارج نطاق صلاحيته ، لانه يعد تجاوزا على حقوق الدولة ، وتعطيل مورد مهم من مواردها المالية ، قائلا : ((يا أمير المؤمنين ان الله أغناك بالحلال عن الحرام ، وإني صاحب هذه المقاسم وإن موسى لم يخرج خمسا من جميع ما أتاك به))(4) . إن هذا التصرف يعكس مدى حرص هذا المسؤول على موارد بيت مال المسلمين، التي يمثل خمس الغنائم واحدًا منها ، استنادا للآية الكريمة {((واعلموا أنَّما غنمتُم من شَيءٍ فأنَّ لِله خُمُسَهُ وللرسولِ ولذي القربى واليتامى والمساكينِ وابنِ السبيلِ)))} ، حتى لو كان ذلك الخمس ضمن الأموال والهدايا المقدمة للخليفة .
إن عدم إخراج موسى بن نصير لخمس الأموال التي جاء بها إلى الخليفة سليمان ، وتجاوزه على أموال المسلمين ، بمنع مورد مهم من موارد بيت المال ، أغضب الخليفة سليمان ودفعه إلى وضع جميع تلك الأموال في بيت المال ، لذا رأى أنه لا يحل له أخذها(6).

(1) **الطبري ، تاريخ ،ج6، ص361 ؛ عبد القادر المعاضيدي ، واسط في العصر الإموي ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد،1976م) ، ص318 .**
(2) **ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (منسوب له) ، ج2، ص83 .**
(3) **ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص211 .**
(4) **المصدر نفسه ، ص211 .**
(5) **سورة الأنفال : جزء من الآية 41 .**
(6) **ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص211 .**

إن هذا الأجراء الذي اتخذه الخليفة سليمان ، يبين مدى حرصه على تطبيق تعاليم الإسلام في جباية الأموال ، التي هي أموالُ المسلمين ، وعليه حفظ حقوقهم فيها ، كما أراد أن يبين لجلسائه أنه لا يحق لأي شخص مهما كانت مكانته التجاوز على تلك التعاليم .
وتماشيا مع هذا النهج ، ناقش الخليفة سليمان بن عبد الملك في مجلسه مع أهل أفريقية موضوع وارداتها ، ومدى التزام المسؤولين بالتعاليم الإسلامية في جباية تلك الواردات (1) ، ولكي يطمئن على أن ما يحمل إليه من أموال ، تم استحصالها وفق القواعد الشرعية ، بعيدا عن الظلم والتعسف ، أمر الخليفة سليمان والي أفريقية عبد الله بن موسى بن نصير ، أن يبعث واردات مصره مع عشرة شهود عدول ليشهدوا أن هذا المال تم استحصاله وفق الطرق الشرعية(2) . فاستجاب عبد الله بن موسى لهذا الأمر وأخذ يرسل الأموال مع الشهود الذين يحضرون إلى مجلس الخليفة ، ليسألهم عن مصادر تلك الأموال وطرق جبايتها(3).
وبحث الخليفة سليمان مع أسامة بن زيد(4) عامل خراج مصر وبحضور عمر بن عبد العزيز موضوع وارداتها ، فبين أسامة أنِ مقادير الأموال التي تتم جبايتها من مصر ترهق أهلها وتكلفهم أكثر من طاقتهم، طالبا منه إن يرفُقَ بهم ويخفف عنهم الخراج ، مبينا أن مثل هذا الأجراء من شأنه أن يؤدي إلى إعمار البلاد وتنشيط اقتصادها الذي ينعكس على تحسين الحالة المعاشية لسكانها(5) . إلا أن الخليفة سليمان الذي كان ـ على ما يبدو ـ يمر بأزمة مالية ، لم يستجب لطلبه ، وأمره أن يستمر في جباية الأموال بتلك المقادير ، وأن لا يتـهاون في ذلـك ، قائلا : ((هبلتك أمك ، احلـب الـدَّرَّ فاذا انقطع فاحلِب الدم والنجا(6)))(7) .

(1) **المالكي ، رياض النفوس ، ص82 .**

(2) المصدر نفسه ، ص82 .
(3) المصدر نفسه ، ص82 .
(4) هو أسامة بن زيد مولى معاوية بن أبي سفيان ، من أهل دمشق ، كان كاتبا نبيلا ولاه سليمان بن عبد الملك خراج مصر وعزله عنها عمر بن عبد العزيز . (الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص ص51-52) .
(5) المصدر نفسه ، ص51 .
(6) النجا : النجو: الغائط او ما يخرج من البطن .(الجوهري ، الصحاح ،ج6، ص2502).
(7) الجشهياري ، الوزراء والكتّاب ، ص52 .

والظاهر أن الصورة التي نقلها أسامة بن زيد عن الحالة الاقتصادية لأهل مصر لم تكن تعكس حقيقة الأوضاع المعاشية هناك ، وإنما أراد من خلال طلبه تخفيض الضرائب تحسين صورته أمام الخليفة وجلسائه وخاصة عمر بن عبد العزيز ، الذي كان كثيرا ما يعرّض به وينتقد سياسته المالية فيها(1) .

وشهدت مجالس الخليفة عمر بن عبد العزيز الكثير من اللقاءات والمحادثات حول واردات الدولة وطرق استحصالها ، فيذكر أنه بحث مع أبي الصيداء صالح بن طريف – وهو رجل من خراسان- قضية الجزية المفروضة على أهل الذمة ، إذ بين أبو الصيداءِ للخليفة أن هناك تجاوزا على المبادئ الإسلامية في طريقة استحصالها في خراسان ، وأن هناك ما يقارب العشرين الفا من الذين أسلموا من أهل الذمة ظلوا يدفعون هذه الضريبة(2) . وعلى الرغم من أن الجزية تمثل موردا مهما من موارد بيت المال(3) ، فإن الخليفة عمر بن عبد العزيز ـ حرصا منه في تطبيق المبادئ الاسلامية في استحصال هذه الضريبة ـ عمل على إيقاف هذا التجاوز بأن أمر والي خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي بإسقاط الجزية عن الذين أسلموا من أهل الذمة بقوله له : ((انظر من صلى قبلك إلى القبلة ، فضع عنه الجزية))(4) ، فنجم عن هذا الاجراء دخول أعداد كبيرة من الناس في الإسلام وانتشاره في الأقسام الشرقية للدولة وخاصة بين أهل الذمة(5) ، مما أدى إلى نقص في واردات بيت المال(6) .

(1) الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص ص51-52 .
(2) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص559 ؛ ابن الأثير ، الكامل ،ج4، ص321 .
(3) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص225 ؛ جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، مراجعة الدكتور حسين مؤنس ، دار الهلال ، بلا ت ،ج4، ص ص87-88 .
(4) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص559 ؛ ابن الأثير ، الكامل ،ج4، ص321 .
(5) ابن سعد، الطبقات ،ج5، ص386 ؛ عبد العزيز الدوري ، النظم الإسلامية ، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل ، (الموصل ،1988م) ، ص113 .
(6) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص559 ؛ فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، (بيروت ،1953م) ، ج2، ص285 .

ولما كتب والي مصر حيان بن شريح إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز ، يسأله أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم ، وحرصا من الخليفة عمر على اتخاذ القرار الصائب تجاه هذا الأمر ، بحث الموضوع في مجلسه مع عراك بن مالك(1) ، الذي أكد للخليفة عمر مشروعية مثل هذا الأجراء قائلا : ((ما سمعت لهم بعهد ولا عقد وإنما أخذوا عنوة بمنزلة العبيد))(2) ، فنتج عن

هذا المجلس اتخاذ الخليفة عمر بن عبد العزيز قرارا بأن جعل جزية موتى قبط مصر على أحيائهم(3) ، ويبدو أن الخليفة المذكور أراد من هذا الإجراء أن يجعل واردات كل منطقة مقدارا ثابتا من المال ، يوزع على أهلها(4) .

وفي مجلس آخر سئل الخليفة عمر بن عبد العزيز عن أسباب ارتفاع الأسعار في عهده قياسا عما كانت عليه في عهود من كان قبله(5) من الخلفاء ، فعلل الخليفة ذلك بأنه يعود إلى تطبيقه للأصول الشرعية في استيفاء الجزية ، على الرغم من تأثير هذا الأجراء على واردات الدولة ، وذلك لأن الذين كانوا قبله يكلفون أهل الذمة فوق طاقتهم ، مما يضطرهم إلى أن يبيعوا ما عندهم فيؤدي ذلك إلى الكساد ورخص الأسعار ، فلم يعودوا في عهده مضطرين إلى هذا الأجراء ، إذ كانوا يبيعون كيفيما يشاؤون مما أدى إلى ارتفاع الأسعار(6) . فالخليفة عمر بن عبد العزيز كان يرى أن ذلك هو الصواب ، سعياً للرفق بالرعية عامة وأهل الذمة خاصة ، وأن هذا هو النهج الثابت الذي سار عليه في استحصال الضرائب المفروضة عليهم ، وكان يخففها عنهم قدر استطاعته(7) .

(1) هو عراك بن مالك الغفاري ، من أهل المدينة ، ثقة، أحد رواة الحديث ، توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك 0 (ابن حبان ، الثقات ،ج5، ص281 ؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ميزان الأعتدال في نقد الرجال ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بلا ت ،ج3، ص63).

(2) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص89 ؛ المقريزي ، الخطط ، ج1، ص166 .

(3) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص305 .

(4) الدوري ، النظم الإسلامية ، ص116 .

(5) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ، الخراج ،ط3، المطبعة السلفية ، (القاهرة ، 1382هـ)، ج2، ص132 .

(6) المصدر نفسه ، ج2، ص132 .

(7) محمد ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم الإسلامية ،ط2، مطبعة لجنة البيان العربي ، (القاهرة ،1961م)، ص232 .

وتطرق الخليفة عمر بن عبد العزيز في أحد مجالسه إلى واردات العراق في ولاية زياد بن أبي سفيان ، إذ بين لجلسائه أنها كانت مائة وثمانية عشر مليون درهم(1) .

يتضح مما تقدم أن عملية جباية الواردات المالية للدولة الإسلامية ، كانت تسير بصورة طبيعية ، لكنها كانت تحظى هي الأخرى بنصيب من مناقشات مجالس الخلفاء لحل بعض الإشكاليات التي تحصل في بعض أقاليم الدولة .

(1)الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص440 .

النفقات

1- المشاريع العامة :

رغم ما شهده العصر الأموي من مشاريع كبيرة ، كشق الأنهار والجداول والترع وبناء السداد، والاهتمام بالأراضي الزراعية ،وإحياء الأرض الموات(1) إلا أن المعلومات التي أوردتها مصادرنا عن بحث ومناقشة تلك المشاريع ، وما ينفق عليها من أموال ، في مجالس الخلفاء ، لم يكن يتناسب مع ضخامة تلك المشاريع وحجمها ، إذ يبدو أن الولاة كانوا يحصلون على الإذن

بإنجاز تلك المشاريع عن طريق المكاتبات مع الخلفاء ، أو ربما يعود إلى مبدأ اللامركزية في الإدارة التي منحت ولاة الأقاليم صلاحيات إدارية ومالية كبيرة(2) . ومع ذلك فقد تطرقت مجالس الخلفاء الأمويين لبعض المشاريع العامة وتكاليفها ، فمن ذلك أنه لما انكسرت السداد في العراق خلال ولاية الحجاج بن يوسف ، كتب بأمرها إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك ، يخبره أن تكاليف إصلاحها تقدر بثلاثة ملايين درهم(3) ، مما دفع الخليفة الوليد إلى عرض الموضوع على جلسائه ، مبديا استكثاره للمبلغ المقدر لاصلاحها(4) ، فاقترح مسلمة بن عبد الملك وكان حاضرا على الخليفة الوليد أن ينفق هو ذلك المبلغ ، على أن يقطع الأراضي التي ستستخلص من الماء ، وأن يتولى الحجاج بن يوسف عملية الإنفاق ، قائلا : ((أنا انفق عليها ، إن تقطعني الأراضين المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد إنفاق ثلاثة آلاف ألف درهم ، يتولى أنفاقها ثقتك ونصيحك الحجاج))(5)، فوافق الخليفة الوليد على ذلك المقترح ، حيث تم ترميم السداد ، واستصلاح أراضى واسعة.إن إنقاذ مساحات واسعة من الأراضي بهذا المشروع شجع السكان المجاورين لهذا المشروع على

(1) عواد مجيد الأعظمي (الدكتور) والدكتور حمدان عبد المجيد الكبيسي ، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي ، مطبعة التعليم العالي ، #####(بغداد ،1988م)، ص49 .

(2) الدوري ، النظم الإسلامية ، ص101 ؛ علي حسني الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، بلا ت) ، ص26 .

(3) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص413 ؛ قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص169 .

(4) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ص169-170 .

(5) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص413 .

ضم، أراضيهم له ، مما أدى إلى ازدياد مساحة الأراضي الزراعية(1) ، فنتج من هذا المجلس تنفيذ هذا المشروع الكبير لاستصلاح الأراضي في منطقة البطائح .

وفي أحد مجالس الخليفة عمر بن عبد العزيز بحث أمير البصرة عدي بن الفضيل مع الخليفة عمر موضوع تكاليف حفر بئر في منطقة العذبة(2) ، فبعد أن استفسر الخليفة عمر عن المنطقة ، وتبين له حاجتها إلى الماء ، عندها أعرب الخليفة عن أسفه لعدم وجود ماء للشرب في مثل هذه المنطقة ، لهذا أمر بحفر بئر فيها ، مشترطا أن يكون أول شاربيه أبناء السبيل(3) .

إن حضور أمير البصرة إلى مجلس الخليفة عمر بن عبد العزيز ، ومناقشة موضوع معالجة قضية شحة المياه في تلك المنطقة ، يبين الاهتمام الكبير الذي يوليه الولاة لإنجاز المشاريع التي تخدم الصالح العام ، وذلك من خلال تأكيده على أن الهدف الأول من حضوره إلى مجلس الخليفة كان من أجل حفر البئر ، إذ قال : ((خرجت إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز احتفره بئراً بالعذبة))(4) . ويبدو أن موضع البئر يقع على طريق المارة ، لذا فهو من الأهمية بمكان .

2- العطاء :

وهو مقدار معين من المال تقدمه الدولة لجندها سنويا ، مقابل ما يؤدونه لها من خدمات ، إذ يمثل أكبر قنوات الإنفاق في الدولة منذ صدر الإسلام(5) . و يعد العطاء مصدرا رئيسا لمعيشة الكثير من الناس ، لذا كان لموضوعه حضور واضح في المناقشات بمجالس الخلفاء الأمويين ، فقد جرى

في تلك المجالس بحث موضوع العطاء وما طرأ على مقاديره من تطورات وأسس تحديدها ، ففي أحد مجالسه بحث الخليفة

(1) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص413؛ قدامة ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص170 ؛ الدوري ، النظم الإسلامية ، ص109 .

(2) العذبة : موضع على بعد ليلتين من البصرة فيه مياه طيبة . (ياقوت ، معجم البلدان ،ج6، ص303).

(3) المبرد ، الكامل ، ج1، ص157 .

(4) المصدر نفسه ، ج1، ص157.

(5) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ص629-630 ؛ صالح أحمد العلي ، العطاء في الحجاز ، تطور تنظيمه في العهود الإسلامية الأولى ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد العشرون ، (بغداد ، 1970م) ، ص37 ؛ عبد الرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الإسلام ، دار المعارف ، (مصر ،1961م)، ص294 .

معاوية بن أبى سفيان مع الشاعر لبيد بن ربيعة(1) ، مقدار عطاء الأخير ، الذي كان ألفين وخمسمائة درهم ، والتي استكثرها الخليفة معاوية وأراد إن يخفضه إلى ألفين فقط ، إذ قال معاوية : ((هذا الفودان(2)، فما بال العلاوة ، فقال : أموت الآن وتبقى لك العلاوة والفودان)) ، فرق له معاوية وترك عطاءه على حاله(3) .

والجدير بالذكر إن عطاء لبيد بن ربيعة كان ألفي درهم ، فزاده الخليفة عمر بن الخطاب خمسمائة درهم مكافأة له ، لما طلب منه أن ينشده شعرا ، فقرأ له سورة البقرة(4) .

وفي مجلس آخر بحث الخليفة معاوية مع عبد الله بن صفوان(5) ، مسألة فرض العطاء لبعض قريش الذين لم يكونوا مسجلين في الديوان ، إذ قال لمعاوية : ((تخرج العطاء ، وتفرض للمنقطعين ، فانه حدث في قومك نابتة(6) لا ديوان لهم ، قواعد قريش لا تغفل عنهن فإنهن ينتظرن ما يأتيهن منك ، قال معاوية : أفعل))(7) .

(1) هو لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ، كان شاعرا فارسا شجاعا ، مات في الكوفة في خلافة معاوية . (ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ،ج1، ص135 ؛ ابن حجر ، الإصابة ،ج3، ص326) .

د : جمعه أفواد ، والفود هو العِدلْ ، وقعد بين الفودين أي العدلين ، وقول معاوية هو مجاز . (الزبيدي ، تاج العروس ، مج2، ص456) .

(3) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،ج1، ص276 .

(4) المصدر نفسه ،ج1، ص ص275-276 ، ابن حجر ، الإصابة ،ج3، ص326 .

(5) هو عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي ، كان من أشراف قريشوكان مع عبد الله بن الزبير حتى قتلا معا سنة (73هـ/962م) . (ابن سعد ، الطبقات ،ج5، ص465 ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ،ج2، ص ص333-334 ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج3، ص60) .

(6) نابتة : وتنبت لهم نابتة أي نشأ لهم نـَشْءٌ صغار . (الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ،ج1، ص158) .

(7) الزبيري ، نسب قريش ، ص389 .

فكانت نتيجة هذا المجلس أن قرر الخليفة معاوية فرض العطاء لتلك الفئات ، وهذا يعني الزيادة في النفقات ، لأن استجابة الخليفة تقضي أنه استمر في دفع العطاء لهم بانتظام(1) .
وكان للظروف السياسية دور في فرض العطاء أو منعه ، فيذكر أن مسكين الدارمي(2) ، حضر إلى مجلس الخليفة معاوية ، وطلب منه أن يفرض له العطاء ، فرفض الخليفة طلبه ، لأنه لم يكن يفرض آنذاك إلا لليمانية(3) ، ويبدو أن الخليفة معاوية في بداية خلافته كان لا يفرض إلا لأهل اليمن لاعتماده عليهم إلى حد كبير ، لكن لما اختلت موازين القوى بين اليمانية والقيسية ، قرر فرض العطاء للقيسية ، فأحضر إلى مجلسه عطارد بن حاجب(4) ، ليبحث معه الأمر ، ويبلغَه قراره بفرض العطاء لمسكين الدارمي مع أربعة الاف من قومه(5) .
وكان للمواقف السياسية دورٌ في تحديد مقدار العطاء ، ففي أحد مجالسه تناول الخليفة يزيد بن معاوية مع عبد الله بن جعفر ، مسألة عطائه ، مستفسرا عن مقداره قائلا : ((كم كان عطاؤك؟)) (6)، فقال عبد الله : ((ألف ألف درهم ، قال : فلك ألفا ألف درهم ، قال : فداك أبى وأمي قال : فإن لك ضعفها أربعة الاف ألف درهم))(7). مما دفع بعض الحاضرين في مجلس الخليفة إلى الاعتراض على إعطاء هذا المبلغ الكبير لشخص واحد (8) .

(1) العلي ، العطاء في الحجاز ، ص54 .

(2) هو ربيعة بن عامر بن أنيف الدارمي التميمي ، ومسكين لقب له ، شاعر من العراق ، كان أحد سادات بني دارم . (ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،ج1، ص544 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ،ج3، ص67).

(3) البغدادي ، خزانة الأدب ، ج3، ص67 .

(4) هو عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد التميمي ، وفد على النبي واستعمله على صدقات بني تميم ، كان أحد خطباء العرب . (الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج1، ص328 ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص232 ؛ ابن حجر ، الاصابة ،ج2، ص ص483-484).

(5) البغدادي، خزانة الأدب ، ج3، ص67 .

(6) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج1، ص269 .

(7) ابن حبيب ، المنمق ، ص ص472-473؛ ينظر : التنوخي ، المستجاد ، ص220 ؛ أبو منصور عبد الملك بن محمد ابن إسماعيل الثعالبي ، لطائف المعارف ، تحقيق : إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (القاهرة ، بلا ت) ، ص22 .

(8) ابن حبيب ، المنمق ، ص473 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج1، ص269 .

وبرغم أن المبالغة واضحة في هذه الرواية بخصوص مقدار المبلغ ، إلا أنها عموما تظهر مدى احترام الخليفة يزيد لعبد الله بن جعفر ، ولمكانته الاجتماعية الكبيرة ، فضلا عن محاولة استمالة قلوب أهل المدينة ، بصلتهم من خلاله ، لما عرف عنه من سخاء(1) .
وكان للأوضاع السياسية والعسكرية التي تمر بها الدولة أثر واضح في تحديد مقادير عطاء بعض الفئات ، فبعد اتفاق بني أمية على تولية مروان بن الحكم الخلافة(2) ، التقى في مجلسه مع حسان بن مالك بن بحدل الكلبي – زعيم قبيلة كلب بالشام - وبحث معه موضوع عطاء اليمانية ، اذ اشترط عليه حسان أن يفرض العطاء لألفي رجل من قومه ، على أن يكون عطاء الواحد منهم ألفي درهم ، ومن يموت يقوم مكانه ابنه أو ابن عمه ، فوافق مروان على ذلك(3) .

ولعل مكانة حسان بن مالك ودوره المؤثر في الشام ، وما تمثله قبيلته وباقي القبائل اليمانية من ثقل سياسي وعسكري ، فضلا عن حراجة الوضع بالنسبة للأمويين وحاجتهم إلى الدعم والإسناد ، هو الذي دفع مروان إلى الموافقة على ذلك .

وكان الخلفاء الأمويون في بعض الأحيان يزيدون في عطاء أهل العلم والحفظ ، وينقصون عطاء الجهلاء، فيذكر أنه لما دخل الخليفة عبد الملك بن مروان الكوفة بعد مقتل مصعب بن الزبير سنة (71هـ/690م) دعا الناس إلى مجلسه ، لأخذ البيعة منهم وإعطائهم فرائضهم(4) ، فلما دخل عليه قوم من قبيلة عدوان ، أخذ يسأل أحدهم عن قبيلته وشعرائها ، إلا أنه لم يستطع الإجابة لعدم معرفته ، فأجابه عليها شخص آخر من الحاضرين(5) ، مما دفع الخليفة عبد الملك إلى إنقاص عطاء الأول من السبعمائة إلى الثلاثمائة درهم ، وزاده في عطاء الثاني الذي أصبح عطاؤه سبعمائة بعد ان كان أربعمائة(6) .

(1) التنوخي ، المستجاد ، ص ص220-221 ؛ شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع ، دار القلم ، (بيروت ، بلا ت) ، ج1، ص174 .

(2) اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص178 ؛ الطبري ، تاريخ ،ج5، ص534 .

(3) المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص88 .

(4) البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج5، ص353 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج6، ص ص162-163 .

(5) أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي ، أمالي الزجاجي ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ط2، دار الجيل ، (بيروت ،1987م)، ص ص221-222 .

(6) الطبري ، تاريخ ،ج6، ص164 ؛ الزجاجي ، أمالي الزجاجي، ص222 .

إن ما تمخض عن هذا المجلس من إنقاص الخليفة عبد الملك لعطاء الجاهل بأدب قومه ، وزيادة عطاء العالم بشعراء قبيلته ، يبين مدى اهتمامه بالشعر والأدب .

وكان الخلفاء الأمويون يكافئون بعض الأشخاص على مواقفهم السياسية بزيادة أعطياتهم ، فيذكر أنه لما توفي الخليفة عبد الملك سنة (86هـ/705م) وتولى الوليد من بعده هنأه أحد جلسائه(1) ، فلما انتهى من كلامه – والذي أعجب الخليفة كثيرا على ما يبدو - سأله الخليفة الوليد قائلا : ((في كم أنت ؟ قال : في مائة دينار . فالحقه بأهل الشرف))(2) . إن هذه الزيادة في عطاء ذلك الرجل ، تمثل موقفا دعائيا وإعلاميا حاول الخليفة الجديد استهلال خلافته به من أجل كسب قلوب الناس وتأييدهم .

وحرصا من الخليفة عمر بن عبد العزيز على منع عماله من التجاوز على الأموال العامة ، فإنه خصص لكل واحد منهم ثلاثمائة دينار كعطاء(3) ، وكان هذا المبلغ من العطاء موضع بحث ومناقشة بين الخليفة عمر وأحد جلسائه اذ قال له الأخير متسائلا:((قد بلغني أنك ترزق العامل من عمالك ثلاثمائة دينار ، قال : نعم ، قال : ولم ذلك؟ قال: أردت أن أغنيهم عن الخيانة))(4). ففي هذا المجلس أكد الخليفة عمر بن عبد العزيز على أهمية المورد الكافي لمسؤولي الدولة،لكي لا يضطرون إلى التجاوز على الأموال العامة،أو أخذ الرشاوى من الرعية،والذي بدوره ينعكس على مستوى الأداء في العمل الإداري،وعدم الاهتمام بهذا الجانب يحول دون تحقيق العدالة التي كان ينشدها ويحرص على تحقيقها .

وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يفرض العطاء لمن يسأله ذلك ، فيذكر أن رجلا حضر إلى مجلسه وطلب منه المساعدة ، قائلا : ((يا أمير المؤمنين أغنني عن التجارة ، قال : بماذا ؟ قال : بفريضة ، قال: قد فرضت لك في ستين))(5) ، فاستغنى هذا الرجل بهذا العطاء عن التجارة(6) . ويبدو أن هذا الرجل كان لا يرغب بالعمل لذا استغنى بما فرض له من عطاء .

(1) الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2، ص ص191-192 ؛ الوشاء ، الفاضل ،ج1، ص ص173-174 .

(2) أي الحقه بشرف العطاء وهو أعلى رتبة في العطاء ، والذي كان يعطى للشخصيات المهمة وأهل الفتوح لمساهمتهم ، وكان الحد الأعلى لشرف العطاء يقدر بألفين وخمسمائة درهم . (الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2، ص192 ؛ الأعظمي ، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الاسلامي ، ص188) .

(3) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص44 .

(4) المصدر نفسه ، ص ص44-45 .

(5) ابن سعد ، الطبقات ،ج5، ص349 .

(6) المصدر نفسه ،ج5، ص349 .

ولما حضر الشاعر نصيب إلى مجلس الخليفة عمر بن عبد العزيز ، لامه وعنفه بخصوص اتجاهات شعره ، إلا أن نصيبا أكد للخليفة تركه ذلك ، وشهد له الحاضرون وأثنوا عليه(1) . عندها بين نصيب للخليفة حالته المعاشية والاجتماعية ، وأن لديه بنات لم يتزوجن ، وأنه حضر المجلس لكي يفرض لهن، ففرض لهن وأعطاه نفقة لطريقهِ وكسوة (2) .

و كان يجري في مجالس الخلفاء بحث ومناقشة موضوع عطاء الخارجين على الدولة ، فمن ذلك أن رجلا كان من الخارجين على الدولة حضر إلى مجلس الخليفة عمر بن عبد العزيز وأعلن تخليه عن ذلك ، وبحث معه موضوع عطائه الذي أوقف صرفه طيلة مدة خروجه ، قائلا : ((يا أمير المؤمنين إني كنت في العصاة وحرمت عطائي))(3) . فقرر الخليفة أن يعاد تسجيل اسمه في ديوان العطاء ، وأن تصرف له جميع مستحقاته من العطاء خلال السنوات التي خرج فيها(4) . إن ما نتج عن هذا المجلس من قرار يمثل تطوراً سياسياً كبيراً تجاه قوى التمرد والعصيان ، ودعوة لكل الخارجين بالعودة إلى أحضان الدولة ، ليس بإعادتهم إلى أماكن عملهم فحسب ، انما بصرف عطائهم لسنوات تمردهم .

وأما مجالس الخليفة هشام بن عبد الملك فقد تناولت هي الأخرى موضوع العطاء ومقاديره وموعد إخراجه ، ففي أحد مجالسه ، استفسر من محمد بن شهاب الزهري وعبد الله بن ذكوان(5) ، عن موعد عطاء أهل المدينة ، فبين له الأخير أن موعد توزيع العطاء في شهر محرم من كل سنة(6) .

(1) الأصفهاني ، الأغاني ،ج1، ص ص332-333 .

(2) المصدر نفسه ، ج1، ص333 .

(3) ابن سعد ، الطبقات ، ج5، ص348 .

(4) المصدر نفسه ،ج5، ص348 .

(5) هو عبد الله بن ذكوان مولى رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كانت كنيته أبا عبد الرحمن ، وكان عالما فقيها ، توفي سنة (130هـ/747م) . (أبو اسحق ابراهيم بن علي بن

يوسف الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، تصحيح ومراجعة : الشيخ خليل الميس ، دار القلم ، (بيروت ، بلا ت) ، ص ص50-51 ؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ،ج3، ص ص134-135) .
(6) الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، ص51 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج4، ص177 .

ولم تذكر المصادر أسباب استفسار الخليفة هشام عن موعد عطاء أهل المدينة ، و ربما كان ذلك للنظر في زيادته لهم، اذ يُذكر أن عطاء بن أبي رباح حضر إلى مجلس الخليفة هشام وطلب منه أن يُخرج أعطيات أهل الحجاز ، فامر لهم بعطاءين وأرزاق سنة(1) .

لعل حضور عطاء بن أبي رباح إلى مجلس الخليفة هشام ومطالبته بإخراج عطاء أهل الحجاز ، لتأخر عطائهم عن موعدِهِ ، مما اغضبهم ، فأمر الخليفةُ لهم بعطاءين إرضاءً لهم .

وكان الخليفة هشام لا يفرض لأحد عطاءً إلا إذا قدّم من الخدمات ما ينتفع بها ، فيُذكر أن خالداً بن صفوان(2) حضر إلى مجلسه وطلب منه أن يزيد في عطائه عشرة دنانير(3) ، إلا أن الخليفة هشاماً رفض ذلك الطلب ، قائلا : ((فيم ولِمِ وبم ؟ ألِعِبادة أحدَثتها أم لبلاءٍ حسنٍ أبليته في أمير المؤمنين ؟ ألا لا يا ابن صفوان ، ولو كانَ لَكَثُرَ السؤّال ولم يحتملْهُ بيتُ المال))(4) .

كما كان الخليفة هشام يرى أن فرض العطاء ليس بالأمر الهيِّن لمن لا يستحقه، فيُذكر أن ابن أحد مواليه حضر إلى مجلسه ، وقد جاء بمال وفير من غلة ضيعة له كان يديرها ، فلما رأى ذلك الرجل انبساط الخليفة ورضاه ، طلب منه أن يزيد في عطائه عشرة دنانير(5) ، فرفض الخليفة هشامٌ ذلك قائلا : ((أيُخيل إلى أحدكم أن عشرة دنانير من العطاء إلا بقدر الجوز ؟ لا لعمري لا أفعل))(6) .

(1) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ،ج2، ص ص108-109 .
(2) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الاهتم التميمي ، من فصحاء العرب المشهورين ، ولد ونشأ في البصرة ، كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك توفي سنة (133هـ/750م) . (ابن خلكان ، وفيات الاعيان،ج3، ص ص11-12 ؛ إحسان النص ، القبائل العربية أنسابها وأعلامها ، ط1، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، 2000م)، ج1 ، ص331).
(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج7، ص168 ؛ الشريف المرتضى ، أمالي المرتضى ،ج2، ص261 .
(4) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج7، ص168 ؛ الشريف المرتضى ، أمالي المرتضى ،ج2، ص ص261-262 .
(5) الطبري ، تاريخ ،ج7، ص203 .
(6) المصدر نفسه ، ج7، ص203 .

وبهذه المواقف أراد الخليفة هشام أن ينظم العطاء بطريقة يمنع صرفه بشكل عشوائي ، وأن تكون عملية فرضه خاضعةً لضوابط وأسس ، مما يعكس حرصه على أموال المسلمين(1) .

3- الهبات والعطايا :

إن ما يقدمه الخلفاء من أموال للناس لقضاء حاجاتهم الخاصة أو لتسديد ديونهم ، أو على شكل هبات وعطايا ، يمثل بابا من أبواب النفقات في الدولة الإسلامية(2) ، لذا شهدت مجالس الخلفاء الأمويين حضورَ الكثير من أهل الحاجات وأصحاب الديون ، وما رافق ذلك من المناقشات

والمحاورات حول الأسباب والدوافع وراء ما يطلبه هؤلاء من أموال لقضاء حاجاتهم وتسديد ديونهم ، فيذكر أن عبد الله بن جعفر ، كان في مجلس الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، فطلب منه أن يعطيه مالا لتسديد دين عليه ، لعدم قدرته على سداده ، بعد أن قضى له معاوية جميع حوائجه الخاصة والعامة(3) ، مما دفع معاوية إلى مناقشة الموضوع مع عبد الله بن جعفر ، موضحا له أن ما قضي له من حاجات ، ميزة لا يتمتع بها غيرُه من قريش وأن بيت المال لا يحتمل كل ذلك ، وبرغم ذلك قضى دينه الذي كان ثلاثين ألف دينار(4) .

إن إعطاء الخليفة معاوية مالا لعبد الله بن جعفر لتسديد دينه ، بعد قضاء جميع حوائجه ، يبين المكانة الكبيرة التي كان يتمتع بها عبد الله لدى الخليفة معاوية .

وفي بعض المجالس كان أصحاب الحاجات يتفننون بطريقة طلبهم لقضاء حاجاتهم ، إذ يطلبون الأمور الكبيرة ليصلوا إلى ما يريدون من حاجات، فيُذكر أن رجلا حضر مجلس الخليفة معاوية ، لطلب حاجة ، فدار بينهما الحوار التالي : إذ قال لمعاوية ((اقطعني البحرين(1) قال : إني لا اصل إلى ذلك ،

(1) يوليوس فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة : عبد الهادي أبو ريده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، 1968م)، ص335 .

(2) حسن ، النظم الإسلامية ، ص249 .

(3) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، أنساب الأشراف ، حققه وعلق عليه : الشيخ محمد باقر المحمودي ، ط1، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، (بيروت ،1974م)، ص53 .

(4) المصدر نفسه ، ص ص53-54 .

(5) البحرين : اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعُمان ، قيل هي قصبة هجر وقيل هجر قصبة البحرين . (ياقوت ، معجم البلدان ،ج2، ص275).

قال: فاستعملني على البصرة ، قال : ما أريد عزل عاملها ، قال : تأمر لي بألفين، قال : ذلك لك)) (1) . وبهذا الأسلوب حصل الرجل على ذلك المبلغ ، الذي عده إسلوباً ينم عن الذكاء والفطنة ، لانه عند خروجه من المجلس لامه أصحابه على الرضى بقليل من المال بعد طلبه إقطاع البحرين وولاية البصرة ، قائلا : ((اسكتوا لولا الأوليان ما أعطيت هذه))(2) .

ومن ذلك أيضا أنه حضر رجل إلى مجلس الخليفة معاوية ، فطلب منه في بداية الأمر أن يزوجه ابنته فلما رفض معاوية ذلك ، طلب منه أن يوليه خراسان ، ولما اعتذر معاوية ، سأله أن يستعمله على شرطة البصرة(3) ، ولما لم يحقق له معاوية بغيته ، طلب منه أن يعينه في بناء دار له(4) ، وبما أن المصادر لم تذكر أن الخليفة معاوية ساعده في بناء داره ام لا ، إلا أن الخوض في مثل هذه الأمور في مجلس الخليفة ، يبين مدى حرية الكلام في مجالس الخلفاء الأمويين وسعة صدورهم وصبرهم ، فضلا عن المساعدة التي كان الخلفاء يقدمونها للناس من أجل قضاء حوائجهم .

وكانت مقادير هبات الخلفاء وعطاياهم ، تتناسب والمكانة الدينية والاجتماعية للشخص الذي تعطى له ، فيُذكر أن الحسن بن علي (رضي الله عنهما) حضر إلى مجلس الخليفة معاوية ، وهو في المدينة عند زيارته لها وكان ذلك في آخر أيام تلك الزيارة(5) ، فأمر أن تكون هديته بقدر جميع ما

أعطى أهل المدينة خلال مدة إقامته فيها ، و لاشك أنه كان ملبغا كبيرا ، فقبله الحسن ، ووزعه على الحاضرين(6) .
وكان بعض الأشخاص ينتقدون الخلفاء، إذا ما اعتذروا عن إجابة طلباتهم، فيذكر أن رجلا حضر إلى مجلس الخليفة يزيد بن معاوية، فقال له : ((اغنني عن غيرك ، فقال يزيد : حسبك ما اغناك به

(1) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج3، ص131 .
(2) المصدر نفسه ،ج3، ص131 .
(3) الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2، ص ص259-260 .
(4) المصدر نفسه ،ج2، ص260 ؛ ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين ، ص199 .
(5) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص59 . ويبدو أن هذه الزيارة كانت سنة (44هـ/664م) عندما قدم معاوية إلى الحجاز حاجا .(اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص155).
(6) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص59 .

معاوية ، فقال : فهو والله الحي وأنت الميت))(1) ، فأثرت هذه المقالة في الخليفة يزيد وأمر له بجائزة(2) .
فضلا عن ذلك فقد كان يجري في مجالس الخلفاء الأمويين تناول موضوع قطع أو منع الأرزاق والهبات لبعض الأشخاص ، فيذكر أن الخليفة عبد الملك بن مروان كان قد قطع أرزاق آل أبي سفيان وجوائزهم لأمر وجده على خالد بن يزيد بن معاوية(3) ، مما دفع عمرو بن عتبةٍ بن أبي سفيان (ت 82هـ) إلى الحضور إلى مجلس الخليفة عبد الملك وبحث الأمر معه ، مذكًّرا إياه بحقهم عليه ، لقرابتهم منه ، وإكرام آل أبي سفيان لبني مروان(4) ، عندها وافق على إطلاق تلك الجوائز ، مبينا أنه لايعطي الجوائز إلا لمن يطلبها(5) .
وكان للمواقف السياسية المؤيدة للدولة والجهود المبذولة في مواجهة أعدائها دورٌ في تحديد مقادير العطايا والهبات التي يمنحها الخلفاء الأمويون، فيُذكر أن عبيد الله بن الحر(6) وجماعة من أصحابه حضروا إلى مجلس الخليفة عبد الملك ، فأكرمهم فاعطى ابن الحر مائة ألف درهم ، وأعطى مالا لاصحابه، عندها قال له ابن الحر: ((إني أتيتك لتوجه معي جندا إلى مصعب لأحاربه))، فامر له بمائه ألف درهم أخرى ، كما وزع مالا بين أصحابه(7) ، وأمره أن يجمع الرجال ويسير إلى مصعب بن الزبير ، فنفذ ما أمره عبد الملك إلا أنه قتل في الأنبار(8).

(1) أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني ، المنتخب من كتابات الأدباء وإشارات البلغاء ، دار صعب ، (بيروت ، بلا ت) ، ص108 .
(2) المصدر نفسه ، ص108 .
(3) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج3، ص130 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص21 .
(4) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج2، ص21 .
(5) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج3، ص130 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج2، ص21 .
(6) هو عبيد الله بن الحر بن عمرو بن خالد الجعفي ، كان من أصحاب معاوية شهد معه صفين ، ثم تركه وذهب إلى علي بن ابي طالب حارب المختار الثقفي تحت راية مصعب بن الزبير ، ثم التجأ إلى عبد الملك ، كان شاعرا ، قتل سنة (68هـ/687م) . (البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج5، ص ص290-وما بعدها ؛ البغدادي ، خزانة الأدب،ج2، ص ص156-وما بعدها) .

(7) **البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج5، ص ص296-297 .**
(8) **المصدر نفسه ،ج5، ص ص297-وما بعدها .**
وفي بعض الأحيان كان الخلفاء الأمويون لا يقضون الديون إلا لمن يرون أنه يستحق ذلك ، وفق معايير ومقاييس خاصة بهم ، فيُذكر أن رجلا من بني مخزوم حضر إلى مجلس الخليفة الوليد بن عبد الملك وشكا إليه دينا لا يستطيع سداده ، بعد أن بين للخليفة أنه يستحق ذلك لقرابته منه ، إلا أن الخليفة الوليد رفض إعطاءه المبلغ لما علم أنه لا يقرأ القرآن(1) . فقام أحد الجالسين ، وطلب من الخليفة أن يقضي دينه، فقال له الوليد :((أتقرأ القرآن؟ فقال : نعم)) فاستقرأه فقرأ ، فقضى عنه دينه(2) .
إن هذا التصرف من قبل الخليفة الوليد ، يبين أن قضاء الديون وإعطاء الهدايا من قبل الخلفاء لم يكن أمرا عفويا حتى ولو كان الشخص من أقرباء الخليفة ، وإنما كان لمن يستحق وفق ما يرونه من معايير، فضلا عن بيان مدى اهتمام الخليفة الوليد بالقرآن الكريم ، وتشجيعه للعلم والعلماء .
وفي مثل هذا السياق ، حضر رجل من أهل العراق إلى مجلس الخليفة سليمان بن عبد الملك ، فسأله عن المطر ، فلما وصفه له ، وأعجب بذلك الوصف ، أعطاه ألفي درهم مكافأة على ذلك (3) .
وفي بعض الأحيان كان أصحاب الحاجات يطلبونها بوسائل ذات تأثير على النفس ، فيُذكر أن رجلا حضر إلى مجلس الخليفة سليمان بن عبد الملك ، فحدثه بأنه رآه في المنام وهو يُلبسه أثواب خز بنفسجية، ويقضي عنه دينه ، عندها أدخله الخليفة سليمان خزانة الكسوة وأمر بإعطائه كل أثواب الخز البنفسجية التي في الخزانة ، وقضى عنه عشرة آلاف دينار ، كانت دينا عليه(4) .
(1) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج5، ص161 .**
(2) **المصدر نفسه ،ج5، ص161 .**
(3) **الزمخشري ، ربيع الأبرار ،ج1، ص ص151 –152 .**
(4) **النويري ، نهاية الأرب ،ج4، ص68 .**
وفي مجالس الخلفاء الأمويين ، كان يتم تشجيع الصفات الحميدة التي كان يتمتع بها بعض الأشخاص ، من خلال قضاء حوائجهم وتقديم المساعدات المالية لهم ، فيذكر أن سعيداً بن خالد بن أسيد(1) ، حضر إلى مجلس الخليفة سليمان بن عبد الملك فلما رآه الخليفة رحب به ، ثم استفسر منه عن حالته المعاشية ، فبين للخليفة أنه يمر بضائقة مالية ، وذلك بأن عليه دينا لا يستطيع سداده ، فقال له سليمان : ((كم هو ؟ قال : ثلاثون ألف دينار))(2) . فامر له بمائة ألف دينار(3) .
ويبدو أن ما اشتهر به سعيد بن خالد من سخاء وكرم ، هو الذي دفع الخليفة سليمان إلى إعطائه مثل هذا المبلغ الكبير ، تشجيعا له على هذه الصفة الحميدة(4) .
ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، أخذت مسألة قضاء الحاجات وإعطاء الهبات ، تخضع لمعايير تختلف عما كانت عليه ، إذ كان يتحرج من دفع الأموال دونما وجه حق شرعي ، فيُذكر أن الخليفة سليمان بن عبد الملك كان قد أمر لعنبسة بن سعيد بن العاص بمبلغ عشرين ألف دينار، إلا أن الخليفة سليمان توفي قبل أن يتسلمها(5) ، عندها حضر إلى مجلس الخليفة عمر بن عبد العزيز وأطلعه على الأمر ، وناقشه بتفاصيله ، وطلب منه أن ينفذ ما أمر به سلفه(6) إلا أن الخليفة عمر بن عبد العزيز رفض إعطاءه هذا المبلغ ، قائلا : ((عشرون ألف دينار تعني أربعة الآف بيت من المسلمين وأدفعها إلى رجل واحد؟ والله مالي إلى ذلك من سبيل))(7) .

(1) **هو سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، ويلقب بعقيد الندى . (ابن دريد ، الاشتقاق ، ص79 ؛ الزبيري، نسب قريش ، ص ص192-193) .**
(2) **التنوخي ، المستجاد ، ص ص175-176 ؛ الزمخشري ، ربيع الأبرار ،ج1، ص ص595-596 .**
(3) **الزمخشري ، ربيع الأبرار ، ص596 .**
(4) **التنوخي ، المستجاد ، ص176 .**
(5) **ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص55 .**
(6) **المصدر نفسه ، ص55 .**
(7) **المصدر نفسه ، ص55 .**

ومن ذلك أيضا أنه لما قاطع الخليفة عمر بن عبد العزيز الشعراء ومنع عنهم الهبات والعطايا ، وما كانوا يحصلون عليه من جوائز، حضر كل من الشعراء كثير والأحوص ونصيب إلى مجلسه ، لبحث الأمر معه(1)، وأخذوا يحدثونه عنهم ، وجفائه لهم وكلام الناس في ذلك(2) ، عندها بيَّنَ الخليفة عمر لهم أن إعطاء الأموال وقضاء الحاجات ، يجب ان يكون وفق الأصول والقواعد الشرعية ، فقال :((يا كثير ، {إنّما الصدقات للفقراءِ والمساكينَ والعاملينَ عليها ، والمؤلَّفةِ قُلُوبُهمْ وفي الرِقابِ والغارمينَ وفي سبيلِ الله وابن السَّبيلِ فريضةً من اللهِ واللهُ عَليمٌ حَكيمٌ} (3) ، أفي واحدة من هؤلاء أنت ، فقال : ابنُ سبيل منقطع به))(4) . فأعطى كلاً من كثير والأحوص ثلاثمائة درهم ، بينما أعطى نصيباً مائة وخمسين درهما(5) .
وعلى ما في هذه الرواية من ضعف ، لأن الأحوص كان منفيا في دهلك منذ خلافة سليمان ، وطيلة خلافة عمر وصدر من خلافة يزيد بن عبد الملك(6) ، إلا أن هذا المجلسَ يبين أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان يرى أن قضاء حاجات الناس يجب أن يدخل ضمن أحد أوجه صرف الصدقات(7) .
ورغم الحرص الذي وصف به الخليفة هشام بن عبد الملك(8) ، إلا أن مجالسه كانت لا تخلو من الكثير من أهل الحاجات ، لقضائها ومن ذلك يذكر أن علياً بنَ عبد الله بن عباس حضر مع ابنيه أبي العباس وأبي جعفر إلى مجلسه(9) ، فشكا إليه ديناً لا يستطيع سدادَه ، فقال له هشام :((كم دينك ؟ قال : ثلاثون ألفا ، فأمر له بها))(10) .

(1) **ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،ج1، ص505 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج1، ص281 .**
(2) **ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،ج1، ص505 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج1، ص281 .**
(3) **سورة التوبة ، الآية : 60 .**
(4) **ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،ج1، ص505 ؛ ينظر :ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج1، ص282 .**
(5) **ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،ج1، ص ص505-507 .**
(6) **ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ،ج2، ص ص656-657 .**
(7) **ابن سعد ، الطبقات ،ج5، ص349 .**
(8) **اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص229 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج3، ص198 .**
(9) **المبرد، الكامل ،ج2، ص218؛ مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص139 .**

(10) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ص139-140؛ ينظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5، ص329 .

وكان الخليفة هشام في بعض الأحيان ، لايقضي الحاجة ، حتى يناقش صاحبها ، ويقف على الأسباب وراء طلبها ، فيذكر أن محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ، حضر مجلس الخليفة هشام ، وطلب منه ثلاثة آلاف دينار(1) ، إلا أن الخليفة لم يوافق على إعطائه إياها إلا بعد نقاش مطول معه ، استطاع محمد بن أبي الجهم من خلاله إقناع الخليفة هشام بحاجته الماسة لذلك المبلغ ، عندها أمر له به(2) .

إن وقوف الخليفة هشام على الأسباب وراء طلب الناس للحاجات ، يبين مدى حرصه على إنفاق الأموال وإيصالها إلى مستحقيها وفق الأصول والقواعد الشرعية ، لذا فإنه لما اقتنع بالأسباب التي ساقها محمد بن أبي الجهم أمر له بحاجته . وهو يبين لجلسائه أنه يكره الإسراف مثلما يكره البُخل ، قائلا:((أما والله إنا لنعرف الحق إذا نزل ، ونكره الإسراف والبخل ، وما نعطي تبذيراً ولا نمنع تقتيرا ، وما نحن الإ خُزان الله في بلاده وأمناؤه على عباده ، فإذا أذن أعطينا واذا منع أبينا ، ولو كان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ما جبهنا قائلا ولا رددنا سائلا))(3) .

(1) الوشاء ، الفاضل ،ج1، ص ص80-81 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5، ص182 ؛ ابن منقذ ، لباب الآداب ، ص146 .

(2) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5، ص ص182-183 ؛ القالي ، الأمالي ،ج1، ص147 ؛ ابن منقذ ، لباب الآداب، ص147 .

(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج5، ص183 .

المحاسبة على الأموال العامة

أبدى الخلفاء الأمويون اهتماما واضحا بعمليات جباية الأموال ، وأبواب صرفها ، و تابعوا سير تلك العمليات ، وحاسبوا الولاة والأمراء ومسؤولي الوظائف المالية ، واستفسروا منهم عن بعض الأموال ، وفقا لتقديرات حسابية خاصة ، اختلفت من إقليم إلى آخر ، فقد شهدت مجالسهم الكثير من اللقاءات حول مصير تلك الأموال ، وما آلت إليه ، وطرق استرجاعها ، ومن ذلك ما شهده مجلس الخليفة معاوية بن أبي سفيان من لقاءات ، تخص الأموال التي كانت عند زياد بن أبي سفيان ، خلال ولايته على فارس في خلافة علي بن أبي طالب وابنه الحسن (رضي الله عنهما) ورفضه مبايعة معاوية بعد تنازل الحسن بن علي(1) ، فقامَ والي البصرة بسر بن أبي أرطأة بحبس عدد من أولاد زياد ، وهدد بقتلهم إذا لم يقدم زياد إلى معاوية بالكوفة ليحاسبه على ما في يديه من أموال(2) ، عندها حضر أبو بكرة وكان أخاً لزياد من أمه(3) إلى مجلس الخليفة معاوية ، وبحث معه الأمر ، راجيا من الخليفة منح الأمان لزياد وإطلاق سراح أبنائه ، لكن الخليفة معاوية رفض ذلك إلا بعد محاسبته على ما بيده من أموال ومع أن المباحثات أسفرت عن إطلاق سراح أولاد زياد(4) إلا أن الخليفة أصر على محاسبة زياد ومعرفة مصير الأموال التي كانت بين يديه ، إذ أرسل إليه المغيرة بن شعبة ، الذي استطاع إقناع زياد بالقدوم إلى الشام ، بعد إعطائه الأمان من قبل معاوية ، شرط أن يقدم تفاصيل عن الأموال التي كانت معه(5) .

فقدم زياد إلى مجلس الخليفة معاوية ، وبحث معه موضوع الأموال التي كانت بحوزته ، وقدّم له تفاصيل عن أبواب صرفها ، ومقدار ما بقي منها ، وعلى أثر تلك المباحثات حصلت المصالحة

بينهما ، على أن يؤدي زياد لمعاوية مليون درهم بقية المال(6) ،وقيل مليوني درهم(7) .
(1) **الطبري ، تاريخ ،ج5، ص176 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5، ص249؛ النويري ، نهاية الأرب،ج20،ص294 .**
(2) **الطبري ، تاريخ ، ج5، ص168 ؛ ابن الأثير ، الكامل ،ج3، ص278 .**
(3) **الطبري ، تاريخ ،ج5، ص168؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5، ص247 .**
(4) **الطبري ، تاريخ ، ج5، ص169 ؛ ابن الأثير ، الكامل ،ج3، ص279 .**
(5) **الطبري ، تاريخ ،ج5، ص178 ؛ البياسي ، الأعلام ، ج1، ورقة 51 ب ؟ رمزية عبد الوهاب الخيرو ، إدارة العراق في صدر الاسلام ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ،1978م)، ص ص58-59 .**
(6) **ابن الأثير ، الكامل ،ج3، ص285 .**
(7) **مجهول ، تاريخ الخلفاء ، ص141 .**

ويبدو أن الخليفة معاوية استخدم قضية المال للضغط على زياد ليبايعه ، لأن تحصن زياد بقلعة فارس، ومعه الأموال قد أقلقه ، وهذا ما عبّر عنه ، بقوله : ((داهية العرب معه الأموال ، متحصن بقلاع فارس ، يدبر ويربص الحيل))(1) .

ولما اختلس والي خراسان كثير بن شهاب المذحجي أموالا من ولايته ، هرب والتجأ إلى هانئ بن عروة المرادي(2) ، فاهدر الخليفة معاوية دم هانئ(3) ، مما دفعه إلى الذهاب إلى الخليفة معاوية ، وحضور مجلسه، وبحث معه موضوع كثير بن شهاب والأموال التي معه ، فاسفرت تلك المباحثات عن تفويض هانئ بن عروة ، بمحاسبته على أن يأخذ هانئ قسماً من الأموال ويغرّم القسم الآخر ، مقابل العفو عنه(4) .

وبعد أن قضى الحجاج بن يوسف على عبد الله بن الزبير سنة (73هـ/692م) ، أخذ يلاحق أخاه عروة بن الزبير ، لاعتقاده أن لديه أموال أخيه عبد الله(5) ، وكان عروة عاملا لعبد الملك بن مروان على اليمن ، فلما علم عروة أن الحجاج عازم على مطالبته بأموال أخيه عبد الله ، على أنها أموال للمسلمين ، و قد يعزله عن اليمن باعتبارها تابعة للحجاج إداريا(6) ، قرر عروة الإلتجاء إلى الخليفة عبد الملك الذي أكرمه وأمنه(7) ، إلا أن الحجاج كتب إلى الخليفة عبد الملك يطلب تسليمه عروة ، لمحاسبته على ما لديه من أموال أخيه عبد الله ، التي في استخراجها ، قطع لطمع غيره(8) . عندها أحضر الخليفة عبد الملك عروة بن الزبيرإلى مجلسه ، وناقش الأمر معه ، وأطلعه على فحوى كتاب الحجاج ، وإصراره على المطالبة

(1) **الطبري ، تاريخ ، ج5، ص177 ؛ ينظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج5، ص249 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج3، ص284 .**
(2) **هو هانئ بن عروة بن الفضفاض بن عمران المرادي ، سكن الكوفة كان من خواص علي بن أبي طالب ، قتله عبيد الله بن زياد مع مسلم بن عقيل في الكوفة . (الطبري ، تاريخ ،ج5، ص ص378-379 ؛ ابن حجر ، الإصابة ،ج3، ص616).**
(3) **المبرد ، الكامل ،ج1، ص123 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج1، ص96 .**
(4) **المبرد ، الكامل ، ج1، ص ص123-124 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج1، ص ص96-97؛ جاد المولى ، قصص العرب ،ج2، ص372 .**
(5) **البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج5، ص371 ؛ الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص315 .**

(6) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5، ص**278 .
(7) **البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج5، ص**371 ؛ **ابن أعثم ، الفتوح ،ج6، ص**281 .
(8) **ابن أعثم ، الفتوح ، ج6، ص**281 ؛ **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج5، ص ص**278-279 .

به ، وليبلغه بقرار تسليمه للحجاج ، مما جعل عروة يبين لعبد الملك أن تسليمه للحجاج بعد الأمان الذي أعطاه إياه ، ما هو إلا دليل على ضعف سلطان عبد الملك أمام سلطان الحجاج(1) ، مما دفع الخليفة عبد الملك إلى التراجع عن قراره ، وكتب للحجاج بذلك(2) . فترك الحجاج عروة وشأنه ، إلا أنه استمر في التحري عن أموال عبد الله حتى أخذها جميعا – على حد رواية ابن اعثم (3) مما يبيِّن مدى حرص الحجاج على أموال الدولة ، وسعيه لمنع أي تجاوزات عليها(4) .
وتناول مجلس الخليفة عبد الملك كذلك مسألة الأموال التي كانت لدى موسى بن نصير ، لما كان مستشارا لوالي العراق بشر بن مروان ، ومتولي خراج البصرة ، إذ كتب الخليفة عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف الذي تولى العراق بعد بشر سنة (75هـ/694م)أن يحاسب موسى بن نصير(5) ، ولما علم موسى بالأمر هرب من العراق واستجار بعبد العزيز بن مروان والي مصر ، الذي كان في دمشق آنذاك ، وكان لموسى مكانة كبيرة عنده(6) ،فحضرا معا إلى مجلس الخليفة عبد الملك ، لبحث الموضوع معه ، إذ عاتب عبد الملك موسى على اقتطاعه الأموال ، وعدم إرسالها إلى بيت المال ، إلا أن موسى نفى عن نفسه هذه التهمة ، مؤكدا نصحه وإخلاصه له ، غير أن الخليفة عبد الملك أصر على تغريمه مائة ألف دينار ، عندها تكفل عبد العزيز بن مروان بدفع نصفها من ماله،على أن يؤدي موسى الباقي على دفعات خلال ثلاثة أشهر(7).
إن إصرار الخليفة عبد الملك على تغريم موسى،رغم شفاعة أخيه عبد العزيز،يبين حرص الخليفة عبد الملك على الأموال العامة،فضلا عن أن إجراءه هذا سيضع حدا لأطماع غيره من الطامعين بأموال الدولة . (1) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5، ص**279 .
(2) **البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج5، ص**370 ؛ **الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص**316 .
(3) **الفتوح، ج6، ص**281 .
(4) **هزاع بن عيد الشمري ، الحجاج بن يوسف وجه حضاري في تاريخ الاسلام ، المطبعة العالمية ، (الرياض ، بلا ت)، ص**47 .
(5) **ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (منسوب له) ،ج2، ص**59 .
(6) **ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (منسوب له) ، ج2، ص**60 ؛ **وفي رواية أن موسى بن نصير ذهب إلى مصر ، وجاء بعبد العزيز بن مروان إلى الشام ، ليشفع له عند أخيه عبد الملك . (أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار أفريقيا والمغرب ، مطبعة المناهل ، (بيروت ،1947-1950م)، ج1، ص**32) .
(7) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (منسوب له) ، ج2، ص60 ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ،ج1، ص32 .
ولما قام والي العراق الحجاج بن يوسف بسجن آل المهلب ، ومطالبتهم بستة ملايين درهم(1) ، ومعاملتهم بقسوة ، هربوا إلى الشام واستجاروا بسليمان بن عبد الملك وليِّ العهد ، الذي كان مقيما في فلسطين ، فأجارهم وأمَّنهم(2) ، وكتب إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يخبره بأمرهم ومطالبة الحجاج لهم بستة ملايين درهم ، أدوا له منها ثلاثة ملايين ، وتعهد سليمان بدفع باقي المبلغ(3).

رفض الخليفة الوليد هذا الاقتراح ، وأصر على حضورهم إلى مجلسه ، إلا أن سليمان أصر على أن لايسلم يزيد بن المهلب وإخوانه إلى الخليفة الوليد ، مما أدى إلى توتر العلاقة بينهما ، مما دفع يزيد بن المهلب أن يسلم نفسه إلى الخليفة الوليد خشية حدوث نزاع بين الخليفة وولي عهده(4) ، فبعث سليمان يزيد بن المهلب مع ابنه أيوب الذي حمَّله رسالة إلى الوليد ، يوضح له فيها مكانة آل المهلب وبلاءهم وحُسْن طاعتهم ، ويدعوه إلى العفو عنهم ، ويتعهد بدفع كل ما يترتب عليهم من أموال(5) ، فلما حضرا معا إلى مجلس الخليفة الوليد ، طلب أيوب من عمه الخليفة الوليد أن لا يرد جوار أبيه ثم تكلم يزيد بن المهلب مؤكدا على المكانة الرفيعة التي يتمتع بها الخليفة لديهم ، مذكّرا إياه ببلائهم في مقارعة أعداء الخلافة الأموية ، مع حسن طاعتهم ، قائلا : ((يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ، فمن ينس ذلك فلسنا ناسيه ،ومن يكفر فلسنا كافريه ، وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام))(6)، فلما سمع الوليد ذلك أمنه وعفا عنه ، وكتب إلى الحجاج أن يكف عنهم(7) .

(1) أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والاسلام وأسماء من قتل من الشعراء، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ،1954م)، ج2، ص178؛ الطبري ، تاريخ ، ج6، ص448 .

(2) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص448 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج9، ص84 .

(3) ابن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص500 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4، ص257 .

(4) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص451 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم،ج4، ص429؛ العبود ، آل المهلب ، ص94.

(5) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص ص451-452؛ ابن الأثير ، الكامل ،ج4، ص257 .

(6) الطبري ، تاريخ ، ج6، ص ص451-452 ؛ ينظر : ابن أعثم ، الفتوح ، ج7، ص214 .

(7) ابن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص500 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج9، ص85 .

وتناولت مجالس الخليفة سليمان بن عبد الملك ، موضوع الأموال التي كانت في أيدي بعض الولاة ، ففي مجلس حضره كل من يزيد بن المهلب وموسى بن نصير ، بحث الخليفة سليمان معهما موضوع الأموال التي عند موسى ، وقرر تغريمه مائة ألف دينار(1) ، إلا أن موسى أكد للخليفة أنه ليس باستطاعته دفعها ، فتكفل يزيد بن المهلب بدفعها عنه(2) .

ويبدو أن موسى بن نصير أثار مخاوف الخليفة سليمان لما رأى كثرة الأموال التي جاء بها إلى دمشق بعد رجوعه من الأندلس ، وما حصل له من شهرة بين المسلمين ، فأراد أن يحط من شأنه ، باتهامه باختلاس بعض الأموال ، ووهبه ليزيد بن المهلب على أن يدفع الغرامة المفروضة عليه(3) .

وفي سنة(96هـ/714م)عزل الخليفة سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان المري عن المدينة(4)،وغرَّمه مليوني درهم،فالتجأ عثمان إلى يزيد بن المهلب،وطلب منه المساعدة في تسديد المال،فتعهد له بدفعه(5)،وحضر يزيد إلى مجلس الخليفة سليمان،وناقش معه الموضوع،وفي بداية الأمر أصر الخليفة سليمان على أخذ الأموال،ولما حملها يزيد بن المهلب إلى بيت المال،وعلم الخليفة بذلك أعادها له(6).

ولما فتح يزيد بن المهلب جرجان(7) وطبرستان(8) سنة (98هـ/716م) ، كتب إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك يخبره بالفتح ، وأن خمس ما غنمه من ذلك الفتح كان ستة ملايين درهم(9) ،

وأنه سوف يرسلها

(1) وقيل ثلاثة ملايين دينار . (ابن قتيبة ، الإمامة والسياسية (منسوب له) ،ج2، ص85). وفي رواية ثلاثمائة ألف دينار . (الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب ، ص91).

(2) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج1، ص210 .

(3) المقري ، نفح الطيب ،ج1، ص280 ؛ العسلي ، فن الحرب الإسلامي ،ج2، ص301 .

(4) اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص206 ؛ الطبري ، تاريخ ،ج6، ص505 .

(5) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج1، ص ص210-211 .

(6) المصدر نفسه ، ج1، ص 211 .

(7) جرجان : مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان . (ياقوت ، معجم البلدان ، ج3، ص42) .

(8) طبرستان:وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم قصبتها آمل.(ياقوت،معجم البلدان،ج6،ص244).

(9) الطبري ، تاريخ ،ج6، ص544 . وقيل عشرون مليون درهم .(اليعقوبي، تاريخ ،ج2، ص211 ؛ ابن اعثم ، الفتوح، ج7، ص297). وقيل إنها كانت سبعة ملايين درهم .(ابن الجوزي ، المنتظم ،ج4، ص499) . وفي رواية أنها كانت ستمائة مليون درهم . (ابن الأثير ، الكامل ،ج4، ص310) .

إلى بيت المال(1) . فلما توفي الخليفة سليمان ، وتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، عزل يزيد بن المهلب عن خراسان سنة (99هـ/717م) ، واستدعاه إلى دمشق(2) ، فلما حضر يزيد إلى مجلس الخليفة عمر بن عبد العزيز ، سأله عن موضوع الأموال التي كتب بها إلى الخليفة سليمان ، فبين يزيد أن ما ذكره في كتابه من أموال لم يكن حقيقيا ، وإنما كان ذلك لقضايا إعلامية قائلا : ((كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت ،وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به ، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت ولا بأمر أكرهه))(3) . لم يقتنع الخليفة عمر بهذا العذر ، مبينا ليزيد أنها أموال المسلمين وحقوقهم، وأنه لا يمكنه تركها ، مؤكدا على ضرورة استيفائها ، فأمر بسجن يزيد(4) .

وتطرق الخليفة عمر بن عبد العزيز للموضوع في مجلسه مع مخلد بن يزيد بن المهلب ، الذي عرض على الخليفة عمر دفع جزء من الأموال التي يطالب بها أباه مقابل الإفراج عنه ، رفض الخليفة عمر هذا العرض ، وأكد لمخلد أنه لن يطلقه إلا بعد أن يدفع جميع ما عليه من أموال(5) . رفض يزيد أن يدفع شيئاً من الأموال ، فبقي في الحبس إلى أن بلغه خبر مرض الخليفة عمر ، فهرب خوفا من أن ينتقم منه يزيد بن عبد الملك ، لإيذائه أصهاره آل أبي عقيل(6).

(1) الطبري ، تاريخ ،ج6، ص544 .

(2) اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص211 ؛ الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص50 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج3، ص74.

(3) الطبري ، تاريخ ،ج6، ص557؛ ينظر : الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص50 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج6، ص299 .

(4) ابن اعثم ، الفتوح ، ج7، ص ص318-319 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4، ص319 .

(5) **الطبري ، تاريخ ،ج6، ص**557 ؛ **ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج6، ص**286 ؛ **مجهول ، العيون والحدائق ، ج3، ص**50 .
(6) **ابن اعثم ، الفتوح ،ج7، ص**319 ؛ **الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص**50 ؛ **مجهول ، العيون والحدائق ، ج3، ص**50 ؛ **العبود ، آل المهلب ، ص**108 .

ولما عزل الخليفة هشام بن عبد الملك خالداً بن عبد الله القسري عن العراق ، وولّى يوسف بن عمر الثقفي (120-127هـ/737-744م) مكانه(1) ، أخذ يوسف يحاسب خالداً القسري ويطالبه بأموال اتهمه باختلاسها ، فادعى خالد أنه أودعها لدى زيد بن علي وجماعة من قريش ، فكتب يوسف بن عمر إلى الخليفة هشام يخبره بذلك(2) ، فاستقدم الخليفة هشام زيداً بن علي وجماعته إلى مجلسه في دمشق ليقف على حقيقة الأمر ، ويبحث معهم الموضوع ، وأبلغهم أن يوسف بن عمر ، كتب له أن خالداً القسري يدّعي أنه أودع زيد بن علي مبلغ ستمائة ألف درهم ، إلا أنهم أنكروا هذه التهمة(3) . مما دفع الخليفة هشام أن يبعث بهم إلى يوسف بن عمر في الكوفة ، ليجمعهم مع خالد القسري ويواجههم به ، من أجل الوقوف على صحة ادعائه(4) ، إلا أن خالداً أوضح أنه ادعى ذلك تخلصا مما كان يلاقيه من تعذيب، وأنه لم يودع لديهم شيئا(5) .

ويبدو أن يوسف بن عمر أراد استغلال العلاقة الطيبة بين زيد بن علي و خالد القسري في أثناء ولاية الأخير للعراق ـ إذ كان خالدٌ يُجلُّ زيداً ويكرمه ، فضلاً عن علاقته الجيدة مع الهاشميين ـ لإثارة الخليفة هشام ضده والتنكيل به ، فادعى ذلك لكي يبقى تحت سيطرته في العراق أطول وقت ممكن(6) .

إن استقدام الخليفة هشام لزيد بن علي وجماعته من المدينة إلى دمشق ، للتحقيق معهم في صحة ادعاءات خالد القسري ، يبين مدى حرصه على الأموال العامة ، إذ أصرَّ على الوقوف على الجهة التي أخذت تلك الأموال .

(1) **الطبري ، تاريخ ، ج7، ص**154 ؛ **ابن الأثير ، الكامل ،ج4، ص**436 .
(2) **الطبري ، تاريخ ، ج7، ص ص**160-161 ؛ **مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص**232 .
(3) **اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص**227 ؛ **ابن الأثير ، الكامل ،ج4، ص**443 .
(4) **الطبري ، تاريخ ، ج7، ص**161 ؛ **ابن أعثم ، الفتوح ،ج8، ص**109 .
(5) **اليعقوبي ، تاريخ ،ج2، ص**228 ؛ **الطبري ، تاريخ ، ج7، ص**167 ؛ **ابن الأثير ، الكامل ، ج4، ص**444.
(6) **الطبري ، تاريخ ، ج7، ص**160 ؛ **الكبيسي ، عصر هشام بن عبد الملك ، ص**195 .

ولما تولى الوليد بن يزيد الخلافة ، استمر في عملية متابعة قضية الأموال التي كان يعتقد أن خالداً بن عبد الله القسري قد اختلسها من خراج العراق ، فقد تداول الموضوع في مجلسه مع صاحب شرطته ، وقرر في تلك المداولات مواصلة التحقيق معه(1) ، إلا أن ذلك التحقيق لم يسفر عن شيء ، فأمر بحبسه (2) .

وفي مجلس آخر له تناول الخليفة الوليد بن يزيد موضوع خالد القسري والأموال التي معه ، مع والي العراق يوسف بن عمر ، إذ عرض الوالي على الخليفة أن يسلمه خالداً القسري مقابل خمسين مليون درهم(3)، ولما تسلم يوسف بن عمر خالداً القسري أخذ يعذبه حتى قتله سنة (126هـ/743م)(4) .

ويبدو أن المسألة هي صراعات قبلية أكثر مما هي قضية مادية ، إذ أراد يوسف بن عمر إغراء الخليفة ليسلمه خالداً القسري زعيم اليمانية آنذاك لينتقم منه .

(1) **الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص**347 ؛ **الطبري ، تاريخ ، ج**7 ، **ص**259 .

(2) **الطبري ، تاريخ ، ج**7 ، **ص**259 ؛ **ابن الأثير ، الكامل ،ج**4، **ص**478 .

(3) **الطبري ، تاريخ ، ج**7، **ص**259 .

(4) **الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص**347 ؛ **الطبري ، تاريخ ، ج**7، **ص**259 ؛ **ابن الأثير ، الكامل ، ج**4، **ص**478

الأعمال والمهن

لما كانت الأموال تمثل العنصر الأساس للحياة الاقتصادية في أي مجتمع من المجتمعات أو أمة من الأمم ، وأن الأموال لا تأتى إلا عن طريق ممارسة الأعمال والمهن ، لذا أبدى الخلفاء الأمويون اهتماما كبيرا بالأعمال والمهن التي كان الناس يمارسونها ، فقد تطرقت مجالسهم إلى موضوع الأعمال والمهن ، فيذكر أن قوما حضروا إلى مجلس الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، فسألهم عن أعمالهم ، وبعد أن تبين له أنهم تجار رقيق ، ذم الخليفة معاوية هذا النوع من التجارة قائلا : ((بئس التجارة ، ضمان نفس ومؤنةَ ضرس))(1) .

إن ذم الخليفة معاوية لمهنة تجارة الرقيق ، ينطوي على جانب إنساني ، وإنكار للمتاجرة بالإنسان لما في ذلك من قبح ، تمثل نظرة الدولة إلى هذا النوع من التجارة ، كما تبين كيف أن المجتمع ينظر إلى سماسرة الرقيق نظرة ازدراء وعدم احترام .

وفي مجلس آخر سأل الخليفة معاوية أعرابيا عن عمله ، فلما تبين له أنه يمارس تجارة الإبل ، علق على ذلك قائلا : ((أما علمت أن افواهها قرب وجلودها جرب وبعرها حطب وتأكل الذهب)) . (2)

ولعل الخليفة معاوية أراد من وراء حديثه مع الأعرابي بخصوص صفات الإبل التي امتهن تجارتها ، أن يقول له إن هذا النوع من التجارة يحتاج إلى كثير من الجهد ، فضلا عن كثير من المال ، ولو أنك مارست نوعاً آخر من التجارة لكان أيسر ، وأكثر كسباً .ولما حضر عبيد بن شرية الجرهمي(3) ، مجلس الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، ناقشه في كثير من المواضيع ، منها موضوع الأموال والمهن ، وأي الأعمال والحرف أنفع لصاحبها، إذ قال له الخليفة معاوية : ((فأي المال رأيت أنفع وإلى صاحبه بالخير أسرع))(4) . فبين له عبيد بن الشرية ان الزراعة على عيون

(1) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج**1، **ص**250 .

(2) **التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ،ج**3، **ص**60 .

(3) **هو عبيد بن شرية الجرهمي ، أدرك النبي ولم يسمع منه ، كان من المعمرين ، قدم على معاوية وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان ، وله من الكتب ، كتاب الأمثال ، وكتاب الملوك وأخبار الماضين. (السجستاني ، المعمرون والوصايا ، ص50 ؛ أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق بن النديم ، الفهرست ، مكتبة خياط ، (بيروت ،1964م) ، ص ص89-90 ؛ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم الأدباء ، ط3، دار الفكر ، (بيروت ،1980م)، ج12، ص73).**

(4) التنوخي ، المستجاد ، ص210 .
الماء هي أنفع الأعمال وأكثرها خيرا ، لأنها لا تحتاج إلى جهد كبير وتكاليف عالية(1) ، ثم يليها من حيث النفع والفائدة الخيل وخاصة الفرس التي تلد إناثا(2) ، غير أن الخليفة معاوية أراد ان يلفت نظره إلى نوع مهم من الأموال وهي المواشي ، وأن يجعلها في سلم أولويات المال النافع(3) ، فبين له ابن الشرية أن تلك الأموال نافعة ومفيدة لمن يقوم عليها ويتولى تربيتها بيده ، لا لمن يوكلها إلى غيره ((تلك الأموال يا أمير المؤمنين لغيرك ، قال : لمن ؟ قال : لمن وليها بيده ولم يكلها إلى غيره))(4) . ثم ذكّره الخليفة معاوية بالذهب والفضة وأين سيضعها ، عندها بين له أنهما اذا لم يُستثمرا ، فانهما ينقصان أو لا يزيدا ((حجران يصطلحان إن أقبلت عليهما نفذا ، وإن تركتهما لم يزيدا))(5) .
يتضح من هذا المجلس مدى اهتمام الخليفة معاوية بالفعاليات الاقتصادية التي تؤدي إلى زيادة دخل الفرد الذي بدوره يصب في قوة اقتصاد الدولة ،ورفع المستوى المعاشي لأبناء المجتمع .
وبما أن الخيل كانت تمثل أهم الأموال بالنسبة للمسلمين ، لدورها الكبير في عمليات الفتح والتحرير، والجهاد ضد الأعداء ، وأنها دليل العزة والقوة ، لذا شهدت مجالس الخلفاء الأمويين البحث في أنواعها ، وأفضل تلك الأنواع ، وما تتميز به من صفات ، فيُذكر أن الخليفة معاوية ، سأل جليسه النسابة صعصعة بن صوحان العبدي(6) ، عن أفضل الخيل ، فأجابه صعصعة :((الطويل الثلاث القصير الثلاث ، العريض الثلاث ، الصافي الثلاث))(7) ، عندها طلب منــه الخليفة أن يوضح ذلــك ، فأجـابه

(1) السجستاني ، المعمرون والوصايا ، ص51 ؛ التنوخي ، المستجاد ، ص210 .
(2) السجستاني ، المعمرون والوصايا ، ص51 ؛ التنوخي ، المستجاد ، ص210 .
(3) السجستاني ، المعمرون والوصايا ، ص51 ؛ التنوخي ، المستجاد ، ص210 .
(4) التنوخي ، المستجاد ، ص210 .
(5) المصدر نفسه ، ص210 .
(6) هو صعصعة بن صوحان العبدي ، كان سيدا من سادات قومه عبد القيس ، كان خطيبا شهد صفين مع علي ، مات في الكوفة في خلافة معاوية . (ابن عبد البر ، الاستيعاب ،ج2، ص196؛ ابن حجر ، الإصابة،ج2، ص200).
(7) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج1، ص108 .

صعصعة : ((أما الطويل الثلاث ، فالأذن والعنق والحزام ، وأما القصير الثلاث ، فالصلب والعسيب والقضيب ، وأما العريض الثلاث ، فالجبهة والمنخر والورك ، واما الصافي الثلاث ، فالأديم والعين والحافر))(1) .
من هذا يبدو أن لصعصعة خبرة ومعرفة بالخيل وأنواعها وأجناسها ، لذا سأله الخليفة معاوية عنها في مجلسه، ربما ليطلع جلساءه على تلك الصفات ليأخذوها بنظر الاهتمام،عند تربيتهم لها.
وفي أحد مجالسه تطرق الخليفة عبد الملك بن مروان مع أبنائه الوليد وسليمان ويزيد ، إلى مسألة الأعمال والمهن ، إذ سألهم أنه لو لم يكونوا على ما هم فيه الآن ، فماذا يرغب كل واحد منهم أن يكون(2)، ((فقال الوليد : أما أنا ففارس حرب ، وقال سليمان : أما أنا فكاتب سلطان ، وقال ليزيد : فأنت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما تركا غاية لمختار))(3) .

ويبدو أن رغبة أبناء الخليفة كانت نابعة من المكانة الكبيرة التي كان يتمتع بها ، أصحاب هاتين المهنتين في الدولة الإسلامية ، وذلك لما للفارس من دور كبير في الدفاع عن الأمة ونشر عقيدتها ، وما للكاتب من امتيازات ، ودور فعال في إدارة الدولة .
إلا أن الخليفة عبد الملك ذكّرهم بمهنة التجارة ، وهي مهنة آبائهم وأجدادهم ، قائلا :((فأين أنتم يا بني من التجارة التي هي أصلكم ونسبكم ؟))(4) . غير أنهم بينوا له أن التجارة تعمل فيها العامة وأنها لا تليق بهم ، عندها أوصاهم بطلب العلم والأدب ، لأنه فيهما السيادة والرئاسة والمعيشة ، قائلا : ((فعليكم إذن بطلب الأدب، فإن كنتم ملوكا سدتم ،وإن كنتم أوساطا رأستم، وإن أعوزتكم المعيشة عشتم))(5).

(1) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج1، ص108 .
(2) ابن عبد البر ، بهجة المجالس ،ص114؛ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل ، عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة ، دار الكتب العلمية ،(بيروت ،1981م)، ص124 .
(3) ابن عبد البر ، بهجة المجالس ،ص114 ؛ ابن هذيل ، عين الأدب والسياسة ، ص124 .
(4) ابن عبد البر ، بهجة المجالس ،ص114 ؛ ابن هذيل ، عين الأدب والسياسة ، ص124 .
(5) ابن عبد البر ، بهجة المجالس ،ص114 ؛ ابن هذيل ، عين الأدب والسياسة ، ص125 .

ولما كانت الضياع تمثل جزءاً مهما من أموال الناس ، لذا حظيت الضياع باهتمام الخلفاء الأمويين والدعوة إلى الاهتمام بها ومعاهدتها بالخدمة ، وإصلاحها والإنفاق عليها ، فيُذكر أن الخليفة هشاماً بن عبد الملك ، وهب رجلا ضيعة ، وفي أحد مجالسه سأله عنها ، فلما أخبره بأنه لا يعلم عنها شيئا ، غضب الخليفة هشام ، وفكر في أخذها منه(1) ، وبين له ضرورة الإهتمام بها ، لأن إهمالها يؤدي إلى ضياعها قائلا: ((أما سمعت أنه لما سميت الضيعة لأنها تضيع إذا تُركت ، وأنَّ ثلاثا تحسن بالشريف خدمة الوالد ، وخدمة الضيعة ، وخدمة الضيف))(2) .
إن اهتمام الخليفة هشام بالضياع ودعوته إلى الاهتمام بها والحث على خدمتها ، لأنها تمثل مصدرا مهما من مصادر معيشة المجتمع ، وهي الأساس المهم في اقتصاد البلاد .

(1) الزمخشري ، ربيع الأبرار ،ج1، ص217 .
(2) المصدر نفسه ،ج1، ص217 .

متابعة الأوضاع الاقتصادية الطارئة

بذل الخلفاء الأمويون جهودا كبيرة من أجل أيجاد حياة اقتصادية مستقرة ، في جميع أقاليم الدولة الإسلامية ، لما لذلك من انعكاسات على المستوى المعاشي ، والاستقرار السياسي والتطور الحضاري ، عن طريق إنشاء المشاريع الاقتصادية(1)، وتقديم المساعدات المالية(2) .
ومن أجل تجاوز الأزمات الاقتصادية التي كانت تمر بها بعض مناطق الدولة شهدت مجالس الخلفاء الأمويين الكثير من اللقاءات ، حول الأوضاع الاقتصادية لتلك المناطق ، من أجل البحث في الوسائل والسبل المناسبة لمعالجتها ، ومن ذلك ما شهده مجلس الخليفة معاوية بن أبي سفيان من ناقشات بخصوص الوضع الاقتصادي والمعاشي لأهل البصرة مع الأحنف بن قيس الذي أطلع الخليفة على تدهور الوضع الاقتصادي في البصرة ، وسوء الاحوال المعاشية فيها ، بسبب تعاقب سنين القحط عليها ، وتأثير استمرار المنازعات القبلية والصراعات بين سكانها(3)، مبينا أنه بالإمكان تجاوز هذه الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها مدينتهم ، بإطلاق العطاء لأهلها ، قائلا :

((فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعش الفقير ويجبر الكسير ويسهل العسير ، ويداوي المحول ، ويأمر بالعطاء ليكشف البلاء))(4) .

ويبدو أن عطاء أهل البصرة ، قد تأخر عن موعد تسلميه ، أو ربما يكون الخليفة معاوية منعه عنهم، لمواقفهم المناوئة للخلافة الأموية ، مما دفع الأحنف إلى طلب إطلاقه .

يتبين من هذا المجلس أن سكان البصرة كانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا في حياتهم المعاشية على العطاء ، الذي عده الأحنف حلا لكل المشكلات التي كان يعاني منها سكان البصرة .

(1) **البلاذري** ، **فتوح البلدان** ، **ص**515 ؛ **قدامة بن جعفر** ، **ص ص**169-170 .

(2) **ابو عبيد** ، **الأموال** ، **ص**256 .

(3) **القيرواني** ، **زهر الآداب** ،**ج**1، **ص** 50 .

(4) **الطرطوشي** ، **سراج الملوك** ، **ص**51 ؛ **ينظر** : **القيرواني** ، **زهر الآداب** ،**ج**1، **ص**51 .

وفي أحد مجالسه درس الخليفة عبد الملك بن مروان الوضع الاقتصادي لبادية البصرة بعد أن شكا أوضاعها الاقتصادية أمامه الشاعر الراعي النميري (1) والتي يسكنها قومه وأطلعه على طبيعة تلك الأوضاع والحالة المعاشية السيئة التي يعاني منها قومه(2)، فبحث الخليفة عبد الملك الموضوع معه ، أملا في الوصول إلى صيغة يتم من خلالها معالجة ذلك الوضع ، إذ اقترح الشاعر الراعي على الخليفة عبد الملك حلا لذلك الوضع قائلا : ((ترد عليهم صدقاتهم ، وتدر عليهم أعطيتهم ، وتنعش فقيرهم وتخفف عن غنيهم))(3) .

والظاهر أن الخليفة عبد الملك كان يأخذ زكاة قوم الراعي ولا يردها إلى فقرائهم ،ومنع العطاء عنهم ، لمواقفهم المؤيدة للزبيريين(4) ، وتوالي سني القحط ، مما أدى إلى تدهور حالتهم المعاشية ، مما دفع الراعي إلى عرض الموضوع على الخليفة عبد الملك ، ورجاه إعادة النظر في تلك الإجراءات التي اتخذها ضدهم ، مما يؤشر أهمية العطاء للناس حتى سكان البادية ، وأجابه الخليفة عبد الملك إلى ذلك ووافق على طلبه، الأمر الذي انعكس على تحسين الأوضاع الاقتصادية والظروف المعاشية لسكان البادية ، فتجاوزوا الأزمة الاقتصادية التي عانوَا منها (5).

وجرى في مجلس الخليفة الوليد بن عبد الملك أيضا تناول الوضع الاقتصادي والمعاشي ، لأهل البادية، عندما أصابتهم سنة شديدة الجدب ، أدت إلى تدهور حالتهم المعاشية مع الشاعر الفرزدق الذي أطلع الخليفة الوليد على حقيقة تلك الأوضاع وما يعانيه أهل البادية من ضنك(6) ،حيث جرى بحث الوسائل والطرق ،التي بوساطتها يمكن معالجة تلك الحالة ، وتحسين الوضع المعاشي لسكان البادية

(1) **هو عبيد بن حصين بن جندل ، لقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل في شعره ، كان سيدا في قومه ، يسكن البادية ، كان شاعرا فحلا من شعراء الاسلام .(ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ،ج**1**، ص**502).

(2) **الوشاء** ، **الفاضل** ،**ج**1، **ص**79 ؛ **الأصفهاني** ، **الأغاني** ،**ج**24، **ص**178 ؛ **ناصر الحاني** ، **شعر الراعي النميري وأخباره ، راجعه وجمع شواهده ووضع فهارسه** : **عز الدين التنوخي** ، **مطبوعات المجمع العلمي العربي** ، (**دمشق** ،1964**م**)، **ص**11 .

(3) **الوشاء** ، **الفاضل** ،**ج**1، **ص**79 ؛ **الأصفهاني** ، **الأغاني** ، **ج**24، **ص**178 .

(4) **ابن سلام** ، **طبقات فحول الشعراء** ،**ج**1، **ص**506 .

(5) **الوشاء** ، **الفاضل** ،**ج**1، **ص**79 .

(6) **الزمخشري ، ربيع الأبرار ،ج1، ص423 .**
وتقليل الأضرار الناجمة عن القحط الذي أصابهم ، إذ تم الاتفاق في هذا المجلس على أن تقوم الخلافة بتقديم مساعدات عاجلة لأهل البادية ، من قمح وزيت وأموال نقدية ، لتجاوز تلك المحنة ، على أن يتولى الفرزدق عملية التوزيع ، ويقوم الولاة بتزويده بكل ما يحتاجه من تلك المواد(1) .
فقام الفرزدق بعملية التوزيع ، وشملت مناطق واسعة بدأت من أطراف الشام إلى اليمامة.إن ما نتج عن هذا المجلس من تقديم للمساعدات لأهل البادية ، فكان له أثر كبيرٌ في تجاوز الظرف الصعب الذي عانوَا منه ، فعملت هذه المساعدات على تحسين وضعهم المعاشي ولو إلى حين (2).
كما تم في مجلس الخليفة هشام بن عبد الملك التطرق إلى الوضع الاقتصادي لأهل البادية ، لما تدهورت حالتهم المعاشية في أيامه ، بسبب القحط الذي حل بهم لعدة سنوات متتالية ، إذ حضر رؤوساء قبائل البادية إلى مجلس الخليفة هشام ، لإطلاعه على حالتهم ، وما آلت إليه أوضاعهم ، ومناقشته في قدرة الخلافة على تقديم المساعدات لتجاوز هذا الظرف الصعب الذي يمر به أهل البادية(3) ، إذ قام أحد الحضور ، فأطلع الخليفة على حقيقة الوضع الاقتصادي والحالة المعاشية هناك ، وتأثير القحط المتواصل عليهم ، قائلا : ((أتت علينا ثلاثة أعوام ، فعام أكل الشحم وعام أكل اللحم وعام انتقى العظم))(4) وطلب منه مساعدة الناس وحل مشكلاتهم ، بدفع الأموال لهم ، ليستعينوا بها على تجاوز هذه المحنة ، قائلا : ((وعندكم فضول أموال ، فإن كانت لله فاقسموها بين عباده ، وإن كانت لهم فبم تُحظَرُ عنهم ، وإن كانت لكم فتصدقوا عليهم بها فإن الله يجزي المتصدقين))(5) .
(1) **الزمخشري ، ربيع الأبرار ، ج1، ص ص423-424 .**
(2) **المصدر نفسه ، ج1، ص424 .**
(3) **ابن منقذ ، لباب الآداب ، ص ص352-353 .**
(4) **الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2، ص70 ؛ ينظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج1، ص ص14-15 .**
(5) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج2، ص338 ؛ ينظر : الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص57 .**
وبعد مناقشات متواصلة أصدر الخليفة هشام أمرا بتقديم مساعدات مالية لأهل البادية ، لمساعدتهم في تجاوز المشكلات الاقتصادية والمعاشية التي سببتها سنين القحط ، حيثُ يذكر ابن منقذ(1) أن قيمة تلك المساعدات كانت مائة ألف درهم .
إن تقديم تلك المساعدات المالية لأهل البادية ، من الخلافة ـ مما لاشك فيه ـ كان له دور في تخفيف المعاناة التي سببتها سني القحط ، مما ينعكس إيجابا في تحسين حالتهم المعاشية ، كما يدل على مدى اهتمام الخلفاء الأمويين بالرعية ، لذلك كانت مجالسهم تعج بالحلول لمختلف المشكلات الاقتصادية .
(1) **لباب الآداب ، ص353 .**
التفاخرإن اعتزاز العرب بأنسابهم وأحسابهم ، واهتمامهم بالخصال الحميدة كالعفاف والكرم والشجاعة والعلم ، دعت الشخص العربي إلى الافتخار والاعتداد بالمآثر والأفعال وشرف الانتساب ، وبما أن الإسلام غيَّر لديهم الكثير من المفاهيم والاعتبارات فقد أخذ الكثير منهم يعتد ويفتخر بالانتساب إلى هذا الدين أو بقرابته من رسول الله ، ومن ذلك ما شهدته مجالس الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، الذي حاور في أحد مجالسه عبد الله بن عباس بحضور عدد من رجالات

قريش حول أسباب فخر بني هاشم على غيرهم من قريش ، وهم جميعا ينتسبون إلى رجل واحد وأم واحدة ويسكنون في المدينة نفسها(1) ، فبين ابن عباس أن سبب ما تفخر به بنو هاشم على غيرها ، هو أن رسول الله منهم ، وهو الذي جعل بني عبد مناف تفخر به على سائر قريش وقريش على غيرها من العرب والعرب على العجم(2) .
أما فيما يخص التفاخر بالكرام فقد ذاكر الخليفة معاوية جلساءه عن أشراف الناس وذوي الوجاهة منهم وكان الحسن بن علي(3) (رضي الله عنهما) حاضراً ، فطلب الخليفة معاوية منهم إخباره عن أكرم الناس أبا وأما وجدا وجدة وعما وعمة وخالا وخالة ، فقالوا : ((أمير المؤمنين أعلم))(4) ، فأخذ معاوية بيد الحسن ابن علي(رضي الله عنهما) ، مبينا لهم أنه أكرم الناس فأبوه علي بن أبي طالب ، وأمه فاطمة بنت محمد ، وجده رسول الله وجدته خديجة ، وعمه جعفر ، وعمته هالة ، وخاله القاسم بن محمد ، وخالته زينب بنت محمد. فوافقه الحاضرون على ذلك وأيدوه(5) .
إن خوض الخليفة معاوية بهذا الأمر مع جلسائه ، وبيانه لهم أن أكرم الناس هو الحسن بن علي(رضي الله عنهما)، يبين مدى التزام الخلفاء الأمويين بمعايير العدل والأنصاف،وإنزال الناس منازلهم،فضلا عن أنها

(1) **مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص62 .**
(2) **المصدر نفسه ، ص62 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج4، ص83 .**
(3) **وفي رواية أن الذي كان حاضرا هو الحسين بن علي(رضي الله عنهما) .(التنوخي ، المستجاد ، ص93) .**
(4) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5، ص313 ؛ التنوخي ، المستجاد ، ص93 ؛ ابن عربي ، محاضرة الأبرار ، ج1، ص310 .**
(5) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5، ص313 ؛ التنوخي ، المستجاد ، ص93 .**

دعوة لجلسائه إلى قول الحق ، إذ أراد أن يبين لهم أن الفخر الحقيقي هو بالانتساب إلى الرسول .
ومما يؤكد ذلك أن الخليفة معاوية افتخر يوما في أحد مجالسه وبحضور الحسن بن علي(رضي الله عنهما) ، بآبائه(1)، فرد عليه الحسن متفاخرا برسول الله والرسالة التي جاء بها ، وفضله على الناس بإنقاذهم من الضلال، واقتران طاعةِ الله سبحانه وتعالى بطاعته ومعصيتهِ بمعصيتهِ(2) ، فأيد الخليفة معاوية ذلك ، مقرا بفضل رسول الله على الناس جميعا(3).
وفي مجلس آخر للخليفة معاوية افتخر عقيل بن أبي طالب برسول الله ، عندما كان جالسا على السرير مع معاوية ، وقد كُف بصره ، فدخل عليهما عتبة بن أبي سفيان ، فأجلسه معاوية بينه وبين عقيل ، غير أن هذا التصرف من معاوية لم يُرضِ عقيلا وأثاره، فبين لمعاوية أنه إذا كان عتبة أقرب إليه منه ، فإنه أقرب إلى الرسول منهما ، وأن الفرق ما بينهما وبين رسول الله كالفرق ما بين الأرض والسماء(4) . فاعترفا بما قاله وأكدا له احترامهما له ومعرفتهما لحقه(5) .
وكان الخليفة معاوية كثيرا ما يفتخر في مجالسه بآبائه في الجاهلية والإسلام ، فيذكر أنه لما بلغه عدم رضا عبد الله بن عامر بن كريز(ت 59هـ) عن استلحاقه لزياد(6) ، عاتبه على ذلك في أحد مجالسه ، مفتخرا بآبائه ، مذكّرا بمكانتهم في الجاهلية وما كانوا فيه من العز والسؤدد ، وأن الإسلام قد زاده عزا على عزه(7) .
وفي أحد مجالسه افتخر معاوية على عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بمنزله بمكة ، وذلك لما قال:

(1) **السجستاني ، المعمرون والوصايا ، ص153 .**

(2) **المصدر نفسه ، ص153 ؛ ابن عربي ، محاضرة الأبرار ،ج1، ص309 .**
(3) **السجستاني ، المعمرون والوصايا ، ص153 ؛ ابن عربي ، محاضرة الأبرار ،ج1، ص310 .**
(4) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج4، ص79 .**
(5) **المصدر نفسه ،ج4، ص79 .**
(6) **الطبري ، تاريخ ،ج5، ص214 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج3، ص299 .**
(7) **الطبري ، تاريخ ،ج5، ص215؛ ابن الأثير ، الكامل ،ج3، ص ص299-300 .**

الأخير لمعاوية متفاخرا أنه لو لم يكن في الذي هو فيه من الخلافة ، وكانا معا في مكة لعلم من يكون(1)، فبين له معاوية أنه حتى عندما كانا في مكة فهو أفضل منه ، لأنه كان يسكن منطقة الأبطح(2) ، التي هي أفضل من منطقة أجياد(3) التي يسكنها عبد الرحمن بن خالد(4) .

إن الخليفة معاوية أراد أن يقول لعبد الرحمن بن خالد ، أنه كان متميزا عليه في مكة حتى في مكان سكناه ، مما يبين أن مناطق مكة كانت متفاوتة من حيث الأفضلية في السكن .

ومن ذلك أيضا ما جرى بين الخليفة معاوية والضحاك بن قيس (ت64هـ) ، عندما حضر الأخير مجلس الخليفة الذي حاول أن يقلل من شأن الضحاك وقومه ، عندها افتخر الضحاك بقومه واصفا إياهم بـ((أحلاس(5) الخيل))(6) ، إلا أن معاوية افتخر أيضا بقومه ، مبينا للضحاك أنه إن كان قومه أحلاس الخيل ، فقومه فُرسانها(7) .

ولم تقتصر مجالس الخليفة معاوية على الفخر بالأنساب بل تعدى ذلك إلى الفخر بالمهارات الشخصية ، كالقدرة على الحديث والبلاغة الكلامية ، ومن ذلك أن رجلا حضر مجلس الخليفة معاوية وأخذ يخوض في الحديث ويسترسل في الكلام ، لوقت طويل وفي مواضيع مختلفة ، دون أن يتوقف ، فأعجب به الخليفة ،فقال له : ((أنت أخطب العرب))(8) . إلا أن الرجل لم يرض بهذا الوصف وقال مفتخرا بنفسه : ((أوَ العرب وحدها ، بل أخطب الجن والإنس))(9) .

(1) **الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2، ص264 ؛ ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج1، ص221 .**
(2) **الأبطح : كل مسيل ماء فيه دقاق الحصى فهو أبطح ، والأبطح مكان يضاف إلى مكة وإلى منى لأن المسافة بينهما واحدة ، وربما كان إلى منى أقرب .(ياقوت ، معجم البلدان ،ج1، ص69) .**
(3) **أجياد : موضع في مكة يلي الصفا ، وكانت منزلا لبني مخزوم . (ياقوت ، معجم البلدان ،ج1، ص92).**
(4) **الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2، ص264 ؛ ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج1، ص221 ؛ التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ،ج3، ص165 .**
(5) **الحلس : وهو كساء رقيق يكون تحت البرذعة ، والقول : أحلاس الخيل ، كناية عن اقتنائها ولزوم ظهورها. (الجوهري، الصحاح ، ج3، ص919).**
(6) **العسكري ، جمهرة الأمثال ،ج2، ص208 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج8، ص247 .**
(7) **العسكري ، جمهرة الأمثال ،ج2، ص208 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج8، ص247 .**
(8) **العسكري ، جمهرة الأمثال ،ج1، ص ص248-249 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ،ج10، ص372 .**
(9) **العسكري ، جمهرة الأمثال ،ج1، ص249 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ،ج10، ص372 .**

ولما حضر النخار العذري (1) مرتديا عباءة رثه إلى مجلس الخليفة معاوية ، لم يأبه الخليفة له ، مما دفعه إلى الاعتزاز بنفسه والافتخار بها ، مبينا أن الرجل لا يُقاس بهيئته ، وإنما الرجل بعقله ولسانه(2) ، وأخذ يتكلم وملأً كلامُه سمعَ معاوية فأعجب به ، فاعترف أنه قد احتقره عندما رآه ، وأجله بعد الاستماع إلى حديثه(3) .
ولما حضر عمرو بن سعيد الأشدق ، بعد وفاة أبيه سنة (53هـ/672م) وهو يومئذ غلام إلى مجلس معاوية،سأله الخليفة لمن أوصى به أبوه فأجابه مفتخرا بنفسه ومعتزا بها أن أباه أوصى له ولم يوص به(4).
كما شهدت مجالس الخليفة عبد الملك بن مروان هي الأخرى الكثير من أحاديث الفخر والبحث في نوعية وأسس التفاخر ، فيُذكر أن علياً بن عبد الله بن عباس حضر إلى مجلس عبد الملك ، ففاخره الأخير بذكر بني أمية وأيامهم ، وبينما هو على ذلك ، أذن المؤذن للصلاة ، فلما قال : ((أشهد أن محمدا رسول الله))(5) ، عندها بين علي لعبد الملك أن الفخر بأي مكرمة يتضاءل أمام الفخر برسول الله فوافقه عبد الملك على ذلك ، مؤكدا على أن من أراد أن يفتخر فليفتخر بهذا وإلا فلا (6) .
إن الإسلام والقرابة من الرسول تبقى دائما هي الأفضل في المكارم التي كان العرب يتفاخرون بها في مجالسهم ، فضلا عن التفاخر في السبق إلى الإسلام . ومن ذلك أن عروة بن الزبير (ت 94هـ) كان في أحد مجالس الخليفة عبد الملك ، وأكثر الحديث عن أخيه عبد الله بن الزبير، مما أزعج الحجاج الذي كان حاضرا ، فقال لعروة : ((لا أم لك))(7) ، فرد عليه عروة معترضا ومفتخرا بأنه ابن عجائز الجنة خديجة وصفية وأسماء وعائشة(8) .

(1) هو النخار بن أوس بن أبير بن عمرو بن الحرث بن رباح العذري ، كان خطيبا علامة بالأنساب . (ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص448؛ ابن حجر ، الإصابة ،ج3، ص583).
(2) المبرد ، الكامل ، ج2، ص169 .
(3) المصدر نفسه ، ج2، ص169 .
(4) ابن هذيل ، عين الأدب والسياسة ، ص110 .
(5) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص154 .
(6) المصدر نفسه ، ص154 .
(7) التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ،ج3، ص182 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ،ج4، ص81 .
(8) التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج3، ص182 ؛ الآبي ، نثر الدر ،ج3، ص182 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ، ج4، ص81 .

وفي مجلس آخر لعبد الملك جرى كلام بينه وبين خالد بن يزيد بن معاوية(1) ، فتدخل الوليد بن عبد الملك الذي كان حاضرا ، وقال لخالد بن يزيد : ((تتكلم وأنت والله ما تعد لا في العير ولا في النفير))(2) ، إلا أن خالدا بين لهم مفتخراً عليهم أنه هو صاحب العير والنفير ، فالعير لجده أبي سفيان ، والنفير لجده عتبة بن ربيعة ، منتقدا آل مروان وملمحا إلى طرد الرسول لجدهم الحكم بن أبي العاص إلى الطائف ورعيه الغنم(3) . مما يبين مدى حرية الكلام في مجالس الخلفاء حتى ولو كان ذلك الكلام يمس شخص الخليفة .
ومن الأمور التي كان الناس يتفاخرون بها في مجالس الخلفاء كذلك قضية الاعتزاز بالآباء والافتخار بالشبه بهم ، ومن ذلك أن عبيد الله بن زياد بن ظبيان(4) ، حضر إلى مجلس الخليفة

عبد الملك وجلس إلى جانبه على السرير ، مما أغضب هذا الخليفة ، لذا أراد ان يقلل من شأنه أمام جلسائه ، فقال له:((ما بال العرب تزعم أنك لا تشبه أباك))(5) ، مما دفع عبيد الله بن زياد ، إلى الافتخار بالشبه الذي بينه وبين أبيه ، مؤكدا أن ما بينهما من تشابهه ، هو كشبه الليل بالليل والغراب بالغراب والماء بالماء(6) .

ويبدو أن قضية التشابه بين الآباء والأبناء من المسائل الاجتماعية التي كان يهتم بها العرب في مجالسهم ، لأنها تدل على الأصالة وصحة النسب ، حيث تنتقل صفات الأب إلى ابنه .

(1) **البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج4-ق2، ص ص67-68؛ الآبي ، نثر الدر ،ج3، ص ص34-35؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج2، ص225 .**

(2) **المبرد ، الكامل ،ج1، ص335 ؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، الصناعتين ، تحقيق : الدكتور مفيد قميحه ،ط2، دار الكتب العلمية ، (بيروت ،1989م)، ص206 .**

(3) **البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج4-ق2، ص68؛ المبرد ، الكامل ، ج1، ص335 ؛ عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط1، دار الجيل ، (بيروت ،1987م)،ج1، ص ص334-335 .**

(4) **هو عبيد الله بن زياد بن ظبيان التميمي ، كان من الشجعان ، ومن المقربين لعبد الملك بن مروان ، وهو الذي قتل مصعب بن الزبير . (الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج1، ص325؛ الطبري ، تاريخ ،ج6، ص159) .**

(5) **العسكري ، الصناعتين ، ص25 ؛ أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2، دار الجيل ، (بيروت ، 1987م)، ج2، ص199.**

(6) **الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج1، ص326 ؛ أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري ، المستقصى من أمثال العرب،ط3، دار الكتب العلمية ، (بيروت ،1987م) ، ج1، ص189 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4، ص14 .**

ومن القضايا التي كان الناس يفتخرون بها في مجالس الخلفاء الأمويين ، العلم والأدب ، فيُذكر أن رجلا حضر إلى مجلس الخليفة عبد الملك ، فتكلم ، وذهب في كلامه كل مذهب ، مما أعجب عبد الملك . فسأله عن أبيه فقال الرجل مفتخرا بنفسه : ((ابن نفسي التي توسلت بها إليك))(1) .

ولعل افتخار هذا الرجل بنفسه وإمكاناته الأدبية ، كان لمعرفته باهتمام الخليفة عبد الملك بالعلم والأدب وإكرامه وتشجيعه لأهله .

وكانت الشجاعة وخوض الحروب من الأمور التي كان الناس يتفاخرون بها في مجالس الخلفاء ، فيُذكر أن رجلا من الأزد حضر إلى مجلس الخليفة عبد الملك ، وأخذ يفخر بقومه وشجاعتهم وخبرتهم بالحرب والقتال وأنهم كثيرو الفعال قليلو المقال ، وأن السيوف لتعرف أكفهم لكثرة استعمالهم لها(2) .

إن افتخار هذا الرجل بمثل تلك الأمور في مجلس الخليفة عبد الملك ، لأن عادة المدح والاعتزاز بالنفس والفخر بالشجاعة هي عادة موروثة عند العرب ، وكذلك لعلمه بتقدير الخليفة لمثل تلك الكفاءات التي كانت الدولة بحاجة ماسة لها .

وتفاخر عمرو بن سعيد بن العاص وخالد بن يزيد بن معاوية في مجلس الخليفة عبد الملك ، حيث كان يرى كل منهما أنه أفضل من الآخر ، مما دفع عبد الملك أن يطلب من أحد جلسائه أن يحكم بينهما(3) ، عندها بين الرجل لهما أن لأب كل منهما عادة اجتماعية مميزة يحق له الافتخار بها ، فسعيد لم يكُن أحدٌ في مكة يعْتَمُّ بلون عمامته ، وحرب بن أمية كان لا يُبكَى على أحد من بني أمية بحضوره(4).

(1) ابن هذيل ، عين الأدب والسياسة ، ص125؛ ينظر : محمود شكري الآلوسي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه : محمد بهجة الأثري ،ط3، مطابع دار الكتاب العربي ، (مصر ، بلا ت) ،ج1، ص172 .

(2) القالي ، الأمالي ،ج2، ص255 .

(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج4، ص114 .

(4) المصدر نفسه ، ج4، ص114 .

فضلا عن ذلك فقد شمل التفاخر بالآباء والأجداد مجالس الخلفاء الأمويين العائلية ، فيُذكر أن الخليفة الوليد بن عبد الملك كانت عنده أربع نساء ، وهن لُبابةُ بنت عبد الله بن عباس ، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية وزينب بنت سعيد بن العاص وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحارث(1) ، ففي أحد مجالسه افتخرت كل واحدة منهن بأبيها وأهلها ، فلبابة كانت ترى أنها صاحب الفضل عليهن ، وبنت سعيد بن العاص ، كانت ترى أنه لا يمكن لأحد أن يفتخر عليها وهي ابنة صاحبة العمامة(2) ، وبنت عبد الرحمن بن الحارث ، كانت ترى أنه لايصل أحد إلى أبيها ومكانته ، ولم تتكلم فاطمة بنت يزيد ، وكانت أصغرهن سنا فتكلم الوليد قائلا : ((نطق من احتاج إلى نفسه ، وسكت من اكتفى بغيره، أما والله لو شاءت لقالت أنا ابنة قادتكم في الجاهلية ، وخلفائكم في الإسلام))(3).

وفي أحد مجالس الخليفة سليمان بن عبد الملك افتخر الشاعر الفرزدق بقومه وبنفسه ،وذلك عند حضور الأخير إلى مجلس الخليفة سليمان وإنكار سليمان له ، عندها أخذ يبين أنه من قوم اجتمعت فيهم خصال الوفاء والسؤدد والجود والحلم والشجاعة ، كما افتخر بنفسه بأنه أشعر العرب قاطبة(4) .

وفي مجلس آخر للخليفة سليمان وبحضور عمر بن عبد العزيز افتخر يزيد بن المهلب بقومه ، عندما سأله الخليفة سليمان عن أعز أهل البصرة ، فبين يزيد أن أعز أهل البصرة الأزد قومه وحلفائهم من ربيعة(5) ، فاعترض عليه عمر بن عبد العزيز وبين له أن العز ينبغي أن يكون فيمن تحولف عليه(6) ، ومن الجدير بالذكر أن الأزد كانوا حلفاء بني بكر بالبصرة ويدا معهم على بني تميم(7) .

(1) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج7، ص97 .

(2) فقد كان أبوها سعيد بن العاص لا يعتم أحد في مكة بلون عمامته لمكانته وعلوِّ منزلته . (المصدر نفسه،ج4، ص114).

(3) المصدر نفسه ، ج7، ص ص97-98 .

(4) المصدر نفسه، ج7، ص ص54-55 ؛ جاد المولى ، قصص العرب ،ج3، ص158 .

(5) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج1، ص291 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج7، ص 104 .

(6) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج1، ص291 ؛ عبد الكريم النهشلي القيرواني ، الممتع في صفة الشعر ، شرح وتحقيق : عباس عبد الساتر ، مراجعة : نعيم زرزور،ط1، دار الكتب العلمية،(بيروت ،1983م)، ص19.
(7) ناجي حسن ، القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي ،ط1، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، (بغداد،1980م) ، ص114 .

كذلك شهدت مجالس الخليفة عمر بن عبد العزيز الكثير من أحاديث الفخر ، فيُذكر أن علياً بن الحسين (رضي الله عنهما) ، كان في مجلس الخليفة عمر بن عبد العزيز ثم غادره ، وبعد خروجه ، سأل الخليفة جلساءه عن أشرف الناس بعد رسول الله ، فقال الحاضرون بنو أمية(1) ، غير أن الخليفة عمر بين لهم أن أشرف الناس هو علي بن الحسين ، الذي يتمنى الآخرون أن يكونوا منه ، ولم يحب أن يكون من أحد(2) ، مما يبين مدى حرص الخلفاء الأمويين على الالتزام بمعايير الإنصاف في مجالسهم ،وذلك بإنزالهم الناس منازلهم .

وكانت هيئة الرجل ومظهره الخارجي من القضايا التي كان الناس يتفاخرون بها في مجالس الخلفاء الأمويين ، فيذكر أن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله حضر إلى مجلس الخليفة عمر بن عبد العزيز وكان إبراهيم حسن الهيأة ، وكان عمر أصلعَ ، فقال عمر على وجه التفاخر : ((أما إن قريشاً يزعمون أن كرامها صلعاؤها))(3) ، إلا أن إبراهيم رد عليه متفاخرا بهيئته ، وحسن شعر رأسه (4) .

وفي أحد مجالسه خطب الخليفة يزيد بن عبد الملك إلى عقيل بن علفه(5) ابنته ، مخاطبا إياه بأنه يريد الزواج من ابنته وأنه لا يوجد في قريش كلها مثله ، إلا أن عقيلاً رد عليه متفاخرا بنفسه قائلا : ((بلى والله لأجدن في قومك مثلك ، وما أنت بواجد في قومي مثلي))(6) . فغضب عليه الخليفة يزيد وحبسه إلا أنه زوجه ابنته أم عمرو(7).

(1) الآبى ، نثر الدر ،ج2، ص116 .
(2) المصدر نفسه ، ج2، ص116 .
(3) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الرشيد ، (بغداد ،1982م) ، ص ص546-547 .
(4) المصدر نفسه ، ص547 .
(5) هو عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية المري ، من شعراء الدولة الأموية ، كان شديد الاعتزاز بنفسه وبقومه بني مرة ، وكانت قريش ترغب في مصاهرته .(الأصفهاني ، الأغاني ،ج12، ص296؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص253) .
(6) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ،ج2، ص710 .
(7) المصدر نفسه ،ج2، ص710؛ الأصفهاني ، الأغاني ،ج12، ص297 .

أما مجالس الخليفة هشام فقد تناولت هي الأخرى ظاهرة التفاخر بين الناس ، ففي أحد مجالسه بيَّن هشام لجلسائه أن الرجل مهما تفاخر لا يمكنه أن يصل إلى المنزلة الرفيعة والمكانة العالية التي كانت لبني هاشم ، وذلك عندما دخل علي بن عبد الله بن عباس المجلس فأمر جلساءه بالقيام أكرما له ، مبينا لهم أنه سيد قريش وأنه أرفع الناس نسبا(1) .

وكانت مجالس الخلفاء الأمويين عبارة عن ندوات للمفاخرة ، فيذكر أن الأبرش الكلبي(2) طلب من خالد بن صفوان بن الأهتم أن يفاخره في مجلس الخليفة هشام ، إذ خاطبه الأبرش مفاخرا بأن

لأهل اليمن ربع البيت الحرام – أي الركن اليماني – وأن منهم حاتم الطائي والمهلب بن أبي صفرة(3) ، فأجابه خالد مفاخرا أن منهم رسول الله ، وأن فيهم الكتاب المنزل ، ومنهم الخليفة(4) .

ويبدو أن سماح الخليفة هشام لمثل هذه المفاخرات في مجلسه ، ربما كان للوقوف على طبيعة الصراع القبلي بين القيسية واليمانية ، والذي كانت المفاخرات تمثل إحدى جوانبه .

ومن المسائل التي كان الناس يتفاخرون بها في مجالس الخلفاء الأمويين ، المفاخرة بالأمصار والمدن التي ينتمون إليها ، فيُذكر أن خالداً بن صفوان افتخر في مجلس هشام بمدينته البصرة وبكثرة خيراتها واصفا نخلها وصفا دقيقا رائعا(5) ،مما دفع شاميا كان حاضرا إلى الافتخار ببلاد الشام ومدنها وخيراتها(6) .

ومما تقدم يتبين أن ظاهرة الفخر عند العرب ظلت شائعة حتى بعد الإسلام ، إذ ظل العربي يعتز بنفسه وبقبيلته وإمكاناته الأدبية والشعرية ، وما يتحلى به من بطولة وشجاعة ، كما تفاخر العربي بمدينته وبلاده ، فكانت نقاشات الفخر عبارة عن ندوات تعج بها مجالس الخلفاء الأمويين.

(1) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص141 .

(2) وهو سعيد بن بكر بن عبد قيس بن الوليد بن عبد عمرو المعروف بالأبرش الكلبي ، كان ذا منزلة عند الخليفة هشام. (الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1، ص345؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص458).

(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج3، ص251؛ الآلوسي ، بلوغ الأرب ،ج1، ص287 .

(4) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج3، ص251؛ الآلوسي ، بلوغ الأرب ،ج1، ص287 .

(5) أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني المعروف بابن الفقيه،مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل،1920م،ص ص121-122 .

(6) المصدر نفسه ، ص ص122-123 .

الطعام والشراب

كان لموضوع الطعام والشراب حضورٌ واضح في أحاديث مجالس الخلفاء الأمويين ومناقشاتهم، إذ جرى فيها البحث في أنواع الأطعمة والأشربة ومنافعها ومضارها .

فقد تطرقت مجالس الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى أنواع الطعام والشراب وما يفيد الجسم منها وما يمكن تجنبه ، فيُذكر أن معاوية اشتكى يوما للمغيرة بن شعبة قلة شهيته للطعام وضعف في قواه ، وعدم قدرته على تحمل البرد(1) ، فكان من بين الأمور التي نصحه المغيرة بها ، لمعالجة حالته ، هو وجوب تناول أنواع مختلفة من الأطعمة ، لأن في التنوع في الطعام فائدة في تقوية الجسم ، والذي ينعكس بدوره على تحمل البرد ، وكان لالتزام معاوية بهذه النصيحة نتائج إيجابية على صحته(2) .

كما تناول الخليفة معاوية في مجالسه موضوع الإفراط في الطعام وأثره على صحة الإنسان ، فيُذكر أن رجلا وابنه أكلا على مائدة الخليفة معاوية وكان الابن قد أفرط في تناوله للطعام ، حتى لفت انتباه الخليفة معاوية(3) ، ولما كان المساء حضر الأب إلى مجلس الخليفة وحده ، فسأله عن ابنه ، فلما أخبره بأنه مريض ، قال : ((قد علمت أن أكله سيورثه داء))(4) .

كما ناقش الخليفة معاوية عمرو بن العاص في موضوع الإفراط في الطعام ، مبينا له أن على الإنسان أن لا يفرط في تناوله ، وإنما يفضل له أن يترك جزءًا من معدته فارغا ، لأن ملأها يعد من الشراهة ، فضلا عن تأثير ذلك على صحته(5) .

ولما حضر رجل إلى مجلس الخليفة معاوية ، وكانت هيئته تدل على أنه يتمتع بصحة جيدة ، سأله الخليفة عن المسائل التي من خلالها استطاع أن يكون بتلك الحالة الصحية الجيدة ، فبين لمعاوية أن أحد الأسباب وراء تمتعه بتلك الصحة ، أنه كان لا يأكل حتى يجوع(6) .

(1) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج7، ص**266 .

(2) **المصدر نفسه ، ج7، ص**266 .

(3) **أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البخلاء ، تحقيق : طه الحاجري ، دار الكتاب المصري ، (القاهرة ، 1948م)، ص ص139-140 ؛ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج8، ص9 ؛ابن الطقطقي،الفخري ، ص108.**

(4) **الطبري ، تاريخ ،ج5، ص332 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج8، ص9 .**

(5) **العسكري ، الصناعتين ، ص**28 .

(6) **البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص**295 .

إن اهتمام الخليفة معاوية بصحة الإنسان ، وحرصه على الوقوف على مقومات استمراها ، دعته إلى بحث هذا الأمر مع الحارث بن كلدة الثقفي(1) ، الذي بين للخليفة أن أهم مقوماتها عدم الإفراط في الطعام(2) .

وكان الخليفة معاوية يرى أن الأكل من توابل الأرض يقلل من الأضرار التي ربما يصاب بها الإنسان عند تناوله ماءها ، فيُذكر أن قوما حضروا إلى مجلسه فنصحهم قائلا : ((كلوا من فحا(3) أرضنا فقلما أكل قوم من فحا أرض فضرهم ماؤها))(4) .

كذلك شهدت مجالس الخليفة معاوية الأحاديث حول بعض أنواع الأطعمة التي كانت تشتهر بها بعض القبائل ، فيُذكر أن معاوية سأل الأحنف بن قيس التميمي ، عن نوع من الطعام اشتهرت به تميم قائلا : ((يا أحنف ما الشيء الملفلف في البجاد))(5) . وهو يريد بذلك قول الشاعر :

إذا ما مات ميْتٌ من تميـم * * * وسرَّكَ أن يعيشَ فجيء بـــزادِ

بخبزٍ أو بتمرٍ أو بسَمــنٍ * * * أو الشيءِ الملففِ في البجـــادِ(6) .

فأجابه الأحنفُ معرضاً بقريش ، بأنها ((السخينة)) وهي نوع من أنواع الطعام كانت قريش تأكله ، وهو حساء من دقيق وكانت تعيّر به(7) .

(1) **هو الحارث بن كلدة بن عمرو بن أبي علاج بن أبي سلمة الثقفي ، طبيب العرب ، كان النبي ، يأمر من كانت به علة أن يذهب إليه فيسأله عن علته . (ابن سعد، الطبقات ،ج5، ص507 ؛ القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص162؛ ابن حجر ، الإصابة ،ج1، ص288).**

(2) **أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق : فؤاد سيد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ،(القاهرة ،1955م)، ص**54 .

(3) **فحا : الفحا التوابل كالكمون والكركم ونحوها . (ابن منظور ، لسان العرب ،ج2، ص**1059).

(4) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج1، ص**213 .

(5) وهو وطب اللبن والبجاد كساء يلف فيه ذلك . (الآبي ، نثر الدر ،ج2، ص137 ؛ ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، ص108 ؛ عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله بن الجوزي ، أخبار الظراف والمتماجنين ، تقديم وتعليق : محمد بحر العلوم ،ط2، مطبعة الغري الحديثة ، (النجف ،1967م)، ص ص43-44).
(6) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج2، ص263 ؛ ابن رشيق ، العمدة ، ج1، ص77 ؛ الجرجاني ، المنتخب ، ص73 (7) الميداني ، مجمع الأمثال ،ج1، ص334 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ،ج6، ص527 ؛ الآلوسي ، بلوغ الأرب ،ج1، ص24 .

وكذلك كان لموضوع الأطعمة والأشربة حضور في أحاديث مجالس الخليفة عبد الملك بن مروان ، ومن أجل معرفة أذواق الناس في الطعام ، والاطلاع على أحبه إليهم ، سأل يوما عامراً الشعبي عن أفضل الأطعمة وأحبها إليه ، فبين له أنه يفضل من الطعام ما تصنعه النساء ، بعيدا عن التكلف في عملية إعداده(1) .

وكان الخليفة عبد الملك يناقش جلساءه بخصوص نوعية الطعام المقدم له ، فمن ذلك أنه لما دخل الكوفة بعد مقتل مصعب بن الزبير سنة (71هـ/690م) ، وضعوا له على المائدة جديا فناقشهم في الأمر وبين لهم أنه كان يفضل لو كان عمروسا(2) ، غير أن جلساءه أكدوا له أن جداء العراق أطيب والذ من عماريس الشام(3) .

كما تطرق عبد الملك مع جلسائه لموضوع الإفراط في الطعام ، والتخمة الناتجة عن ذلك ، وأثرها على صحة الإنسان ، وكيفية تجنب الإصابة بها ، فيُذكر أنه سأل أحد جلسائه إن كان أتخم يوما ، فلما أجابه بالنفي ، ناقشه في الأمر ، مستفسرا عن كيفية تجنب الإصابة بها (4) ، فبين له أن ذلك يكون بإنضاج الطعام ، ومضغه مضغا جيدا ، وتجنب ملء المعدة منه(5) .

لذا فقد كان الخليفة عبد الملك يرى أن الإفراط في الطعام والشبع التام يؤدي إلى التخمة ، فكان يدعو إلى عدم ملء المعدة بالطعام ، بل إنه عد ذلك من قبيح الأعمال ، فيُذكر انه دعا رجلا إلى مائدته ، فاعتذر الرجل عن تلبية دعوته لكون معدته مملوءة بالطعام ولا مجال لتناوله ، فقال عبد الملك :((ما اقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يبقى فيه فضل))(6) .

(1) أبو الطيب محمد بن أحمد بن اسحاق الوشاء ، الفاضل في صفة الأدب الكامل ، تحقيق : يوسف يعقوب مسكوني، جمعه ووضع فهارسه : حكمت رحماني ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ،1977م)، ج2، ص56.
(2) العمروس : الخروف .(الجوهري ، الصحاح ، ج3، ص953) .
(3) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، (بيروت،1988م)، ج5، ص462 ؛ الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج2، ص238 .
(4) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج3، ص219 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج8، ص17 .
(5) الجهشياري ، الوزراء والكتّاب ، ص35 ؛ الآبي ، نثر الدر ، ج2، ص236 .
(6) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج3، ص219 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج8، ص14 .

وبحث الخليفة عبد الملك مع الحجاج بن يوسف موضوع شراب نبيذ الرمان وفائدته ، وتأثيره على زيادة الشهية للطعام ، وإعطائه قوة للجسم(1) .

كما شهدت مجالس الخليفة الوليد بن عبد الملك موضوع أثر الطعام في بناء جسم الإنسان وتحديد ملامحه ، فمن ذلك أن سالماً بن عبد الله بن عمر (ت 106هـ) حضر أحد المجالس ، فلما رأى

الخليفة حسن جسمه وتراكم لحمه ، سأله عن نوعية الطعام الذي يتناوله ، فبين له سالم أن الطعام المفضل لديه هو الخبز والزيت(2) .
واشتهر الخليفة سليمان بن عبد الملك بحبه للطعام ، مما انعكس على اهتمامات الناس في عهده ، فأخذوا يكثرون الحديث عن ألوان الأطعمة ، وأطايبها وغرائبها في مجالسهم بشكل ملحوظ(3) ، وشهدت مجالس هذا الخليفة هي الأخرى الأحاديث حول بعض أنواع الأطعمة ، فمن ذلك أن اعرابيا حضر أحد المجالس ، فلما أتى بالفالوذج(4) ، أخذ الأعرابي يأكل منه بسرعة ، في الوقت الذي كان الخليفة يحدثه عن هذا النوع من الطعام ومميزاته وفوائده(5) .
وحظيت الخمر بنصيب من أحاديث مجالس الخليفة سليمان ، فيُذكر أنه طلب من الشاعر عدي بن الرقاع العاملي(6) أن يصف له الخمر ، فوصفها الشاعر وصفا دقيقا ، مما دفع سليمان إلى اتهامه بشربها ، إلا أن الشاعر دافع عن نفسه ، موضحا أنه إن كان الخليفة ارتاب لوصفه إياها ، فانه مرتاب لمعرفته بها(7) .
أما مجالس الخليفة عمر بن عبد العزيز فقد تطرقت إلى قضايا تهم الاقتصاد في تناول الطعام ، وعدم الإسراف في صنعه ، إذ كان يدعو إلى الاكتفاء بأبسط أنواع الاطعمة ، فيذكر أأأاااانه ناقش مسلمة بن عبد الملك

(1) ابن نباته ، سرح العيون ، ص ص179-180 .
(2) الأصفهاني ، حلية الأولياء ،ج2، ص193 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج2، ص349 .
(3) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص116 .
(4) الفالوذج : وهونوع من الحلوى ، فارسي معرب . (ابن سيده ، المخصص ، مج1، ج5، ص20).
(5) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج4، ص68 .
(6) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي ، الشاعر المشهور ، مدح الزبيريين ثم عبد الملك وابنه الوليد. (ابن دريد ، الاشتقاق ، ص 375 ؛أبو القاسم الحسن بن بشير الآمدي ،ألمؤتلف والمختلف ،تصحيح وتعليق : الدكتور ف 0 كرنكو ، مكتبة القدس ، (القاهره ، 1354هـ)، ص 16)0.
(7) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج2، ص426 .

بخصوص الإسراف في الطعام ، ودعاه إلى تجنب ذلك وتناول الأطعمة ذات القيمة الغذائية العالية ، تجنبا للإسراف كالعدس والتمر(1) .
كما تباحث الخليفة الوليد بن يزيد مع جلسائه ، بخصوص أنواع الأشربة وخواصها ومميزات كل وأحد منها ، كالماء وضرورته ، واللبن وأهميته ، والسويق(2) وفائدته ، ودوره في معالجة المرضى ، ونبيذ التمر ، ونبيذ الزبيب(3) .
إن اهتمام الخلفاء الأمويين بالطعام واعداده وأصناف المأكولات في أحاديث مجالسهم ، يدل على الاستقرار السياسي وتحسن الوضع الاقتصادي والمعاشي في العصر الأموي .

(1) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص49 ؛ ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ج2، ص ص14-15.
(2) السويق : طعام مدقوق من الحنطة والشعير . (ابن منظور ، لسان العرب ، ج2، ص243) .

(3) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5، ص189 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص202 .**

النساء

بالنظر لأهمية المرأة ودورها في المجتمع ، فقد شهدت مجالس الخلفاء الأمويين الكثير من الأحاديث حول النساء ، وما له علاقة بهن من زواج وطلاق ، والصفات التي تميز بعضهن ، فمن ذلك أن الخليفة معاوية سأل أحد جلسائه عن أفضل النساء وأسوئهن ، فبين له ذلك الرجل أن أفضلهن التي تعمل كل ما يحبه زوجها ويرضاه ، وأسوأهن التي أعمالها واهتماماتها لا تتفق و رغبات زوجها واهتماماته(1) .

ولما طلق عبد الله بن عامر زوجته أم كلثوم بنت معاوية ، بحث الأخير الموضوع مع ابنته ، لغرض الوقوف على السبب الذي دفع زوجها إلى اتخاذ مثل هذا القرار ، فلما أخبرته بعدم معرفتها السبب ، استدعى زوجها إلى مجلسه وناقشه في الأمر ، فبين للخليفة أن إقدامه على هذا القرار ، لأنه لا يناسبها لكونه شيخا وهي شابة(2) .

وعندما حضر عمرو بن العاص إلى مجلس الخليفة معاوية ، ووجد بين يديه ابنته عائشة ،دعاه إلى ابعادها عنه ، قائلا : ((انبذها عنك ، فوالله إنهن ليلدن الأعداء ، ويقربن البعداء ، ويورثن الضغائن))(3)، إلا أن هذه الرؤية لم ترض الخليفة معاوية،الذي أكد المكانة الكبيرة التي تتمتع بها المرأة في المجتمع،والدور الكبير الذي تقوم به في تخفيف الآلام والأحزان، وإنجاب الأبناء وتربيهم ، فأدت تلك المناقشة إلى تغيير في وجهة نظر عمرو بن العاص تجاه المرأة(4) .

وتناول الخليفة معاوية في مجلسه مع عثمان بن عتبة بن أبى سفيان ، موضوع المرأة وكيفية التعامل معها بعد الزواج ، وذلك لما خطب الأخير ابنته ، إذ أكد له معاوية على ضرورة إكرام الزوج لإمرأته واحترامها وعدم امتهانها ، مما ينعكس إيجابيا على علاقة الرجل بأهل زوجته(5) .

(1) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج4، ص10 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج7، ص99 .**

(2) **أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، الفاضل ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة ، 1956م)، ص ص73-74 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج4، ص130 .**

(3) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص244 ؛ ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، ص760 .**

(4) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج3، ص99 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص244 .**

(5) **ابن منقذ ، لباب الآداب ، ص344 .**

وفي أحد مجالسه بيّن الخليفة يزيد بن معاوية لجلسائه دور المرأة في إسعاد الرجل ، وقدرتها على توفير الراحة لزوجها ، إذا كانت على قدر من الجمال واقتناع كل منهما بالآخر ، فضلا عن توافر مصدر كاف للمعيشة ، قائلا : ((مَنْ أنعم الناس عيشا ؟ قالوا : أنت يا أمير المؤمنين ، فقال : بل رجل له إمرأة حسناء قد رضي بها ورضيت به ، لهما قوت من المعاش لايعرفنا ولا نعرفه))(1) .

ويبدو أن الخليفة يزيد بن معاوية ، أراد أن يبين لجلسائه أن السعادة ليست بالسلطان والمال ، وإنما السعادة بحياة أسرية هادئة ، تمثل الزوجة الصالحة ، ركنا أساسيا فيها ، بعيدة عن الحكم ومشكلاته.

أما مجالس عبد الملك بن مروان فقد تطرقت هي الأخرى لموضوع النساء ، حيث كان يبحث مع جلسائه الكثير من الأمور التي تتعلق بالنساء ، من أجل معرفة أوصاف المرأة النموذجية من حيث الشكل ، إذ تناول الموضوع مع أحد جلسائه ، طالبا منه أن يصف له أحسن النساء ، ومميزاتها ، وبعد وصف مطول ومفصل من قبل ذلك الرجل (2)، استفسر عبد الملك عن القوم الذين توجد فيهم نساء بهذه الصفات ، فقال:((تجدها في خالصة العرب ، أو في خالصة الفرس))(3).
وفي مجلس آخر له سأل الخليفة عبد الملك أحد جلسائه عن أفضل النساء ، فأخبره أن أفضلهنَّ التي تلفت انتباه زوجها ، وتشغله بها ، وكأنه لا يرى غيرها حتى يخيل إلى أهله أنها سحرته(4) .
إن مناقشة الخليفة عبد الملك جلسائه في مسألة مواصفات أفضل النساء ، إدراك منه لأهمية المرأة في حياة الرجل ، ودورها الكبير في بناء المجتمع وتأثير تلك الصفات على الأبناء .
وفي أحد مجالسه بحث عبد الملك مع خاصته علاقته مع نسائه ، والمشكلات التي تواجهه معهن ، فمن ذلك ما حدث من خصومة وقعت بينه وبين زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية التي كان يحبها

(1) الوشاء ، الفاضل ،ج2، ص57 .
(2) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج7، ص101 .
(3) المصدر نفسه ، ج7، ص101 .
(4) الآبي ، نثر الدر ، ج3، ص48 .

إلا أنها تبالغ في الابتعاد عنه(1) ، فناقش الأمر مع خاصته ، من أجل إيجاد حل لهذه المشكلة ، فتعهد له أحدهم بإعادة العلاقة بينهما إلى سابق عهدها ، وقد نجح ذلك الرجل في إزالة أسباب الخلاف بينهما فنال بذلك رضا الخليفة عبد الملك(2) .
وكان الخليفة عبد الملك يناقش خاصته ببعض القضايا التي تخص نساءه ، مبديا رأيه فيهن ، فيُذكر أنه لما تزوج عبد الملك من الشقراء بنت شبيب بن عوانة الطائية ، أظهر إعجابه بها لروح بن زنباع واصفا إياها بانها جمعت من الصفات الجيدة ما جمعته نساء الحضر والبادية(3).
وفي مجلس آخر له طلب الخليفة عبد الملك من روح بن زنباع أن يبدي رأيه بإحدى نسائه ، فذمها روح بن زنباع ، مبينا تأثير العمر على هيئتها ، فأيده عبد الملك على هذا الوصف مؤكدا ملاحظته لهذه المسألة (4) .
وكان لقصص الحب والغرام حضور في أحاديث مجالس الخليفة عبد الملك ، فيذكر أن رجلاً حضر إلى مجلسه ليحادثه ، فلما تبين له أن الرجل كان من أصدقاء جميل بثينة(5) ، طلب منه أن يحدثه عن حب جميل لبثينة ، وتعلقه بها ، فحدثه عن ذلك ، مستشهدا بإحدى قصصه التي شاهدها بعينه(6) .

(1) المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص ص115-116؛ أبو إسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، جمع الجواهر في الملح والنوادر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ،ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (القاهرة ،1953م) ، ص70 .
(2) النهرواني ، الجليس الصالح ، ج2، ص ص36-37 ؛ الإسكافي ، لطف التدبير ، ص ص73-74 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ،ج2، ص55 .
(3) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ص156-157 .
(4) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج7، ص107 .

(5) هو جميل بن عبد الله بن معمر أبو عمرو العذري ، الشاعر البليغ ، صاحب بثينة ، يقال مات سنة (82هـ/701م) وقيل عاش حتى وفد على عمر بن عبد العزيز . (ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،ج1، ص434؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،ج4، ص181).
(6) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،ج1، ص ص438-439 .

وفي مجلس آخر طلب الخليفة عبد الملك من الشاعر كثير عزة أن يخبره إن كان هناك من هو أعشق منه ، فحدثه الأخير عن قصة رجل وجده في فلاة ، ناصبا حبالا ليصطاد بها شيئا لأهله الذين يعانون من الجوع الشديد ، فلما اصطاد ذلك الرجل غزالا أطلقها ، مدعيا أنها تشبه حبيبته(1) .

ولما أحب خالد بن يزيد بن معاوية رملة بنت الزبير ، وتعلق قلبه بها ، بحث أمرها مع الخليفة عبد الملك ، وأطلعه على حاله ونفاذ صبره ، وقلة نومه من حبها ، مما دفع بالخليفة إلى خطبتها من أهلها لخالد ، فتزوجها(2) .

وعندما أكره الحجاج بن يوسف عبد الله بن جعفر على تزويجه ابنته ، كتب بالأمر إلى خالد بن يزيد بن معاوية ليجد حلا لهذه المسألة ، فحضر الأخير إلى مجلس عبد الملك ليستطلع رأيه بالأمر(3) ، مبينا له انه ليس من الحكمة ولا من مصلحة بني أمية أن يتزوج رجلٌ ذا مكانة وسلطان في دولتهم مثل الحجاج امرأة من بني هاشم ، وهم يدّعون ، والناس يتحدثون بان الخلافة ستؤول لهم(4) ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بان يطلقها ، فأمتثل الحجاج للأمر فطلقها(5) .

ولما اعترضت أم البنين بنت عبد العزيز زوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك على زوجها بسماحه للحجاج بالجلوس معه حاملا سلاحه(6) ، ناقش الأخير الوليد بخصوص النساء وكيفية معاملتهم داعيا إلى عدم اطلاع النساء على الأسرار عامة ، وأسرار الدولة والحرب خاصة ، وعدم طاعتهن ، وأن لا يشتغلن بأكثر من زينتهن ، وتجنب مشاورتهن ، وعدم إطالة الجلوس معهن ، لأن ذلك من شأنه أن يؤثر على آراء الرجل وشخصيته(7) .

(1) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج4، ص ص107-108 .
(2) الأصفهاني ، الأغاني ،ج17، ص346؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج4، ص ص375-376 .
(3) المبرد ، الكامل ، ج1، ص349؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج7، ص ص114-115 .
(4) المبرد ، الكامل ، ج1، ص349؛ الآبى ، نثر الدر ، ج3، ص36 .
(5) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج7، ص115؛ الآبى ، نثر الدر ، ج3، ص36 .
(6) المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص149؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج2، ص44 .
(7) المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص149؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج2، ص ص44-45.

ويبدو أن موقف أم البنين من جلوس الوليد مع الحجاج بسلاحه ، ومكانتها الكبيرة لدى الخليفة الوليد ، هو الذي دفع الحجاج إلى طرح وإبداء هذه النظرة عن النساء ، خشية أن تؤثر على الخليفة الوليد، ويغير رأيه فيه .

وفي أحد مجالسه تطرق الخليفة الوليد بن عبد الملك وبحضور عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى موضوع عدم زواج الرسول من نساء الأنصار ، حيث بين الوليد أن ذلك يعود إلى رغبته عنهم(1) ، إلا أن عبد الله بن محمد ، بين أن ذلك لم يكن ليعيبهم إذ ليس كل من لم يتزوج منهم

الرسول يعد ذلك نقصا بهم ، يدل عليه عدم زواجه من بني هاشم ، وإنما تجنب الزواج من نساء الأنصار لشدة غيرتهن(2) .
كما بحث الخليفة الوليد مع علي بن عبد الله بن عباس موضوع زواج الأخير من طليقة الخليفة عبد الملك بن مروان لبابة بنت عبد الله بن جعفر متسائلا إن كان الهدف من وراء ذلك الزواج هو الحد من شأن ومكانة أبنائها(3) ، غير ان علياً بن عبد الله أكد له أنه لا يوجد أي غرض آخر لهذا الزواج(4) .
وشهدت مجالس الخليفة سليمان بن عبد الملك كذلك الأحاديث حول النساء(5) ، وقصصهن مع بعض الرجال ، فيُذكر أنه كان للخليفة سليمان مؤذن يعلمه بأوقات الصلاة ، وكان المؤذن مغرما بإحدى جواري الخليفة ،التي اشتكته للأخير ، بدعوى أنه يطيل النظر إليها(6) ، فأمرها سليمان أن تتزين وتتطيب وتعرض نفسها عليه ليرى ما يفعل ، فلما فعلت ما أمرها به، رفض المؤذن عرضها ، وطلب منها الابتعاد عنه ، فلما رجعت وأخبرتِ الخليفة سليمان بالأمر(7) ، أحضره الخليفة إلى مجلسه وأخبره بأنه قد

(1) **مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ص**176-177 .
(2) **المصدر نفسه ، ص**177 .
(3) **المبرد ، الكامل ، ج**2**، ص ص**217-218**؛ مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ص**138-139 .
(4) **المبرد ، الكامل ، ج**2**، ص ص**218 **؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج**5**، ص**328 .
(5) **أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ، الأمالي ، عالم الكتب ، (بيروت، بلا ت) ، ص ص**151-152 .
(6) **التنوخي ، المستجاد ، ص ص**229-230 .
(7) **المصدر نفسه ، ص**230 .

وهب له الجارية وخمسين ألف درهم ، إلا أن المؤذن رفض هذا العرض ، لأنه منذ أن رآها أول مرة ، تمنى على الله أن تكون له يوم القيامة ، وأنه يستحيي أن يخالف ذلك(1) .
إن مكافأة الخليفة سليمان للمؤذن على عفافه ، يبين مدى حرصه على تشجيع وإشاعة الأخلاق النبيلة في المجتمع .
كما شهدت مجالس الخليفة عمر بن عبد العزيز الخوض في بعض القضايا الاجتماعية التي تخص النساء ، ففي أحد تلك المجالس ناقش مشكلة عنوسة بنات نصيب الشاعر ، حين طرح الأخير مشكلة كساد بناته وعدم رغبة الشباب بالزواج منهن لسواد بشرتهن ، مما أوجد لديه مشكلة أعالتهنَّ لذا طلب من الخليفة مساعدته في مواجهتها (2) ،فساعده الخليفة بأن فرض لهن(3) .
وفي مجلس للخليفة هشام بن عبد الملك جرى حديث بين الوليد بن يزيد ولي العهد والعباس بن الوليد بن عبد الملك بحضور عدد من بني أمية ، حول موضوع النساء عامة والروميات منهن خاصة ، إذ قال العباس بن الوليد للوليد بن يزيد : ((يا وليد كيف حبك للروميات فإن أباك كان مشغوفا بهن ؟ قال : كيف لا يكون وهن يلدن مثلك...))(4) ، وكانت أم العباس بن الوليد رومية(5) .

(1) **التنوخي ، المستجاد ، ص** 230 .

(2) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج3، ص126؛ الأصفهاني ، الأغاني ،ج1، ص ص332-333**
.
(3) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج3، ص126 ؛ ابن منظور ، مختار الأغاني ،ج7، ص315 .**
(4) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5، ص183 ؛ ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ،ج7، ص109 .**
(5) **الأصفهاني ، الأغاني ،ج7، ص 109 .**

وتطرق الخليفة هشام في لقائه الشاعر أبي النجم العجلي(1) ، إلى قضية اجتماعية مهمة ، تتمثل في طبيعة العلاقة بين زوجة الابن وحماتها ، إذ أكد له الشاعر أنه أوصى إحدى بناته ليلة زفافها ، أن تسيء إلى حماتها قدر المستطاع ، بأن تجعل الهدوء والاستقرار يمثلان لها حلما بعيد المنال ، إلا أن الخليفة لم يرض على هذا التصرف(2) .

كما جرى في أحد مجالس الخليفة هشام تناول قضية زواج الأرامل بعد انقضاء عدتهنَّ ومدى وفاء بعضهن لازواجهن ، وذلك بالامتناع عن الزواج بعدهم ، إذ قص عليه أحد جلسائه قصة وفاء امرأة لزوجها بعد وفاته ، كلفها حياتها ، مما دفع الخليفة هشام إلى الإعجاب بموقفها حتى قال : ((هكذا والله الوفاء))(3) .

(1) **هو الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله العجلي ، يكنى بأبي النجم ، كان من الشعراء المشهورين ، يسكن الكوفة . (ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج2، ص603؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج4،ص630) .**
(2) **المبرد ، الكامل ، ج3، ص ص94-95 ؛ العبدي ، العفو والاعتذار ،ج1، ص ص76-77 ؛ أبو الحسن محمد بن هلال غرس النعمة الصابي ، الهفوات النادرة ، تحقيق : الدكتور صالح الأشتر ، ط1، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، (دمشق ، 1967م) ، ص ص32-36 .**
(3) **القالي ، الأمالي ،ج3، ص ص200-203 ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ،ج68، ص ص206-208 .**

الغناء والموسيقى

كان للغناء حضورٌ في مناقشات مجالس الخلفاء الأمويين ، إلى الحد الذي رغب بعضهم إلى الاستماع له ، وأبدوا اهتماما بالمغنين وخصصوا لهم نوبات يدخلون فيها مجالسهم(1) .

فقد شهدت مجالس الخليفة معاوية بن أبي سفيان الأحاديث والحوارات بخصوص الغناء ، فيذكر أنه كان كثيرا ما ينكر ويعيب في مجالسه على عبد الله بن جعفر سماعه للغناء واهتمامه بالمغنين(2) ، فحضر الأخير إلى مجلس معاوية يوما ومعه أحد المغنين ، وطلب منه أن يغني ، فلما أخذ بالغناء حرك معاوية رجله ، فلما استفسر عبد الله بن جعفر عن سبب ذلك ، قال له معاوية :((ان الكريم طروب))(3) .

ويبدو أن عبد الله بن جعفر أراد من وراء تصرفه هذا أن يضع حدا لانتقادات الخليفة معاوية له بخصوص رغبته في سماع الغناء واهتمامه بالمغنين .

ومن الجدير بالذكر أن عبد الله بن جعفر كان يرى أنه لا باس في الاستماع للغناء ، وهو رأي أهل المدينة ، الذين كانوا يرون أن الغناء وما هو إلا التغني بالأشعار والكلام الطيب الذي يزيده جمالا الصوت الذي يغني به(4) .

أما مجالس الخليفة عبد الملك فقد تناولت هي الأخرى موضوع الغناء ، ففي أحد مجالسه وبحضور عبد الله بن جعفر ، ذم عبد الملك الغناء مبينا أثره على شخصية الرجل ومروءته وشرفه قائلا : ((قبح الله الغناء ، ما أوضعه للمروءة ، وأجرحه للعرض ، وأهدمه للشرف وأذهبه للبهاء))(5) ، ويبدو أنه كان يعني بذلك عبد الله بن جعفر ، الذي أجاب عبد الملك حول الموضوع ، مبينا أن الغناء الذي يسمعه ويرغب إليه، ليس بالصورة التي يعنيها الخليفة ، وإنما هو عبارة عن شعر جيد يردد عليه بصوت حسن(6) .

(1) **زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ج5 ، ص**163 .

(2) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج7، ص15؛ القيرواني ، جمع الجواهر ، ص56؛ ابن الأثير ، الكامل ،ج3، ص**374 .

(3) **أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، مجالس ثعلب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، (مصر ، بلا ت) ، ق1، ص59؛ الطبري ، تاريخ ،ج5، ص**337 .

(4) **أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج1، ص189؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ،ج1، ص**229 .

(5) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج7، ص**50 .

(6) **البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق: محمد باقر المحمودي ، ص55 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج7، ص**51 ومما يؤكد عدم ميل الخليفة عبد الملك للاستماع للغناء ، أنه اشتكى من مرض (عرق النسا) ، ومن أجل تخفيف الألم عليه ، حضر عبد الله بن جعفر إلى مجلسه ومعه المغني بديح(1) ، الذي قدمه لعبد الملك على أنه طبيب جاء لعلاجه ، وعلى الرغم من أن بديحاً لم يقم بأي شئ سوى أنه غنى في مجلس عبد الملك، وأثار إعجابه ، فأجزل له العطاء(2) ، ولو كان عبد الله بن جعفر يعرف أن عبد الملك له ميل إلى سماع الغناء لما قدم بديحاً على أنه طبيب(3) .

ولما وصل خبر سعيد بن مسجح(4) المغني الذي كان يسكن في مكة إلى الخليفة عبد الملك، والذي كان له دور واضح في إفساد شبان قريش ، إذ كانوا ينفقونَ أموالهم عليه ، فأمر بمعاقبته وأحضره إلى مجلسه وحادثه في موضوع الغناء ومدى إجادته له ، فلما تغنى أمامه أعجب به عبد الملك ، عندها أبدى تفهما لموقف شبان قريش منه واهتمامهم به(5) .

ويبدو أن الخليفة عبد الملك لما سمع سعيداً بن مسجح وجد أن غناءه ما هو إلا شعر يطلق بصوت حسن لا يتعارض والتعاليم الإسلامية ، لذا عفا عنه ، وألغى كل الإجراءات المتخذة بحقه ، وأمر بإعادته إلى بلاده بعد أن أمر بنفيه عنها (6) .

وذات مرة كان عبد الملك جالسا جلوسا عاما في شرفة له ينظر في أمور الناس ، وأُدخلت عليه رقعة يطلب فيها مقدمها أن يسمح الخليفة لإحدى جواريه بأن تغني له ، ثم يفعل فيه ما يشاء ، ولما أحضر صاحب الطلب وأحضرت الجارية إلى المجلس ، أمرها عبد الملك أن تغني له ما يريد ، فلما تغنت بكل ما أراد منها ألقى بنفسه من الشرفة فمات(7) .

(1) **هو بديح مولى عبد الله بن جعفر ، وكان يسمى بديح المليح ، كان يغني أغاني غيره . (الأصفهاني ، الأغاني ،ج15، ص**169) .

(2) **الأصفهاني ، الأغاني ،ج15، ص170 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ،ج4، ص**494 .

(3) **دكسن ، الخلافة الأموية ، ص**44 .

(4) هو سعيد بن مسجح أبو عثمان مولى بني جمح وقيل مولى بني نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، مكي أسود مغنٍ من فحول المغنين وأكابرهم ، نقل غناء فارس إلى غناء العرب. (الأصفهاني ، الأغاني ،ج3، ص273).
(5) المصدر نفسه ،ج3، ص ص279-281 .
(6) المصدر نفسه ، ج3، ص281 .
(7) أبو علي المحسن بن علي التنوخي ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق : عبود الشالجي ، دار صادر ، (بيروت ،1972م) ،ج5، ص ص98-100 ؛ النويري ، نهاية الأرب ،ج2، ص ص160-161.

وتناولت مجالس الخليفة سيلمان بن عبد الملك كذلك موضوع الغناء ، فيذكر أنه لما تفرق جلساؤه عنه بعد جلسة سمر في إحدى الليالي ، دعا بوضوء فجاءته به جارية ، فبينما هي تصب عليه الماء لحظ أن ذهنها قد شغل بغناء تسمعه ، فتجاهل الخليفة سليمان الأمر أمامها(1) ، إلا أنه ـ على ما يبدو ـ قد شغل تفكيره كثيرا ، وفي الصباح أذن للناس إذنا عاما بحضور مجلسه ،وأخذ يناقشهم ويبحث معهم موضوع الغناء ، إذ أبدى فيه مرونة وليناً حتى ظن الحاضرون أنه يرغب بالغناء ويحب سماعه ، مما دفعهم إلى الخوض فيه بإفاضة وتفصيل ، بين محلل سماعه ، ومسهل أمره ، وذكر من كان يسمعه من أشراف القوم ، وأشهر المغنين ، حتى استطاع أن يتوصل إلى الرجل الذي كان يغني وشغل غناؤه جاريته، فأحضره إلى مجلسه ، وسأله عن الغناء ومدى إتقانه له ، وطلب منه أن يعيد عليه ما سمع في الليلة الماضية ، عندها أخذ الخليفة سليمان يحذر جلساءه من سماع الغناء ، مبينا آثاره الاجتماعية ، خاصة على النساء (2) ، ثم أمر به فخصي(3) .
وتصديا لظاهرة الولع بالغناء وخشية انتشارها ، سأل الخليفة سليمان جلساءَه عن أصل الغناء ، وأماكن تواجد المغنين ، فلما قيل له إنها المدينة ، وأنه أكثر انتشارا بين المخنثين ، أمر والي المدينة أبا بكر محمد بن حزم أن يخصي المخنثين المغنين هناك ، فخصاهم(4) .
ولما سمع الخليفة سليمان مغنيا في عسكره ، أحضره إلى مجلسه ، وطلب منه أن يعيد عليه ما كان يغني به ، فلما غنى واحتفل ، حذر الخليفة جلساءه من الغناء ، مبينا أثره في من يسمعه وخاصة النساء، قائلا : ((.ما أحسب أنثى تسمع هذا إلا صبت)) ، ثم أمر به فخصي(5) .

(1) غرس النعمة ، الهفوات النادرة ، ص89 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ،ج4، ص488 .
(2) غرس النعمة ، الهفوات النادرة ، ص ص89-90 ؛ابن الجوزي ، المنتظم ،ج4، ص488 .
(3) غرس النعمة ، الهفوات النادرة ، ص 90 ؛ابن الجوزي ، المنتظم ،ج4، ص488 .
(4) غرس النعمة ، الهفوات النادرة ، ص ص90-91 ؛ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج9، ص188.
(5) المبرد ، الكامل ،ج2، ص ص260-261 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج7، ص21 .

إن اتخاذ الخليفة سليمان لمثل هذا الإجراء ضد المغنين والذي يبدو قاسيا كان الهدف منه ـ على ما يبدو ـ تقليل مضارهم على المجتمع ،والحد من انتشارهم ـ لأن من يمتهن الغناء سوف يفكر في هذا المصيرـ خوفا من افتتان الناس بغنائهم ، وانصرافهم عن أمور دينهم ، وما ينتج عن ذلك من تبعات أخرى . أما الخليفة يزيد بن عبد الملك فانه أبدى اهتماما كبيرا بالمغنين وشغف بالغناء ورغب بسماعه ، إذ شهدت مجالسه الكثير من حفلات الغناء التي كان يقيمها ، ففي أحد المجالس استخفه الطرب لغناء جاريته حبابة(1) ، إلى حد تصورِ فيه أن له القدرة على الطيران(2) .

وفي مجلس آخر له سأل الخليفة يزيد بن عبد الملك معبداً المغني(3)، عن الغناء وأنواعه ، مقارنا بين غناء الأخير وبين غناء ابن سريج(4) ، ذاكرا خواص ومميزات كل منهما ، ومبينا له أن غناء ابن سريج أكثر ملاءمة لمزاجه من غنائه ، مما دفع معبداً أن يغني غناءً مشابها لغناء ابن سريج ، تماشيا مع رغبة الخليفة المذكور(5) .

(1) حبابة : جارية يزيد بن عبد الملك ، مغنية من أفضل من رؤي في عصرها ، ومن أحسنهن وجها واكملهن عقلا ، أخذت الغناء عن ابن سريج ، ماتت سنة #####(105هـ/723م) .
(الأصفهاني ، الأغاني ،ج15، ص119 ؛ الزركلي ، الأعلام ،ج2، ص163).

(2) المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص187؛ ابن الأثير ، الكامل ،ج4، ص368؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ص31.

(3) هو معبد بن وهب وقيل ابن قطني ، كان مولى ابن قطر ، وقيل مولى لمعاوية بن أبي سفيان ، نبغ في الغناء ، مات في خلافة الوليد بن يزيد سنة #####(126هـ/744م) . (الأصفهاني ، الأغاني ،ج1، ص ص43-44).

(4) هو عبيد بن سريج ، مولى بني نوفل بن عبد مناف ، تعلم الغناء من طويس ، منزله بمكه ، كان لايغني إلا مقنعاً ، مات في خلافة هشام بن عبد الملك عن 85عامًا .(الأصفهاني ، الأغاني ،ج1، ص ص243-244 ؛ علاء الدين علي دده السكتواري البسنوي ، محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر ، المطبعة العامرة الشرفية ، بلا ت ، ص189).

(5) الأصفهاني ، الأغاني ،ج1، ص77 .

ولعل كثرة استماع الخليفة يزيد بن عبد الملك للغناء ، جعلته يمتلك القدرة على النقد والتمييز بين أنواع الغناء وأصنافه(1)

فضلاً عن ذلك فقد شهدت مجالس الخليفة يزيد بن عبد الملك التطرق إلى بعض آلات الغناء فيذكر أنه في أحد مجالسه ذكر البربط(2) فقام أحد الحاضرين ، ووضح لهم تلك الآلة مبينا أجزاءها وعمل كل جزء منها ، قائلا : ((هو محدوب الظهر ، أرسح(3) البطن ، له أربعة أوتار إذا حُركت لم يسمعها أحد إلا حرك أعطافه وهز رأسه))(4) .

كما رغب الخليفة الوليد بن يزيد بالغناء واهتم بالمغنين وجاء ببعضهم من المدينة إلى دمشق(5) ، فكانت مجالسه عامرة بهم(6) ، حتى إنه لكثرة استماعه لهم ، انتابه الملل منهم ، لذا أخذ يطالبهم بأن يسمعوه غناءً ذي مواصفات خاصة ، كان يحددها لهم بنفسه ، فيُذكر أنه في أحد المجالس،قال للمغنين : ((اني لأشتهي غناءً أطول من أهزاجكم واقصر من الغناء الطويل)) (7) ، وبما أنه لم يكن من بينهم من يمتلك تلك المواصفات ، فاخبروه أن في المدينة مغنيا تتوفر في غنائه تلك الخواص ، فاحضره إلى مجلسه(8).

(1) الأصفهاني ، الأغاني ،ج1، ص77 .

(2) البربط : هو آلة موسيقية تشبه العود ، الضارب به يضعه على صدره . (ابن منظور ، لسان العرب ،ج1،ص183).

(3) أرسح : الأسرح الشيء الذي لاعجز له .(ابن منظور ، لسان العرب ، ج1، ص1163).

(4) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج7، ص67 .

(5) المصدر نفسه ،ج5، ص187 .

(6) القيرواني ، جمع الجواهر ، ص ص314-315 .

(7) النهرواني ، الجليس الصالح ،ج2، ص318 .
(8) المصدر نفسه ،ج2، ص319 .
وعلى الرغم من شغف الخليفة الوليد بن يزيد بالغناء ، فإنه كان مدركا لتأثيره على الحياء والمروءة ، وأنه يبعث على اللهو ، ففي أحد مجالسه نصح بني أمية بالابتعاد عن الغناء وسماعه ، قائلا : ((يا بني أمية ، إياكم والغناء فانه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة ويُثوِّر على الخمر ويفعل ما يفعل المسكر ، فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء رقية الزنا...)) (1) . فبين لهم أن هذا رأيه في الغناء، رغم أنه أحب إليه من كل لذة(2) .
و يبدو من كلام هذا الخليفة أنه كان على علم بالمؤثرات الاجتماعية للغناء ، إلا أنه على ما يبدو قد تعود على سماع الغناء ، و ليست له القدرة والإرادة على تركه ، لهذا أخذ ينصح غيره بالابتعاد عنه .
(1) الأصفهاني ، الأغاني ،ج7، ص82؛ الآبي ، نثر الدر ،ج3، ص66 .
(2) الأصفهاني ، الأغاني ،ج7، ص82؛ الآبي ، نثر الدر ،ج3، ص66 .

الشيخوخة

ومن القضايا الاجتماعية التي حظيت باهتمام مجالس الخلفاء الأمويين ، قضية الشيخوخة وتقادم العمر ، ففي مجلس له سأل الخليفة معاوية بن أبي سفيان أحد جلسائه – وقد ظهرت عليه علامات الشيخوخة- عن حالته الصحية ، فعبّر عنها الرجل ووصف حقيقة أمره وتأثير الدهر عليه ، والتغيير الكبير الذي أصابه ، وكيف أن الأشياء تصير إلى غير ما يتمناه ، قائلا :((أجدني يا أمير المؤمنين قد لان مني ما كنت أحب أن يشتد ، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين ، وابيض مني ما كنت أحب أن يسود، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض.))(1) .
ولما دخل الخيار بن أوفى النهدي(2) - وكان كبير السن- إلى مجلس الخليفة معاوية ، تطرق الخليفة معه إلى موضوع الشيخوخة وكبر السن ، وتأثير الدهر عليه ، فأخذ يصف علامات الشيخوخة ، بفقدان اللذات وضعف العظام ، وبياض في الشعر ، وتجرؤ الأعداء عليه ، وعدم أخذه بالحسبان ، وقرب الموت منه(3) . فأعجب معاوية بهذا الوصف ،وأثنى عليه مؤكدا له حتمية النهاية لكل البشر ، ودعا له أن تكون النهاية على خير(4) .
وحضر رجل إلى مجلس الخليفة معاوية بعد أن كبر معاوية وسقطت أسنانه ، فلما رآه على تلك الحالة ، حدثه الرجل في علامات الشيخوخة ، مهونا عليه أمرها ، قائلا : ((يا أمير المؤمنين إن الأعضاء يرث بعضها بعضا ، والحمد لله الذي جعلك وارثها ولم يجعلها وارثك))(5).
إن أحاديث الخليفة معاوية الى جلسائه المسنين عن تأثير الدهر عليهم ، وما نتج عن ذلك من علامات ، كان الغرض منها -على ما يبدو - أخذ العبرة والموعظة ، لأن تلك العلامات تنذر الشخص بقرب نهايته .
(1) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج2، ص328 ، وفي رواية أن ذلك كان في مجلس الخليفة عبد الملك بن مروان . (الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج2، ص69).
(2) هو الخيار بن أوفى النهدي ، أدرك النبي ، وعاش حتى تقدم به العمر . (ابن حجر ، الإصابة ، ج1، ص465).

(3) القالي ، الأمالي ، ج2، ص92؛ ابن منقذ ، لباب الآداب ، ص342؛ ابن حجر ، الإصابة ،ج1، 465.
(4) القالي ، الأمالي ، ج2، ص92 .
(5) ابن الأزرق ، بدائع السلك ،ج1، ص361 .

وتناولت مجالس الخليفة عبد الملك بن مروان كذلك موضوع الشيخوخة وكبر السن وتأثير الأيام على الإنسان ، فمن ذلك أنه لما حضر ارطأه ابن سهية(1) ، أحد تلك المجالس ، وكان شيخا كبيرا سأله عبد الملك عن حاله وتأثير الدهر عليه ، طالبا منه أن يسمعه ما قال في طول عمره ، فانشده :

رأيت المرء تأكله الليـــالي كأكل الأرض ساقطة الحديـــدِ
وما تبقي المنية حين تــأتى على نفس ابن آدم من مزيـــدِ(2)

ففي هذا المجلس صور أرطأه بن سهية حقيقة الإنسان وفعل الأيام فيه ، والنهاية التي تنتظره ، معبرا عن ما كان يحس ويعاني من الكبر وتبعاته .

ولما كثر شيب الخليفة عبد الملك سأله جلساؤه عن السبب وراء ذلك ، فبين لهم أن كثرة شيبه ، لم يكن السبب فيها تقدمه في العمر ، وإنما لانشغاله بالخلافة وهمومها وما سوف يطرحه على الناس من آراء وأفكار خلال خطبة الجمعة ، فضلاً عن خشيته من اللحن في الكلام(3) .

ويبدو أن الخليفة عبد الملك كان مهتما اهتماما كبيرا بخطبة الجمعة وما يعرضه فيها من مواضيع ، حريصا على الإجادة في الكلام ، لأنها المجال الوحيد الذي يعرض فيه نفسه على الناس ، وان لذلك دورٌ كبيرٌ في بقاءِ هيبته بين الرعية .

ويُذكر أن عامراً الشعبي حضر إلى مجلس الخليفة عبد الملك فوجده مهموما ، ولما علم منه أن سبب همه هو تذكره قول أحد الشعراء لما بلغ عمره السبعين عاما ، وما حل به من ضعف ووهن(4) ، إلا أن الشعبي ذكّره بقول شاعر آخر لما بلغ السبعين ، وكيف أنها لم تكن آخر المطاف ، إذ امتدَّ عمره حتى بلغ المائة والثلاثين عاما ، عندها دخل السرور على قلب الخليفة عبد الملك أملا في أن يعيشها(5) .

(1) هو أرطأه بن زفر بن عبد الله بن مالك ، وسهية أمه ، كان من شعراء الدولة الأموية ، كان رجل صدق ، شريفا في قومه جوادا . (الأصفهاني ، الأغاني ، ج13، ص ص32-33 ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص252).
(2) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج6، ص106 .
(3) الآبي ، نثر الدر ، ج3، ص48 ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج37، ص ص138-139 .
(4) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص330 ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ،ج37، ص159 .
(5) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص330 ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ،ج37، ص160 .

ولما زاد شيب الخليفة عمر بن عبد العزيز ، حدّثه أحد جلسائه بهذا الخصوص ، مبديا تعجبه من كثرة الشيب في شعره ، وظهور علامات الكبر عليه ، على الرغم من صغر سنه ، إلا أن الخليفة عمر بن عبد العزيز لم يهتم بهذا الأمر وعدّه هينا إذا ما قورن بما سيحل بالإنسان في قبره(1) .

(1) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج2، ص302 .

التعازي

شهدت مجالس الخلفاء الأمويين تقليدا اجتماعيا وسنة إسلامية ، هي تقديم التعازي للخلفاء في حالة وفاة الخليفة السابق أو أحد أبنائه أو أحد أفراد أسرته ، أو حتى بعض رجالات الدولة البارزين ، بل إن الخلفاء كانوا في بعض الأحيان يقومون بتقديم التعازي لجلسائهم في حالة موت أحد أقاربهم ، فيذكر أنه لما توفي الحسن بن علي(رضي الله عنهما) ، وحضر عبد الله بن عباس إلى مجلس الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، قدّم الأخير تعازيه إلى عبد الله بن عباس ، كونَه أحد أبناء عمومته (1) .

ولما توفي الخليفة معاوية سنة (60هـ/679م) ، حضر أشراف الشام إلى مجلس الخليفة يزيد بن معاوية ليعزوه بوفاة أبيه ويهنئوه بتوليه الخلافة ، وقد عبّرت كلمات المعزين عن مشاعر أهل الشام تجاه فقدان الخليفة معاوية ، والتي كانت تمثل مصيبة كبيرة لهم (2) ، للعلاقة القوية التي كانت تربطهم به ، لدوره في نقل مقر الخلافة إلى بلادهم ، إذ كانوا يرون أن عزاءهم الوحيد في هذه المصيبة ، تولي ابنه يزيد الخلافة من بعده ، وقد كانت كلماتهم موضع إعجاب وتقدير من الخليفة يزيد و اغتنم ذلك المعزون ليعبروا عن طاعتهم وولائهم وإخلاصهم للخليفة الجديد(3) .

ولما توفي أحد أبناء الخليفة عبد الملك بن مروان ، شهد مجلسه حضور المعزين الذين عبّروا في كلماتهم عن حزنهم ومواساتهم للخليفة على تلك المصيبة ، من ذلك التعزية التي قدمها مالك بن أسماء بن خارجة(4) ، التي دعا فيها عبد الملك إلى الصبر على المصيبة ، مذكّرا إياه بما للصابرين من أجر عظيم(5).

(1) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج4، ص ص71-72 ؛ مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص43 .

(2) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج3، ص68 ؛ المبرد ، الكامل ، ج4، ص ص111-112؛ النويري ، نهاية الأرب،ج5، ص ص218-219 .

(3) المسعودي ، مروج الذهب ، ج3، ص ص70-71 ؛ القيرواني ، زهر الآداب ، ج1، ص ص53-54 .

(4) هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري ، من فحول الشعراء ، كان عاملا على الحيرة للحجاج . (ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،ج2، ص782؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،ج4، ص357) .

(5) أبو الحسن علي بن محمد المدائني ، التعازي ، تحقيق : ابتسام مرهون الصفار وبدري محمد فهد ، مطبعة النعمان ، (النجف الأشراف ،1971م)، ص31 .

وحول المصيبة نفسها ، تقدم الوليد بن عبد الملك بالتعزية لأبيه ، إلا أن عبد الملك رفضها منه ، وعد ما قام به الوليد هو أشد مصيبة من وفاة أخيه ، لأنه لا يرى أن للابن أن يعزي أباه لأنهما في المصيبة سواء(1) .

ولما توفي الخليفة عبد الملك بن مروان وتولي ابنه الوليد للخلافة من بعده ، حضر الناس إلى مجلس الأخير يهنئونه بالخلافة ويعزونه بوفاة أبيه ، بكلمات عبّر فيها المعزون عن مشاعرهم تجاه

هذا الحدث ، من خلال ثنائهم على الخليفة عبد الملك ، ودعائهم له بالمنزلة العالية في الآخرة ، وتمنياتهم للخليفة الجديد الثواب لصبره على تلك المصيبة(2) .

وكان الخلفاء الأمويون يتلقون التعازي في مجالسهم كذلك عند وفاة أحد قادة الدولة أو كبار المسؤولين فيها ، فيُذكر أنه لما توفي الحجاج بن يوسف سنة (95هـ/713م) حضر الناس إلى مجلس الخليفة الوليد بن عبد الملك ليعزونه فيه ، إذ تضمنت كلماتهم الثناء على الحجاج وما قام به من أعمال في خدمة الدولة(3).

ويبدو أن حضور الناس إلى مجلس الخليفة الوليد بن عبد الملك ليعزوه بوفاة الحجاج ، يعكس مدى إدراكهم للمكانة الكبيرة التي يتمتع بها الحجاج لدى الخليفة الوليد .

ولما توفي أيوب بن سليمان بن عبد الملك سنة (98هـ/716م) عبّر الخليفة لبعض جلسائه ومنهم عمر ابن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ، عن حقيقة شعوره ، وما يجده من حرقة لفقدانه ، مبينا لهما أنه لا يطفئها إلا البكاء ، فنصحه عمر بالصبر والاحتساب(4) ، غير أن رجاء بن حيوة أوضح له مشروعية البكاء، مستدلا بذلك على فعل رسول الله ، عند وفاة ابنـه إبراهيم(5) ، عندها بكى سليمان ، ثم بين لهما أنه

(1) **أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق :أحمد زكي باشا ، ط1، المطبعة الأميرية ، (القاهرة ، 1914م)، ص90 ؛ الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ،ج1، ص324 .**

(2) **الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2، ص ص191-192 ؛ الآبي ، نثر الدر ، ج3، ص ص59-60 .**

(3) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5، ص289 .**

(4) **المبرد ، الكامل ، ج4، ص52 .**

(5) **المصدر نفسه ،ج4، ص ص52-53 .**

لو لم يبك لانفطرت كبده(1) ، وأخذ الناس يحضرون إلى مجلسه ، ويقدمون تعازيهم له ، إذ عبّروا فيها عن شعورهم تجاه الحدث والدعوة إلى الصبر على المصيبة(2) وتوطين النفس على المصائب(3) .

ولما توفي عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، حضر الناس إلى مجلس الخليفة ليعزونه ، فكان من بين المعزين محمد بن الوليد بن عتبة ، الذي دعا في كلمته الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى الاستعداد للمصائب، استعدادا يجنبه الحزن ، ويضمن بقاءه في إطار التعاليم الإسلامية في مثل تلك الحالات(4) ، إلا أن الخليفة عمر سأل محمد بن الوليد إن كان رأى شيئا مخالفا لتعاليم الإسلام ، إلا أن الأخير أكد له أنه لوتُرك رجل عند مصابه دون تعزية لكان هو ، و أن الموضوع تذكير ليس إلا (5) .

وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز قد تأثر تأثرا كبيرا لوفاة ابنه عبد الملك ، فطلب من جلسائه أن يعزوه بشعر أو وعظ ليهونوا عليه الأمر ويخففوا عنه المصيبة ، فقام أحد الحاضرين وكان من أهل الشام ، وقال : ((يا أمير المؤمنين كل خليل مفارق خليله ، بأن يموت أو بأن يذهب))(6) ، فتبسم الخليفة عمر ، مبينا له أن تعزيته هذه مصيبة مضافة إلى مصيبته الأولى(7) . وعزاه آخر بتأكيده على حقيقة الإنسان ووجوده على هذه الأرض ، وكيف أنه يولد ويكبر والموت ينتظره(8)

، ويبدو أن هذه الكلمات كان لها وقع كبير على الخليفة عمر ، إذ بين لقائلها بأنه أفضل من عزاه في مصيبته هذه(9) .

(1) **المبرد ، الكامل ، ج4، ص53 .**
(2) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج3، ص 225، ص233 .**
(3) **المدائني ، التعازي ، ص4 .**
(4) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج3، ص 232 .**
(5) **المصدر نفسه ، ج3، ص232 .**
(6) **البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص345 ؛ ابن عربي ، محاضرات الأبرار ،ج1، ص315 .**
(7) **البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص345 ؛ ابن عربي ، محاضرات الأبرار ،ج1، ص315 .**
(8) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج3، ص53؛ الوشاء ، الفاضل ،ج1، ص162 .**
(9) **الوشاء ، الفاضل ،ج1، ص162 .**

العلوم الدينية

1- القرآن الكريم :

اهتم الخلفاء الأمويون بالقرآن الكريم اهتماما بالغا ، وحضوا على قراءته وتعلمه وحفظه(1) ، فقد شهدت مجالسهم الكثير من الأحاديث والمناقشات ، حول تعلم القرآن الكريم قراءة وتفسيرا ، ففي مجلس له وبحضور عبد الله بن عباس قرأ الخليفة معاوية بن أبي سفيان الآية : {تغرُبُ في عَيْنٍ حاميةٍ} (2) ، فقال ابن عباس إنها {عينٍ حَمِئَةٍ} ، ثم سأل عبد الله بن عمرو بن العاص عن كيفية قراءتها وكان حاضرا ، فبين له أنه يقرؤها كقراءة الخليفة معاوية(3) .
وفي مجلس آخر سأل الخليفة معاوية عبد الله بن عباس عن تفسير قوله تعالى : {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَّهَبَ مغَاضِباً فَظَنَّ أن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيهِ} (4) ، وقوله : {حتى إِذَا استَيئَسَ الرُسُلُ وَظَنَّواْ أَنَّهمْ قَدْ كُذِبوُا جَاءَهُمْ نَصرُنَا}(5) ، وبعد أن فسّرها له(6) ، بين عبد الله بن عباس ضرورة فهم القرآن الكريم ومعرفة تفسير آياته وتعلم قراءته ، لأن القراءة المغلوطة تغير معنى الآية وربما ينتج عنها أحيانا فهم خاطئ أو حكم غير صحيح ، عندها أثنى معاوية على ابن عباس وقال له : ((ان قريشا تغتبط بك ، بل جميع العرب ، لا بل أمة محمد))(7) .

(1) **حسين عطوان ، القراءات في بلاد الشام ، ط1، دار الجيل ،(بيروت ،1982م)، ص14 .**
(2) **سورة الكهف ، جزء من الآية 86 .**
(3) **شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، عني بنشره :ج. برجستراسر، مكتبة الخانجي ، (مصر ،1932م) ، ج2، ص303 .**
(4) **سورة الأنبياء : جزء من الآية 87 .**
(5) **سورة يوسف : جزء من الآية 110 .**
(6) **مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص68 .**
(7) **المصدر نفسه ، ص ص68-69 .**

وكان الخليفة معاوية يراجع جلساءه في بعض آيات القرآن الكريم ، فمن ذلك أنه قال لرجل من أهل اليمن : ((ما أحمق قومك حين قالوا : {رَبَّنَا باعِدْ بَينَ أسْفَارِنَا} (1) ، فأجابه الرجل قائلا : قومك أحمق منهم ، حين قالوا : {آللهمَّ إن كَانَ هَذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ آلسَّمَاءِ أو ائتِنَا بِعَذَابٍ ألِيم} (2) أفلا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه))(3) .
وكان الخليفة معاوية يناقش جلساءه بخصوص القرآن الكريم ومدى حفظهم له ، فمن ذلك أنه لما حضر عبيد الله بن زياد إلى مجلسه ، كان أول ما سأله عن مدى حفظه للقرآن الكريم ، قائلا له: ((أحفظت القرآن ؟ قال : نعم))(4) .
إن متابعة معاوية لجلسائه فيما يخصُّ حفظهم للقرآن، تشيرُ إلى إدراكِهِ لأهمية القرآن الكريم وأثره في بناء شخصية الإنسان وسلوكه ، وتربية أبناء الأمة تربية صالحة مستمدة من الأساس للتشريع الإسلامي الحنيف ، ألا وهو القرآن الكريم
أما مجالس الخليفة عبد الملك بن مروان ، فقد تناولت هي الأخرى الموضوع نفسه لإدراك عبد الملك لأهميته في حياة الأمة ، ومن ذلك قوله لمؤدب أولاده ((علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن)) (5) ، مما يبين مدى اهتمام عبد الملك بالقرآن الكريم كمادة أساسية في عملية تعليم الأبناء وتربيتهم .
وكان عبد الملك يراجع جلساءه ويسائلهم عن مدى قراءتهم للقرآن الكريم ومعرفتهم بعلومه ، فمن ذلك أنه لما حضر محمد بن شهاب الزهري إلى مجلسه سأله قائلا : ((أقرأت القرآن ؟ قال : نعم بإعرابه، قال : وما ينبغي منه من وجوهه وعلله ؟ قال : نعم ...))(6) . فلما وجد منه عبد الملك هذا الاهتمام

(1) سورة سبأ ، جزء من الآية 19 . إذ الآية تبدأ بـ: {(فَقَالُوا رَبَّنا باعِدْ بَينَ أسْفَارِنَا.)} .
(2) سورة الأنفال ، جزء من الآية 32. إذ الآية تبدأ بـ: {(وإذْ قَالوا اللَّهُمّ إن كَانَ هَذا هُوَ الحَقَّ.)} .
(3) ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، ص102 ؛ الأبشيهي ، المستطرف ،ج1، ص84 .
(4) أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، (القاهرة ، بلا ت) ، ص38 .
(5) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج2، ص167؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج9، ص70 .
(6) النهرواني ، الجليس الصالح ،ج2، ص170 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج9، ص354 .

بالقرآن وعلومه، وتوسم فيه العلم والذكاء ، أكرمه وقضى دينه ، ونصحه أن يواصل دراسته ، وأن يعود إلى المدينة المنورة لهذا الغرض(1) ، مما يبين مدى اهتمام الخليفة عبد الملك بالقرآن الكريم ، على نقيض ما اتهم به من أنه فقد اهتمامه بالقرآن عند توليه الخلافة(2).
وكان الخليفة الوليد بن عبد الملك يبحث مع جلسائه ، موضوع قراءة القرآن الكريم ، والمدة التي يختمونه فيها ، ففي أحد مجالسه سأل أحد الحاضرين عن المدة التي يختم فيها القرآن ، فلما أخبره بها، استكثرها الوليد وبين لجليسه أنه برغم انشغاله بأمور الخلافة ، فانه يختم القرآن كل أسبوع أو ثلاثة أيام(3) . مما يدل على تدين الخليفة الوليد وحبه للقرآن الكريم وشغفه به وقراءته له بصورة متواصلة .
وفي مجلس آخر سأل الخليفة الوليد أخاه عبد الله بن عبد الملك ، حول القرآن الكريم ،ومدى اهتمامه به ، فلما أخبره أنه يختمه كل أسبوع ، بين له الوليد أنه برغم كثرة أعماله ،فأنه يختمه كل

ثلاثة أيام(4) .
ومما يؤكد اهتمام الخليفة الوليد بالقرآن الكريم ، أنه كان يرى أن من لا يقرأ القرآن ولا يهتم به لا يستحق أن يتزوج من بناته ، ومما يروى في هذا المجال ، أن رجلا من بني مخزوم حضر إلى مجلسه ليخطب ابنته ، فلما علم أنه لا يقرأ القرآن ولا يظهر له اهتماما ، عنفه ثم أمر به رجلا يعلمه قراءة القرآن، فإذا تعلم ينظر في طلبه(5) . بل إن الوليد كان يرى أن من لا يقرأ القرآن لا يستحق الصلة والإكرام،

(1) **النهرواني ، الجليس الصالح ،ج2، ص170 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج9، ص354 ؛ عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت ، 1960م)، ص99 .**

(2) **ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ،ج37، ص127 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج9، ص67؛ دكسن، الخلافة الأموية ، ص41 .**

(3) **الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ج5، ص ص243-244 .**

(4) **ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج63، ص176 ؛ العصامي ، سمط النجوم ،ج3، ص175 .**

(5) **الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2، ص203 .**

ففي أحد مجالسه جاءه رجل فطلب منه أن يقضي حوائجه ، فلما علم أنه لا يقرأ القرآن رفض طلبه وعنفه وأوكله إلى شخص آخر ليعلمه قراءة القرآن(1) ، فقام أحد الحاضرين وطلب من الوليد أن يقضي له دينا ، فأجاب الوليد طلبه بعد أن استقرأه في المجلس عشر آيات من سورة الأنفال وعشر آيات من سورة براءة(2) .
إن مراجعة الخليفة الوليد جلسائه بخصوص القرآن الكريم والدعوة إلى قرأته وحفظه ، وإكرامه لمن يقوم بذلك ، يبين مدى إدراكه لأهمية القرآن في حياة الإنسان المسلم .
أما مجالس الخليفة سليمان بن عبد الملك فقد شهدت هي الأخرى الكثير من الأحاديث المماثلة حول هذا الموضوع ، حيث كان الخليفة سليمان يؤكد في مجالسه على أهمية تعليم أبنائه القرآن الكريم(3) .
وكان الخليفة سليمان يراجع جلساءه ويناقشهم في القرآن الكريم واهتمامهم بقراءته وحفظه ، فمن ذلك أنه سأل رجلا إن كان يقرأ القرآن ، فلما أجابه الرجل قائلا : ((نعم قرأته صغيرا ، وتأممته كبيرا ، وجعلته لي أميرا ، وعاملت عليه خبيرا))(4) ، أعجب به سليمان فوصله وأكرمه(5).
وكان جلساؤه ممن تبحروا في علوم القرآن غالبا ما يحدثونه في جانب من جوانب هذا العلم ، ومن أمثلة ذلك حديث طاووس اليماني (ت 106هـ) أن ابن عباس حدثه أن أخر آية نزلت في كتاب الله تعالى(6) : {وَاتَّقُواْ يَوْمَاً تُرْجَعُونَ فِيهِ إلى اللهِ} (7) .

(1) **الطبري ، تاريخ ،ج6، ص496؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5، ص161 .**

(2) **الطبري ، تاريخ ،ج6، ص496؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج5، ص161 .**

(3) **الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص330 .**

(4) **أبو الحسن هلال بن المحسن الصابي ، رسوم دار الخلافة ، تحقيق : ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ، (بغداد ، 1964م)، ص ص58-59 .**

(5) **المصدر نفسه ، ص59 .**

(6) الأصفهاني ، حلية الاولياء ، ج4، ص16 .
(7) سورة البقرة ، جزء من الآية 281 .
أما الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي عُرِفَ عنهُ أنهُ أكثر الخلفاء الأمويين تدينا وورعا وزهدا فقد شهدت مجالسه أحاديث ومناقشات حول القرآن الكريم وأهمية حفظه ، فمن ذلك أنه لما علم بوجود مخنث في المدينة المنورة يفسد أهلها بغنائه(1) ، استحضره إلى مجلسه ، وأخذ يسأله عن مدى حفظه للقرآن الكريم واهتمامه به ، فلما تبين له أنه لا يحفظ منه شيئا وكل به رجلا ليعلمه قراءة القرآن وحفظه وأجرى له ولمعلمه أجرا ، وبعد مدة أحضره إلى مجلسه واستقرأه فلما اتضح له أنْ لا فائدة من تعليمه أمر بنفيه(2) .
وفي مجلس آخر طلب الخليفة عمر بن عبد العزيز من خالد بن أبي الهياج(3)ـ الذي كان جيِّدَ الخطِّ ـ أنْ ينسخ له مصحفا فلما فرَغَ منه ـ بعد أن جود في نسخه ـ أحضره إلى مجلس الخليفة ، فنال إعجابه فأخذه وراح يقلبه ويستحسنه إلا أنه رده عليه مستكثرا ثمنه(4) .ولم تكن مجالس الخليفة هشام بن عبد الملك أقل اهتماما بهذا الموضوع ، بل أكد هو الأخر على أهمية القرآن الكريم وضرورة تعلمه ، وطريقة وأسلوب حفظه ، ففي أحد المجالس أكد على مؤدب ولده محمد أن يصب اهتمامه على تعليمه القرآن الكريم ، وأن يقرأ له كل يوم عشر آيات ، لكي يتقن قراءته(5).
ولم يُقِمْ الخلفاء الأمويون في مجالسهم وَزناً للذين لم يكن لديهم اهتمام بقراءة القرآن وحفظه، فمن ذلك أن الخليفة هشاماً كان يلاعب الأبرش الشطرنج ، فاستأذنه الحاجب لرجل من بني مخزوم من أخواله ، فأمر بإدخاله إلى المجلس ، بعد أن غطى الشطرنج بمنديل ، ولكن لما علم منه أنه لا يقرأ القرآن ولا يوليه اهتماما ، كشف عن الشطرنج وواصل لعبه ساخرا منه ومعبرا عن عدم احترامه له(6) .
(1) ابن الجوزي ، أخبار الظراف والمتماجنين ، ص126 .
(2) المصدر نفسه ، ص ص126-127 .
(3) هو خالد بن أبي الهياج ، يعد أول من كتب المصاحف في العصر الأموي ، كان يوصف بحسن الخط ، استعمله الخليفة الوليد بن عبد الملك لكتابة الأخبار والشعر والمصاحف . (ابن النديم ، الفهرست ، ص6 ؛ محمود عباد الجبوري ، خط وتذهيب وزخرفة القرآن الكريم حتى عصر ابن البواب ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الادآب ، 1991م، ص104) .
(4) ابن النديم ، الفهرست ، ص6 .
(5) بدران ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج6، ص279 .
(6) مجهول ، العيون والحدائق ، ج3، ص103 . وفي رواية أن القصة كانت في أحد مجالس الخليفة الوليد بن يزيد . ينظر :(الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ،ج1، ص33 ؛ الزمخشري ، ربيع الأبرار ، ج1، ص ص636- 637).
2- الحديث :
أبدى الخلفاء الأمويون اهتماما كبيرا بالحديث النبوي الشريف ، إذ كانوا يستقبلون المحدثين في مجالسهم ويتداولون معهم في نصوصه ، فمن ذلك أن الخليفة معاوية سأل زيداً بن ثابت الأنصاري (ت45هـ) يوما عن حديث سمعه من رسول الله ، فلما أخذ يحدث به أمر معاوية أحد كتّابه أن

يكتب ما يقول،إلا أن زيداً عارض ذلك ، مبينا أن الرسول أمر أن لا يكتب شيءٌ من حديث فأمر بمحوه(1) .
ويجدرُ بالذكر أن الخليفة معاوية يُعد واحدا من رواة الحديث النبوي(2) ، لذا كان يحدث جلساءه ببعض الأحاديث في المواضع التي يراها مناسبة ، فمن ذلك أنه لما أغضبه أحد جلسائه ، قام عن المجلس، ثم رجع إليه وقال لجلسائه :((فإني سمعت رسول الله ، يقول : إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تُطفَأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ(3) . وإني دخلت فاغتسلت))(4) .
واهتمت مجالس الخليفة معاوية كذلك بتمييز الأحاديث الصحيحة من الأحاديث الموضوعة ، ففي أحد المجالس تحدث رجل من جهينة فتلعثم فضحك الحاضرون ، فقام أحد الجالسين فقال للجهني: ((تحدث يا أخي فأني سمعت رسول الله يقول : جهينة مني وأنا منهم من آذى جهينة فقد آذاني ومن آذاني فقد أذى الله ، فغضب معاوية وقال : كذبت إنما قال هذا لقريش))(5) .

(1) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ،ج1، ص63 .

(2) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، التاريخ الكبير ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ،بلا ت) ، مج7، ص328 ؛ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير ، أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : محمد إبراهيم البنا وآخرين ، دار الشعب، (القاهرة ، بلا ت) ، ج5، ص212 ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج3، ص233 .

(3) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، سنن أبي داود ، تحقيق : محمد عبد العزيز الخالدي ،ط1، دار الكتب العلمية ،(بيروت ، بلا ت) ، ص،753 ، حديث رقم : 4784 ؛ الغزالي ، مقامات العلماء ، ص ص213-214 .

(4) الغزالي ، مقامات العلماء ، ص214 .

(5) الآمدي ، المؤتلف والمختلف ، ص 60

وكانت مجالس الخليفة عبد الملك بن مروان عبارة عن حلقات علم يحضرها كبار المحدثين فيستمع إليهم ويذاكرهم في بعض الأحاديث ، فقد كان عبد الملك يعد أحد رواة الحديث لروايته له عن عدد من الصحابة(1) .
وكانت مجالس الخليفة الوليد بن عبد الملك حافلة بالمحدثين ، فقد كان الوليد يستقبل المحدثين ويستمع إليهم(2) ، ويناقشهم في صحة بعض الأحاديث ، ففي أحد مجالسه بحث مع محمد بن شهاب الزهري (ت 124هـ) قضيةَ صحةِ حديث سمعه من أهل الشام مفاده ((أن الله إذا استرعى عبدا كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات))(3) ، إلا أن الزهري بين له عدم صحة هذا الحديث مستدلا بقوله تعالى : {يا داوُد إنَّا جَعلْنْاكَ خَلِيفَةً في الأرض فاحْكُم بَينَ النَّاس بالْحَقِّ ولا تَتبَّع الهوَى فَيُضَّلكَ عن سَبيلِ اللهِ، إنَّ الذَّينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عذَاَبٌ شَديدٌ بما نَسُواْ يَومَ الحسابِ} (4) ، مبينا له أن هذا وعيد لنبي، فكيف بخليفة غير نبي ، فقال الوليد ((إن الناس ليغروننا في ديننا)) (5) . ويبدو أن هذا الحديث المزعوم وضعهُ بعض المتزلفين للخلفاء الأمويين من أهل الشام ، متناسين أنه يخالف نص القرآن الكريم الذي استشهدَ بهِ الإمام الزهري .
أما مجالس الخليفة سليمان بن عبد الملك فكانت هي الأخرى عامرة برجال الحديث ، فكان يناقشهم بخصوص بعض الأحاديث ويُذاكرهم فيها ، فمن أمثلة ذلك أنه طلب من أبي بردة بن أبي موسى

الأشعري (ت 104هـ) أن يحدثه بأحاديث فيها رخصة ، فحدثه بعدة أحاديث سمعها عن رسول الله (6) .

(1) ابن سعد ، الطبقات ،ج5، ص234 ؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، كتاب القصّاص والمذكّرين ، عني بنشره وتحقيقه : الدكتور مارلين سوارتز ، دار المشرق ، (بيروت ، بلا ت) ، ص98 ؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ،ج3، ص513 .

(2) ملكة أبيض، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة بالاستناد إلى مخطوط تاريخ دمشق لابن عساكر ،ط1، دار العلم للملايين ، (بيروت ، 1980م)، ص125.

(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد،ج1، ص45 ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج6، ص ص10-11 . وفي رواية أنه كان الخليفة يزيد بن عبد الملك . (العصامي ، سمط النجوم ، ج3، ص 209) .

(4) سورة ص ، الآية 26 .

(5) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج1، ص45 ؛ الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص67 .

(6) أسلم بن سهل بن الرزاز الواسطي المعروف ببحشل ، تاريخ واسط ، تحقيق : كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، 1967م)، ص142 .

وفي مجلس آخر له طلب من طاووس اليماني أن يحدثه ، بعدد من الأحاديث فحدثه بعدة أحاديث سمعها من عدد من الصحابة كعلي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري (رضي الله عنهما)(1) .

وكانت مجالس الخليفة عمر بن عبد العزيز تضم الكثير من المحدثين والعلماء ،حيث كان يذاكرهم في عدد من الأحاديث ،ويطلب منهم أن يحدثونه بها ،ففي أحد مجالسه طلب من محمد بن كعب القرظي(ت 108هـ) أن يحدثه بحديث سمعه من عبد الله بن عباس فحدثه بذلك الحديث(2) .

ولما حضر ابن بلال بن رباح مؤذن رسول الله إلى مجلس عمر بن عبد العزيز طلب منه أن يحدثه عن أحاديث سمعها من أبيه ، فاختار له رواية الحديث المتعلق باحتجاب من يلي أمور المسلمين عنهم ، وسوء عاقبته ، بأن أباه حدثه أنه سمع رسول الله يقول ((من ولي من أمور المسلمين شيئاً فأحتجب عنهم حجب الله عز وجل عنه أبواب رحمته يوم القيامة))(3) ، عندها عزل الخليفة عمر حاجبه وألغى هذه الوظيفة طوال مدة خلافته ، بحيث لم يُر له حاجب على بابه(4) .

ولم تخلُ مجالس الخليفة هشام بن عبد الملك من كبار المحدثين والعلماء ، كالزهري الذي تحدث في أحد تلك المجالس بحديث ((لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين))(5) .

وكان مجلس الخليفة الوليد بن يزيد يضم أحيانا بعض المحدثين كعباد بن عبد الصمد(6)، الذي كان يروي الحديث أمام الخليفة فيكرمه ويجيزه(7)، مما يدل على أن الخلفاء الأمويين كانوا جميعا يهتمون بالحديث الشريف في مجالسهم ، لأهميته في حياة المسلمين إلى جانب اهتمامهم بالقرآن الكريم وعلومه .

(1) الأصفهاني ، حلية الأولياء ،ج4، ص15 ؛ ابن الجوزي ، المصباح المضيء ،ج2، ص ص53-55 .

(2) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز،ص ص52-54؛ الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2، ص ص34-35 .

(3) أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني ، الآحاد والمثاني ، تحقيق : باسم فيصل أحمد الجوابره ،ط1، دار الراية ، (الرياض ،1991م) ،ج3، ص331، حديث رقم : 2879 .

(4) الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ،ج1، ص205 ؛ الأبشيهي ، المستطرف ،ج1، ص116.
(5) البخاري ، الصحيح ، ص1099 ، حديث رقم : 6133؛ العسكري ، جمهرة الأمثال ،ج2، ص387 .
(6) هو عباد بن عبد الصمد التميمي البصري ، أبو معمر ، اصله من البصرة ، تابعي ، روى عن عدد من الصحابة . (المالكي ، رياض النفوس ، ص ص87-88) .
(7) المصدر نفسه ، ص89 .

3- الفقه (1):

كانت مجالس الخلفاء الأمويين بمثابة ندوات علمية يحضرها كبار الفقهاء وأهل العلم ، وتتم فيها مناقشة الكثير من المسائل الفقهية ، فقد كان الخليفة معاوية يعد من فقهاء الصحابة(2) ، ولأهمية الفقه عنده ، كان يسأل جلساءه عن مشاهير فقهاء الأمصار ، ففي مجلس له سألهم عن أفقه أهل المدينة ، فاخبروه بأن أفقه أهلها عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)(3).

كما كانت مجالس الخليفة عبد الملك بن مروان تضم الكثير من الفقهاء ، إذ كان يناقشهم ويبحث معهم في بعض من المسائل الفقهية ، التي تحتاج إلى حكم شرعي ، فمن ذلك إحضاره لمحمد بن شهاب الزهري وسؤاله عن حكم ميراث أمهات الولد ، فاخبره بحكمها ، عندها أمر عبد الملك أن يعمم ذلك الحكم على جميع أنحاء الدولة الإسلامية(4) .

وأحيانا كان عبد الملك يراجع جلساءه من عامة الناس في بعض المسائل الفقهية ، فيُذكر أن رجلا حضر إلى مجلسه يطلب مساعدته ، لزواجه من امرأة وزواج ابنه من أمها ، إلا أن عبد الملك اشترط على مساعدته أن يخبره ما قرابة أولادهما إذا ولدتا(5) ، غير أن الرجل طلب من عبد الملك أن يحيل السؤال إلى حاجبه ، فإن أجاب الحاجب ، تنازل هو عن المساعدة ، واستحق الحرمان ، ويعد معذورا إذا لم يجب الحاجب ، ولما وجه عبد الملك السؤال للحاجب أجابه بأن أحدهما عمٌ للآخر والأخر خالٌ له(6) .

(1) الفقه : لغة الفهم ، واصطلاحا هو العلم الذي يكون لصاحبه القدرة على استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية لحل مشاكل الناس الدينية والدنيوية . (ابن عبد البر، جامع بيان العلم ،ج2، ص ص45-46 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ،ج2، ص1119؛ صالح ، النظم الإسلامية ، ص205) .
(2) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج59، ص213؛ ابن الأثير ، أُسد الغابة ،ج5، ص210.
(3) المبرد ، الفاضل ، ص29 .
(4) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج9، ص360؛ حارث سليمان الضاري ، الإمام الزهري وأثره في السنة ، مطابع جامعة الموصل ، (الموصل، 1985م)، ص249 .
(5) الزمخشري ، ربيع الأبرار ،ج1، ص684 .
(6) المصدر نفسه ، ج1، ص684 .

وكان الخليفة عبد الملك يعد من الفقهاء(1) ، ويوضح لجلسائه أحيانا بعض المسائل الفقهية ، ففي أحد مجالسه سأل عبد الملك عمر بن عبد العزيز عن كيفية نفقته على عياله ، فقال عمر : ((حسنة

بين سيئتين))(2) ، فقال عبد الملك لجلسائه أخذ هذه من قوله تعالى : {والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما} (3).
أما مجالس الخليفة سليمان بن عبد الملك فقد تناولت هي الأخرى الخوض في بعض المسائل الفقهية، فقد سأل سليمان عمر بن عبد العزيز إن كان بإمكان الإنسان المؤمن أن لا يألم في حال نزول المصيبة فيه ، فبين له عمر أنه لا يمكن أن يستوي عند الإنسان ما يحب وما يكره ، ولن تكون السراء والضراء لديه متساوية ، ولكن عزاء المؤمن الصبر(4) .
وفي مجلس آخر بحث الخليفة سليمان مع أبى حازم الأعرج(5) مسألة الطاعة لأولي الأمر ، مبينا له أن طاعة ولاة الأمر واجبة ، استنادا إلى قوله تعالى :{وأولي الأمر منكم} (6) ، إلا إن أبا حازم بين له أنه بالإمكان عدم طاعة ولاة الأمر ، إذا ما خالفوا كتاب الله وسنة نبيه ، وساروا على غير نهج الإسلام(7)، استنادا إلى قوله تعالى {فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول} (8) .

(1) **ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج37، ص120 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج9، ص99 .**
(2) **الآبي ، نثر الدر ، ج2، ص117 .**
(3) **سورة الفرقان : الآية 67 ؛ ينظر : الآبي ، نثر الدر ،ج2، ص117 .**
(4) **المدائني ، التعازي ، ص37 .**
(5) **أبو حازم سلمة بن دينار المخزومي ، الأعرج القاص الواعظ والزاهد الفقيه ، كان ثقة كثيرة الحديث ، توفي سنة 140هـ . (الذهبي ، تذكرة الحفاظ ،ج1، ص ص133-134 ؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ،ج2، ص373).**
(6) **سورة النساء : جزء من الآية 59 .**
(7) **ابن الأزرق ، بدائع السلك ،ج1، ص78 .**
(8) **سورة النساء : جزء من الآية 59 .**

وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يعد من فقهاء التابعين ، وكان الفقهاء يعدون أنفسهم تلاميذ عنده، فقد كانت مجالسه تضم كبار الفقهاء والعلماء(1) ، وكان كثيرا ما يحاورهم في المسائل الفقهية الملحة، ففي أحد تلك المجالس اشتكى الخليفة عمر من انتفاخ بطنه لأكله العدس والحمص ، فقال له أحد الحاضرين : ((يا أمير المؤمنين إن الله يقول في كتابه : {كلوا من طيبات ما رزقناكم} (2) ، فقال عمر: هيهات ذهبت به إلى غير مذهبه ، إنما يريد به طيب الكسب ولا يريد به طيب الطعام)) (3) .

(1) **ابن سعد ، الطبقات ،ج5، ص395 ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ،ج45، ص148 ؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ،ج4، ص299 .**
(2) **سورة طه ، جزء من الآية 81 .**
(3) **ابن سعد ، الطبقات ، ج5، ص367 .**

العلوم اللغوية

أبدى الخلفاء الأمويون حرصا شديدا على نقاء اللغة العربية وصفائها ، والمحافظة عليها من كل دخيل ، عن طريق محاربة اللحن(1) ، والاهتمام بسلامة التعبير وبلاغة القول ،إذ شهدت مجالسهم الكثير من الأحاديث والمحاورات التي تركزت حول هذه الجوانب ، ففي مجلس للخليفة معاوية

وبحضور عمرو بن العاص تحاور الحضور في موضوع البلاغة والبلغاء ، ومن هو أبلغ الناس ، فبين عمرو أن أبلغ الناس من ((ترك الفضول واقتصر على الإيجاز)) (2) .
وفي مجلس آخر تحاور معاوية مع صحار العبدي(3) في الموضوع نفسه طالبا منه أن يحدد له مفهوم البلاغة ، قائلا : ((ما البلاغة ؟ قال : أن تقول فلا تخطئ وتسرع ولا تبطئ))(4) . إن بحث الخليفة معاوية موضوع البلاغة مع صحار العبدي ، ربما يعود إلى ما حظي به هو وقومه من شهرة في الفصاحة والبلاغة(5) .

(1) اللحن: لحن يلحن لحنا ، واللحن في الكلام ، هو الخطأ في الإعراب .(ابن منظور ، لسان العرب،ج3، ص353) .

(2) الوشاء ، الفاضل ،ج1، ص38 ؛ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ، نصيحة الملوك، تحقيق : محمد جاسم الحديثي ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، بلا ت) ، ص553 ؛ ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، ص615 ؛ ابن منقذ ،لباب الآداب ، ص336 .

(3) هو صحار بن العباس بن شراحبيل بن منقذ العبدي ، يقال له صحبه ، كان من النسابين والخطباء المعروفين .(ابن حبيب ، المحبر ، ص294؛ ابن النديم ، الفهرست ،ص90 ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ،ج3، ص201).

(4) العسكري ، الصناعتين ، ص42 ؛ ينظر : الشريف المرتضى ، أمالي المرتضى ، ج1، ص273 ؛ ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، ص72 .

(5) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج3، ص201 ؛ شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي ، ط3، دار المعارف ، (مصر ، 1963م) ، ص429 .

وكان الخليفة معاوية يناقش جلساءه في بعض المسائل اللغوية ، ويراجعهم بخصوص لهجات القبائل ، ففي مجلس له سأل جلساءه عن أفصح الناس ، فقال له أحد الحاضرين: ((قوم ارتفعوا عن لخلخانية(1) الفرات وتيامنوا عن عنعنة(2) تميم وتياسروا عن كسكسة(3) بكر ، ليست غمغمة(4) قضاعة ولا طمطمانية(5) حمير قال من هم ؟ قال : قريش...))(6) .
إن تناول الخليفة معاوية لموضوع الفصاحة في مجلسه ، ربما لانتشار ظاهرة اللحن بين الناس بعد اختلاط العرب بالأعاجم ، وعدم اهتمامهم بفصاحة كلامهم ، لذا فهي بمثابة دعوة لجلسائه أن يهتموا بأفصح لهجات العرب وهي لهجة قريش(7) .
وشهدت مجالس الخليفة عبد الملك بن مروان الأحاديث والمحاورات التي كانت تدعو إلى الاهتمام باللغة وعلومها والمحافظة على فصاحة القول وسلامة التعبير ، ففي أحد المجالس تذاكر الخليفة مع جلسائه في مسألة الفصاحة وسلامة الألفاظ ، إذ سألهم قائلا : ((أي الآداب أغلب على الناس ؟))(8) ، فتكلم الحاضرون وأكثروا ، إلا أن عبد الملك بين أن أهم ما يحتاج إليه الناس هو فصاحة كلامهم وتقويم ألسنتهم التي بها يحاور بعضهم بعضا ، ويستخرجون العلوم من مخابئها ويجمعون ما تفرق منها وأن حاجة الناس إلى ذلك كحاجتهم إلى الغذاء(9) .

(1) الخلخانية : العجمة في المنطق . (ابن منظور ، لسان العرب ، ج3 ، ص356).

(2) العنعنة : قولهم في موضع ان : عن ، (المصدر نفسه ،ج2، ص910) .

(3) الكسكسة : وهي إبدال الكاف سينا .(المبرد ، الكامل ،ج2، ص223) .

(4) الغمغمة : كلام غير واضح .(ابن منظور ، لسان العرب ،ج2، ص120) .

(5) الطمطمانية : الألفاظ المنكرة بكلام العجم . (المصدر نفسه ،ج2، ص616) .

(6) الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج3، ص ص213-214 ؛ ينظر : المبرد ، الكامل ، ج2، ص233؛ القاسم بن علي الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، (القاهرة ، 1977م)، ص151 .
(7) جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن أبو بكر بن محمد السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ضبطه وصححه وضبط حواشيه : فؤاد علي منصور ،ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت ،1998م) ، ج1، ص166؛ غوستاف لوبون، حضارة العرب ، ترجمه : عادل زعيتر ،ط3، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ،1979م)، ص531 .
(8) التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ،ج2، ص144 .
(9) المصدر نفسه ،ج2، ص144 ؛ ابن منقذ ، لباب الآداب ، ص ص228-229 .

كما تطرقت مجالس الخليفة عبد الملك إلى موضوع اللحن ، واستهجان صاحبه فيها ، فيذكر أنه لما اشتكى عبد الله بن يزيد بن معاوية لأخيه خالد بن يزيد من سوء تصرف الوليد بن عبد الملك تجاهه(1) ، حضر خالد بن يزيد إلى مجلس عبد الملك وأخبره بتصرف ابنه الوليد ، وبعد نقاش بينهما قال عبد الملك معرضا بعبد الله بن يزيد، ((تكلمني فيه وهو لحان وقد أعياكم تقويم لسانه ، فقال خالد : أعيانا منه ما أعياك من الوليد ، فقال عبد الملك : إن يكن لحانا فأخوه سليمان فصيح ، قال خالد : وإن يكن عبد الله لحانا فأخوه خالد غير لحان))(2) .
والظاهر أن مسألة لحن الوليد من المسائل التي أقلقت عبد الملك ، ودفعته إلى بحث الأمر معه ، مبينا له أنه إن استمر على هذه الحال فإنه لا يصلح أن يتولى أمور المسلمين ، لذا أوكل به من يعلمه الفصاحة(3) ، فقد كان عبد الملك يرى أن سبب لحن الوليد يعود إلى عدم إرساله إلى البادية وبعده عنها(4) .
وكان عبد الملك يحذر جلساءه عامة وأبناءه خاصة من اللحن ، ففي أحد مجالسه بين لأبنائه أن اللحن في الكلام أقبح من الفتق في الثوب النفيس ، وأقبح من آثار الجدري في الوجه(5) ، وكان يرى أن اللحن مأخذ على الشريف والإعراب جمال للوضيع(6) ، كما كان يحض في مجالسه على تعلم النحو ، ويرى أن إتقانه أمر لابد منه، ويجب العناية به ، إذ قال لجلسائه يوما : ((تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض))(7) .

(1) العسكري ، الصناعتين ، ص ص205-206؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج2، ص225 .
(2) البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج4-ق2، ص68 ؛ العسكري ، الصناعتين ، ص206؛ الآبي ، نثر الدر ، ج3، ص35 .
(3) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج3، ص167؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4، ص293؛ أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت ،1958م)، ص ص113-114؛ كرد علي ، أمراء البيان ،ج1، ص19.
(4) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص276 .
(5) الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2، ص216؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص275.
(6) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج2، ص276 .
(7) المصدر نفسه ، ج2 ، ص276 .

إن اهتمام الخليفة عبد الملك بسلامة اللغة والدعوة إلى معرفة علومها، واستهجان اللحن وبحث أمره في مجالسه ، هو لتفشي ظاهرة اللحن بسبب كثرة دخول الأعاجم إلى أرض العرب فضلا عن خشية عبد الملك العميقة من انتشارها في المجتمع العربي (1) .

وانسجاما مع هذا الاتجاه فقد كان عبد الملك يراجع جلساءه بخصوص الخطباء ، وكان يسألهم عن أخطب الناس لما للخطباء من أثر كبير في المحافظة على اللغة وفصاحة الكلام(2) .

أما مجالس الخليفة الوليد بن عبد الملك فقد شهدت كذلك الكثير من الأحاديث والمناقشات التي تركزت حول لحن الخليفة الوليد نفسه ، ومحاولة جلسائه تصحيح بعض ألفاظه ،والعمل على تلافي نتائجها ، ففي أحد المجالس قام سليمان بن عبد الملك بتصحيح بعض ألفاظ الخليفة الوليد عند حديثه مع أعرابي يشكو صهرا له(3) ، وفي مجلس آخر لفت عمر بن عبد العزيز انتباه الخليفة الوليد إلى خطأ وقع فيه أثناء حديثه مع أحد جلسائه(4) .

وعلى الرغم مما قيل عن الخليفة الوليد ولحنه ، إلا أن هناك بعض المصادر التي تشير إلى أنه كان يعد من خطباء بني أمية ، الأمر الذي يظهر أن هناك تناقضا في الروايات حول قدراته الأدبية واللغوية(5) .

كما استمرت مجالس الخليفة سليمان بالقدر نفسه من الاهتمام بالفصاحة ونبذ اللحن والتي أظهر فيها سليمان حرصا على اللغة وسلامة مفرداتها ، ففي أحد المجالس جاءه رجل يشتكي أخا له اغتصب ماله فلحن في كلامه ، فعاقبه الخليفة على ذلك بأن أمر به فضرب بالسوط(6) . الأمر الذي يبين مدى كرهه للحن واستهجانه لأصحابه .

(1) شكري فيصل ، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ، نشأتها ، مقوماتها ، تطورها اللغوي والأدبي ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، بلا ت) ، ص273 .

(2) الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج1، ص346؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج4، ص ص122-123 .

(3) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج63، ص167؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ص127 ؛ أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج1، ص199 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي ،ج1، ص ص242-243 .

(4) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج2، ص276 .

(5) الجاحظ، رسائل الجاحظ ، ج4، ص182 ؛ الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج1، ص353 .

(6) بدران ، تهذيب تاريخ دمشق ،ج7، ص6 .

أما الخليفة عمر بن عبد العزيز فقد كان من أشد الناس عداوة للحن ، لذا شهدت مجالسه أحاديث مستفيضة بهذا الشأن عبر فيها لجلسائه عن مدى بغضه للحن وازدرائه لأصحابه ، ففي أحد المجالس وضح لجلسائه أنه لا يعطي الحاجة من يستوجبها للحنه ، ويعطيها لمن لا يستوجبها لفصاحته وحسن تعبيره(1) .

وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يعد اللحن في الكلام أذى للسامع ، ومن طريف ما يُذكر ، أنه حضرا إلى مجلسه رجلان فكانا يلحنان بكلامهما ، فأمرهما الحاجب بالإنصراف قائلا : ((قوما فقد أوذيتما أمير المؤمنين ، فقال عمر : أنت أشد أذى لي منهما))(2) . مما يدل على القدرات المتميزة للخليفة وفصاحته واهتمامه باللغة .

مما تقدم يتضح أن مجالس الخلفاء الأمويين كانت بمثابة حلقات دراسية تدعو إلى الاهتمام باللغة وعلومها كالفصاحة والبلاغة والنحو ، ومحاربة اللحن للمحافظة على لغة العرب لأنها لغة القرآن الكريم ولغة السياسة والإدارة في الدولة .

(1) أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري ، الأضداد في اللغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المطبوعات والنشر ، (الكويت ،1960م) ، ص245 .

(2) الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج3، ص24 .

الجوانب التربوية والأخلاقية

أظهر الخلفاء الأمويون عناية واضحة بجميع أنواع التربية الدينية والخلقية والجسمية ، لما لها من دور في بناء المجتمع وصلاح أفراده ، وتهذيب أخلاقهم ، ونشر الفضيلة بينهم ، وتعليمهم آداب التعامل مع الآخرين ، فقد شهدت مجالسهم الكثير من الأحاديث والمناقشات التي تركزت حول التربية وعلومها ، وضرورة إحاطة المربين والآباء بتلك العلوم ، وطرق تربية الأبناء وكيفية معاملتهم ، وطبيعة العلاقة معهم ، فقد تطرق الخليفة معاوية بن أبى سفيان في أحد مجالسه مع الأحنف بن قيس إلى موضوع تربية الأولاد وأسلوب التعامل معهم ، فبين له الأحنف الأسس العريضة التي تقوم عليها العلاقة الطبيعية بين الأب وأبنائه ، والتي تقوم على ضرورة استجابة الأب لطلبات أبنائه ، وإرضائه لهم ، وعدم إهمالهم عند غضبهم ، الأمر الذي يدفعهم إلى حبه، وأن يحذرَ من الإثقال عليهم فيملوا حياته ويتمنوا موته(1) .

وفي مجلس آخر بحث معاوية مع ابنه يزيد الطريقة المثلى التي يجب أن يعامل بها الآخرين ، والتي تقوم على تجنب المعاملة العنيفة كالشتم والضرب ، قائلا : ((يا بني لا تفسد الحر إفسادا لا تصلحه أبدا ، قال : بماذا ؟ قال : لا تشتمن له عرضا ولا تضربن له ظهرا ، فان الحر لا يرى في الدنيا عوضا من هذين ولكن خذ ماله ، ومتى شئت أن تصلحه فمال بمال))(2) .

ولما رأى الخليفة معاوية ابنه يزيد يضرب غلاما له ، أنكر عليه هذا التصرف ، الذي يسيءُ إلى فضيلة العفو في وضع القدرة في غير موضعها ، لأن أحسن العفو عند المقدرة(3) .

إن توجيه الخليفة معاوية ابنه يزيد بمثل هذه المسائل التربوية ، ربما كان يمثل جزءً من عملية إعداده لتولي الخلافة ، لأن تعامله مع الأفراد يمثل إنموذجاً لتعامله مع الرعية(4) .

(1) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص243؛ القالي ، الأمالي ،ج2، ص41 .

(2) الآبي ، نثر الدر ، ج3، ص14 .

(3) المصدر نفسه،ج3، ص41؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج8، ص230 .

(4) الهديب ، صورة يزيد بن معاوية في الروايات الأدبية ، ص33 .

وكان الخليفة معاوية يراجع جلساءه في القيم والمعاني التربوية و الأخلاقية ، التي يعتز بها الإنسان المسلم كالمروءة والحلم والجود والنجدة ، لما لها من آثار في تنشئة الأجيال وتربيتها ، فقد كان يبين لجلسائه مفاهيم بعض تلك القيم ، ففي أحد مجالسه سأله جلساءه عن المروءة ، فعرفها بقوله : ((احتمال الجريرة وإصلاح العشيرة ، فقيل له ما النبل ؟ فقال : الحلم عند الغضب والعفو عند المقدرة))(1) .

وفي مجلس آخر تذاكر معاوية مع الحسن بن علي (رضي الله عنهما) في صفات الكرم والنجدة والمروءة ، فبين الحسن أن الكرم يمثل العطاء قبل السؤال ، والإطعام في وقت الأزمات ، أما

النجدة فهي الدفاع عن الجار والإقدام وقت الشدائد ، وأما المروءة فمحافظة الرجل على دينه وإكرامه لضيفه وأداء الحقوق لأصحابها ، والسلام على من تعرف ومن لا تعرف (2) .
وفي مجلس له حاور معاوية جلساءه في قيم الجود والنجدة والمروءة ، وطلب منهم تحديد مفاهيمها(3).
وفي مجلس آخر بحث الخليفة معاوية مسألة المروءة مع جلسائه ، طالبا منهم أن يحددوا له مفهومها حسب رؤيتهم ، قائلا : ((ما تعدون المروءة ؟ قالوا : العفاف وإصلاح المعيشة ، قال : اسمع يا يزيد))(4) ، والظاهر أن معاوية أراد بذلك أن يسمع ولده رأي الناس في ما تعني المروءة التي عليه أن يتحلى بها .
إن تناول مجالس الخليفة معاوية لهذه القيم والمعاني التربوية الأخلاقية يعكس رؤية تربوية واضحة، تدعو إلى الاهتمام بتلك المفاهيم ، لدورها في بناء الفرد وإصلاح المجتمع .
وتطرقت مجالس الخليفة معاوية كذلك إلى مسائل تربوية ، تتعلق بسلوك الإنسان وتصرفاته ، إذ كان يرى أن من واجبات المسؤول أن يتولى فهم عقلية الرعية مثلما يتولى أمورهم ، فمن ذلك أن الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث وقفا بباب الخليفة معاوية ، فـأذن للأحنف ثم أذن لمحمد بن الأشعث ، فأسرع

(1) **المبرد ، الكامل ، ج1، ص**47 .
(2) **الغزالي ، مقامات العلماء ، ص ص**219-220 .
(3) **المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص**23؛ **ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، ص ص**641-642 .
(4) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص**130 .

الأخير في مشيته حتى دخل قبل الأحنف(1) ، فلما رأى معاوية منه ذلك استنكر هذا التصرف ، وقال له : ((لقد أحسست في نفسك ذلاً ، إني لم آذن له قبلك إلا ليكون إليَّ في المجلس دونك ، وإنا كما نملك أموركم كذلك نملك تأديبكم ، فأريدوا ما يراد بكم ، فانه أبقى لنعمتكم وأحسن لأدبكم)) (2) .
ومن القضايا التربوية التي دعا الخليفة معاوية جلساءه إلى الانتباه لها مسألة آداب الطعام وقواعد تناوله ، فقد كان يدعو إلى الالتزام بالآداب الإسلامية في هذا الجانب ، وأن عليهم أن يأكلوا مما يليهم ، فمن ذلك أن أعرابيا أكل مع معاوية ، فجرف ما بين يديه من طعام ، ثم مد يده في الإناء بمختلف الاتجاهات ، الأمر الذي استنكره معاوية ، وعده خارجا عن أصول وقواعد التربية في هذا الجانب(3) وكذلك لما أكل صعصعة بن صوحان مع معاوية وتناول الطعام من بين يديه انتقده معاوية على هذا التصرف(4) .
كما كان الخليفة معاوية يسأل جلساءه في الجوانب التربوية التي من خلالها يتبوأ المرء موقع السيادة في قومه ، ففي أحد مجالسه سأل معاوية عرابة الأوسي(5) ، قائلا :((بم سدت قومك؟ فقال : أعطيت في نائبتهم ، وحلمت عن سفيههم ، وشددت على يدي حليمهم))(6) .
وفي مجلس آخر بحث الخليفة معاوية مع الأحنف بن قيس أهم أسس وعناصر الآداب التي تمكن فتيان تميم من امتلاك مؤهلات السيادة في قومهم ، فبين له الأحنف ، أن أهم تلك العناصر هي ،التقوى وإطاعة الوالدين وإصلاح المال ، والمروءة ، وإكرام الضيف ، وإرضاء الجار(7) .

(1) **الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2، ص**156؛ **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص**290 .

(2) الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2، ص156؛ ينظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص290 .
(3) التوحيدي ، البصائر والدخائر ، ص ص193-194 ؛ الآبي ، نثر الدر ،ج2، ص169 .
(4) الجاحظ ، البخلاء ، ص137 ؛ الميداني ، مجمع الأمثال ،ج3، ص349 .
(5) هو عرابة بن أوس بن قيظي بن عمرو بن زيد الأوسي الأنصاري ، صحابي ، كان من المشهورين بالجود والكرم . (أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي ، تهذيب الأسماء واللغات ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله : شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية ، (مصر ، بلا ت) ،ج1، ص ص329-330 ؛ ابن حجر ، الإصابة ،ج2، ص473).
(6) المبرد ، الكامل ،ج1، ص128 ؛ أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، برد الأكباد في الأعداد ،ط2، دار الكتب العلمية ، (النجف الأشرف ، بلا ت) ، ص ص116-117 .
(7) الزجاجي ، أمالي الزجاجي ، ص207 .

وكان الوعظ الديني يمثل ركنا أساسيا في العملية التربوية لمجالس الخلفاء الأمويون ، لدوره في الدعوة إلى التزام مبادئ العدل والإنصاف والتذكير بالموت والآخرة ، وانعكاساتها على تصرفات الإنسان وسلوكه مع الآخرين ، فمجالس الخليفة معاوية شهدت حضور عدد من العلماء والوعاظ الذين كانوا يقدّمون المواعظ والتي هدفها المصلحة العامة ، بالدعوة إلى التقوى والعمل الصالح لأن الدنيا ليست بدار قرار(1) .

وفي مجلس له تحاور الخليفة معاوية مع دغفل النسابة(2) بالقواعد والأسس التربوية التي من خلالها يكون الإنسان غزير العلم والمعرفة ، فبين له دغفل أن ذلك يكون بلسان يسأل وقلب يحفظ ويعقل ، إلا أنه لفت انتباه الحاضرين إلى بعض المشاكل التي تواجه تلك العملية وحذر منها كالنسيان ، وأنهُ إن تحدث بالعلم غيرُ أهله فسيضيع ، وأنَّ صاحِبَهُ منهومٌ لا يشبع ، والكذب فيه يعد أحد المشاكل التي تواجه العمليةَ التربوية(3) .

وفي أحد مجالسه حدد الخليفة يزيد بن معاوية مفهوم الجود باعتباره أحد القيم التربوية التي يعتز بها الإنسان ويربي عليها أبناءه ، فقال إنه :((إعطاء المال من لا تعرف ، فانه لا يصير إليه حتى يتخطى من تعرف))(4) . إن قراءةً لمفهوم الجود عند الخليفة يزيد تبين اهتمامه بالجوانب التربوية في تعامله مع الآخرين .

(1) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ،ج2، ص ص38-39 .
(2) هو دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبده السدوسي وقيل اسمه حجر ودغفل لقب يقال له صبحة وقيل أدرك النبي ولم يسمع منه ، وهو النسابة والأخباري المشهور ، توفي سنة (70هـ/689م) . (ابن النديم ، الفهرست ، ص101، ابن عبد البر ، الاستيعاب ،ج1، ص ص477-478؛ ابن حجر ، الإصابة ،ج3، ص475).
(3) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ،ج1، ص89 ؛ الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب ، ج1، ص ص252-253؛ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ،ط1، مطبعة السعادة ، (القاهرة ، 1963م) ، ص10 .
(4) المبرد ، الكامل ،ج2، ص168 .

أما مجالس الخليفة عبد الملك فلم تكن تقل شأنا في تناولها للأمور التربوية ، إذ احتل موضوع تربية الأبناء الصدارة في المناقشات التي كان يجريها الخليفة عبد الملك في تلك المجالس ، منها مثلا أنه ناقش مؤدب أبنائه في مختلف أنواع التربية ، الخلقية والسلوكية والجسمية ، إذ طلب منه التركيز على الصفات والأخلاق الحميدة كالصدق ، وتجنيبهم مخالطة من لا يتحلى بالأدب وحسن الخلق ، لما للمخالطة من آثار في العملية التربوية(1) ، كما دعاه إلى الاهتمام بالتربية الجسمية ، بإطعامهم اللحم لتقوية أجسامهم ، والاهتمام بنظافة أسنانهم والاهتمام بسلوكهم وتصرفاتهم أثناء الطعام والشراب ، والاهتمام بالتربية العقلية عن طريق تعليمهم القرآن والشعر ، على أن لا يضربهم إلا في حالات الضرورة ويكون ذلك سرا ، حتى لا يهونوا على الآخرين(2) .

ومما يدلل على اهتمام الخليفة عبد الملك بقضايا التربية ، أنه استمع إلى رأي أحد الخوارج ، ممن حضروا إلى مجلسه ليحاسب على خروجه إذ رأى ذلك الخارجي طفلا لعبد الملك يبكي ، فنصح الخارجي الخليفة بأن يتركه يبكي لأن البكاء يمثل جانبا مهما في تربيته الجسمية والعقلية والصحية والروحية ، قائلا : ((دعه يا عبد الملك ، فان ذلك أرحب لشدقه ، واصح لدماغه ، وأذهب لصوته ، وأحرى ألا تأبى عليه عينه إذا حفزته طاعة الله فاستدعى عبرتها))(3) ، فاطلقه عبد الملك إعجابا بعلمه وعدم انشغاله بما هو فيه من قول ما يعرف في هذا المجال(4) .

وفي مناسبة أخرى تحاور الخليفة عبد الملك مع رجل وجد عنده علماً ، بخصوص الوسيلة التربوية المثلى التي من خلالها استطاع أن يكون بهذا المستوى من العلم ، فأجابه الرجل قائلا : ((لم أمنع قط يا أمير المؤمنين علما أفيده ، ولم احتقر علما أستفيده ، وكنت إذا لقيت الرجل أخذت منه وأعطيته))(5) .

(1) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج2، ص**167 ؛ **الغزالي ، مقامات العلماء ، ص ص**237-238 ؛ **ابن منقذ ، لباب الآداب ، ص**230 .

(2) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج2، ص**167؛ **ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ،ج**37 ، **ص**148 ؛ **ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج**9 ، **ص**70 .

(3) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج2، ص**116 .

(4) **الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج1، ص**259 ؛ **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج2، ص**116 .

(5) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج2، ص**76 .

كما تطرقت مجالس الخليفة سليمان بن عبد الملك إلى بعض الجوانب التربوية الخاصة بتصرف الإنسان وسلوكه اليومي ، منها آداب تناول الطعام ، فمن ذلك أن أعرابيا جلس على مائدته وكان يتناول الطعام من بين يديه ، الأمر الذي دفع سليمان إلى دعوته الالتزام بتعاليم الإسلام في تناول الطعام(1) .

وكان للوعظ والجوانب التربوية التي يمثلها حضورا واضحا في مجالس الخليفة سليمان، فقد كان يحضرها كبار العلماء والوعاظ ، الذين كانوا يقدّمون المواعظ التي تدعو إلى الالتزام بقواعد الإسلام في التربية، عن طريق التذكير بالموت والآخرة ومدى الاستعداد لهما ، وانعكاسات ذلك على تصرفات الإنسان وسلوكه ، ومن ذلك مواعظ أبي حازم الأعرج(2) وطاووس اليماني(3) .

كما شهدت مجالس الخليفة عمر بن عبد العزيز الكثير من الأحاديث والمحاورات حول بعض القضايا التربوية ، والتي تتمحور حول القيم والأخلاق السامية ، وأسلوب معاملة الآخرين، ففي

أحد المجالس راجع عمر بن عبد العزيز مع مسلمة بن عبد الملك ، بعض القيم التربوية ، مبينا للأخير أن أفضل العفو ما كان بعد المقدرة ، وأن أفضل اللين ما كان بعد التمكين (4) .

(1) **الجاحظ ، البخلاء ، ص136؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج4، ص65 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج2، ص424 .**

(2) **ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة (منسوب له) ،ج2، ص ص105-وما بعدها ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج3، ص ص97-98 ؛ الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص ص52-53 ؛ مجهول ، العيون والحدائق ،ج3، ص34 ؛ ابن الجوزي ، المصباح المضيء ،ج2، ص ص38-53؛ ابن عربي ، محاضرة الأبرار ،ج1، ص ص302-304 .**

(3) **الأصفهاني ، حلية الأولياء ،ج4، ص15 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج9، ص247 ؛ ابن الأزرق ، بدائع السلك ،ج1، ص232 .**

(4) **القالي ،الأمالي ، ج2، ص282 .**

وكانت مجالس عمر بن عبد العزيز عبارة عن حلقات وعظ يحضرها كبار العلماء والوعاظ ، الذين يقدمون المواعظ التي كانت تمثل دروسا تربوية في مختلف الجوانب ، الاجتماعية والأخلاقية والتربية الروحية والنفسية ، فضلا عن دعواتهم إلى الالتزام بمبادئ الحق والإنصاف في التعامل مع الآخرين(1) .

وفي مجلس له حاور الخليفة عمر بن عبد العزيز جلساءه حول قاعدة تربوية مهمة تخص تحصيل العلم ، إذ اتفقوا على أهمية العلم وضرورة التعلم ،وأن على الإنسان إذا لم يستطع أن يكن عالما فليكن متعلما ، وإن لم يستطع فليحب العلم وأهله ، وإذا لم يقدر على ذلك فلا يبغضهم(2) .

(1) **ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص94 ؛ ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج2، ص370 ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد ،ج3، ص ص112-113 ؛ القالي ، الأمالي ،ج2، ص308 ؛ الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص12 .**

(2) **ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ،ج1، ص29**

الجوانب التاريخية وأخبار الماضين

لم يكن عند العرب قبل الإسلام تاريخ مكتوب إلا أخبار يتناولها الرواة شفاها، غير أن اهتمامهم بالتاريخ ازداد بعد ظهور الإسلام ، فأخذوا يهتمون بأخبارهم القديمة ، وتاريخ الإسلام ، وأخبار الأمم الأخر (1) .

وقد أبدى الخلفاء الأمويون عناية كبيرة بمعرفة أخبار العرب وأنسابهم قبل الإسلام ، وأخبار الأمم الأخر للإطلاع على سير ملوكهم والوقوف على تجاربهم للإفادة منها والاعتبار بها(2) ، فقد كانت مجالسهم عبارة عن حلقات لتدارس السير والأخبار والأنساب ومراجعتها، فالخليفة معاوية خصص وقتا ثابتا من كل ليلة يبدأ بعد صلاة العشاء إلى ثلث الليل ، ليستمع فيه من أصحاب الأخبار ، إلى أخبار العرب وأيامها وأخبار العجم وملوكها وسياستها في رعيتها ، وسير ملوك الأمم الأخرى وحروبها ، وغيرها من أخبار الأمم السالفة(3) .

وكان الخليفة معاوية يذاكر جلساءه ممن اشتهروا بمعرفة أخبار الملوك وسيرهم وأنساب القبائل ، فمن ذلك أنه سأل عبيد بن شرية الجرهمي عن تاريخ اليمن وملوك العرب والعجم ،وسبب تنوع الألسنة ، وافتراق الناس في البلاد(4) ، فمن الملوك الذين تم مراجعة سيرهم من قبل معاوية

وعبيد بن الشرية سيرة الملك النعمان بن المنذر الأكبر(5) في رعيته(6) ، وكـــان معاوية قد أمر كتّابه أن يدونوا ما تحدث به ابن

(1) **الدوري ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص18 .**
(2) **جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، مراجعة وتعليق : شوقي ضيف ، مؤسسة دار الهلال ، (القاهرة ، بلا ت) ، ج1، ص226 .**
(3) **المسعودي ، مروج الذهب ، ج3، ص39 ؛ الشيخ عبد الحي الكتاني ، التراتيب الإدارية ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا ت) ،ج2، ص348 .**
(4) **ابن النديم ، الفهرست ، ص102؛ ياقوت ، معجم الأدباء ،ج12، ص78 ؛ أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ط10، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، 1969م)، ص166 .**
(5) **هو النعمان بن المنذر بن إمرئ القيس اللخمي ، من أشهر ملوك الحيرة ، بنى قصر الخورنق ، حكم خمسا وثلاثين سنة . (المسعودي ، مروج الذهب ،ج2، ص105).**
(6) **العبدي ، العفو والاعتذار ،ج2، ص ص462-464 و ص ص527-538 .**

الشرية في كل مجلس، فيُذكر أنه ألف لمعاوية كتاب (الملوك وأخبار الماضين)(1) ، الأمر الذي يبين أن كتابة التاريخ في بلاد الشام بدأت بقرار سياسي من الخليفة(2) .
وفي مجلس آخر تذاكر الخليفة معاوية مع جلسائه من الإخباريين والنسابة سير مشاهير العرب وملوكهم ، فبين لهم معاوية أنه يرغب أن يسمع سيرة حاتم الطائي(3) وماوية بنت عفزر(4) من ملوك العرب(5) .
وكان الخليفة معاوية كثيرا ما يسأل النسابة دغفل بن حنظلة السدوسي عن أخبار العرب وأنسابهم عامة (6) وقريش خاصة ، ففي أحد مجالسه سأله عن تاريخ قريش وأشرافها ، وساداتها(7) مما زاد إعجاب معاوية به لمعلوماته التاريخية عن العرب وأخبارهم حتى قال له : ((أنت والله يا دغفل أعلم الناس قاطبة بأخبار العرب))(8) .

(1) **ابن النديم ، الفهرست ، ص102 ؛السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، دار النهضة العربية ، (بيروت ، 1971م) ، ص698 ؛ كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة : الدكتور عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، (مصر ، 1962م) ، ج1، ص250 .**
(2) **عبد الطيف عبد الرزاق رحيم العاني ، تطور الحركة الفكرية في بلاد الشام من القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مطبوعة بالآلة الكاتبة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 1982م ، ص273 .**
(3) **هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائي ، كان جودا كريما ، يعد من أجاود العرب المشهورين ، وكان شاعرا جيد الشعر . (ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،ج1، ص241 ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، ص391).**
(4) **وهي ماوية بنت عفزر ، كانت ملكة وكانت تلقب بالزباء .(ابن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص416؛ الأصفهاني ، ألاغاني ، ج17، ص ص379-380).**
(5) **ابن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص416 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، ج17، ص ص379-380 .**
(6) **المبرد، الكامل ، ج1، ص168 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج3، ص ص250-251 ؛ أكرم ضياء العمري ، بحوث في تاريخ السنة المشرفة ،ط2، مطبعة الإرشاد ، (بغداد ،**

1972م)، ص174 .
(7) الأصفهاني ، الأغاني ،ج1، ص15 .
(8) القالي ، الأمالي ،ج3، ص26 .
وكان الخليفة معاوية كثيرا ما يراجع جلساءه ويذاكرهم في تاريخ العرب وقبائلهم، ففي أحد مجالسه طلب من أحد الحاضرين أن يخبره عن أعز العرب وأشرافهم وأفصحهم(1) .
وفي مجلس آخر سأل معاوية ليلى الأخيلية (2) عن مضر فبينت له أن قريشا قادتها وسادتها ، وتميم كاهلها وقيس فرسانها وشجعانها(3) .
وسأل الخليفة معاوية النخار العذري عن تاريخ قضاعة ، فبين له الأخير ، أن كلباً ساداتها والقين فرسانها وأسنتها ، وبني عذرة شعراؤها وفتيانها ، وجهينة أحسنها خبرا في الإسلام(4) .
وفي أحد مجالسه تساءل معاوية من صعصعة بن صوحان العبدي عن قبيلة نزار وفروعها ، فأجابه بتفاصيل دقيقة عن رجالها وقادتها ، معددا مآثرها ومفاخرها(5) .
كما سأل الخليفة معاوية عبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان(6) عن تاريخ قومه بني الحارث وأخبارهم ، فاخبره عنهم وعن مفاخرهم(7) .
(1) الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج3، ص9 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج3، ص253 .
(2) هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية وهو الأخيل ، كانت من النساء المتقدمات في الشعر في شعراء الإسلام . (الأصفهاني ، الأغاني ، ج11، ص210 ؛ العاني ، معجم ألقاب الشعراء ، ص15).
(3) ابن حبيب ، المنمق ، ص9 .
(4) القالي ، الأمالي ،ج3، ص70 .
(5) المصدر نفسه،ج2، ص ص226-227 ؛ جاد المولى ، قصص العرب ،ج3، ص ص 122- وما بعدها.
(6) هو عبد الله بن الحجر بن عبد المدان الحارثي ، وفد أبوه عبد الحجر على النبي ، فغير اسمه إلى عبد الله .(ابن حجر ، الإصابة ، ج2، ص338).
(7) القالي ، الأمالي ،ج1، ص159 .
وكان لتاريخ المدن والبلدان نصيبٌ في أحاديث ومناقشات مجالس الخليفة معاوية ، ففي أحد مجالسه سأل معاوية ابن الكواء (1) عن تاريخ الكوفة وأهلها والبصرة وسكانها وتاريخ أهل الحجاز والموصل والجزيرة وأهل الشام ، وما يتصف به سكان كل منها وما يتميزون به عن الآخرين(2) .
وفي مجلس آخر تذاكر الخليفة معاوية مع صعصعة بن صوحان في تاريخ الكوفة والبصرة والحجاز والشام ، إذ أخبره الأخير عن خصائص كل مدينة وطبيعة سكانها(3) .
إن متابعة الخليفة معاوية لتاريخ المدن وسكانها وأحوالها في مجالسه ، ربما ليكون عنده تصور واضح وانطباع حقيقي عن تلك المدن وسكانها ، يأخذه بنظر الاعتبار عند تعامله معهم ويضع سياسته إزاءهم .
وفي مجلس آخر بحث الخليفة معاوية مع جلسائه تاريخ بلاد الشام ، محاولا إضفاء نوعٍ من القدسية عليها ، باعتبارها أرضاً مقدسة لكونها تضم قبور عدد من الأنبياء عليهم السلام(4) .

واهتمت مجالسه بسير خلفاء الإسلام وكبار رجالاته وذكر مفاخرهم ومآثرهم ، ففي أحد المجالس بحث معاوية مع عبد الله بن عباس في سير الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وأهم مميزاتهم وخصائصهم وإنجازاتهم(5) .

(1) هو عبد الله بن عمرو بن النعمان اليشكري ، كان خارجيا كثير المساءلة لعلي بن أبي طالب .(ابن دريد ، الاشتقاق ، ص340 ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص308) .

(2) الجاحظ، البيان والتبيين ،ج2، ص253 ؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص135 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج7، ص242 ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مج1 ، ص334 ؛ كاظم جواد الساعدي ، تاريخ البصرة ، مطبعة القضاء ، (النجف ، 1959م)، ج1، ص ص 119-120 .

(3) المسعودي ، مروج الذهب ، ج3، ص48 .

(4) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص115 .

(5) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ص69-73 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص ص55-57 ،العصامي، سمط النجوم ، ج3، ص ص17-18 .

وفي مجلس آخر سأل معاوية صعصعة بن صوحان عن سيرة الخليفة عمر بن الخطاب ، فقال صعصعة : ((كان عالما برعيته ، عادلا في قضيته ، عاريا من الكبر ، قبولا للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحريا للصواب ، رفيقا بالضعيف ، غير محاب للقريب ولا جاف للغريب))(1) .

وكثيرا ما كان الخليفة معاوية يسأل جلساءه ويذاكرهم في سيرة الخليفة علي ابن أبى طالب ، خاصة مع من صحبه منهم ، ففي أحد مجالسه طلب من ضرار بن ضمرة(2) أن يلخص له سيرة الخليفة علي ، فقال ضرار بحقه : ((فكان والله بعيد المدى شديد القوى ، ويقول فصلا ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطلق الحكمة من نواحيه.يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا يستيئس الضعيف من عدله.فبكى معاوية وقال : رحم الله أبا الحسن فلقد كان كذلك))(3) .

وفي مجالس أخرى راجع معاوية عبد الله بن عباس وعدي بن حاتم الطائي (ت 68هـ) في سيرة الخليفة علي بن أبى طالب ومواقفهم معه ، وطبيعة علاقتهم به والتي تعد جزءً مهما من سيرته ، إذ تمثل تلك العلاقة أنموذجا لعلاقته مع الرعية(4) ، وفي مجلس آخرَ سأل الخليفة معاوية شداد بن أوس(5)،عن مدى حبه لعلي وأيهما أفضل لديه علي أم معاوية قائلا: ((أنا أفضل أم علي ؟ وأينا أحب

(1) القيرواني ، زهر الآداب ،ج1، ص35 ؛ ابن منقذ ، لباب الآداب ، ص66 .

(2) هو ضرار بن ضمرة الصدائي ، كان من خواص الإمام علي بن أبي طالب . (المسعودي ، مروج الذهب ،ج2، ص413 ؛ القالي ، الأمالي ،ج2، ص147).

(3) القالي ، الأمالي ،ج2، ص147 ؛ ينظر : الأصفهاني ، حلية الأولياء ،ج1، ص ص84-85 ؛ القيرواني ، زهر الآداب ،ج1، ص ص40-41 ؛ ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، ص ص499-500 ؛ الزمخشري ، ربيع الأبرار ،ج1، ص97 ؛ النويري ، نهاية الأرب ،ج3، ص176 .

(4) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص ص45-47 .

(5) هو شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري ، صحابي جليل ، شهد بدر كان عابدا عالما حليما ، نزل فلسطين ومات فيها سنة (58هـ/677م) وقيل غير ذلك . (ابن عبد البر ، الإستيعاب ،ج2، ص135 ؛ ابن حجر، الإصابة ،ج2، ص ص139-140 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج8، ص91) .

إليك ؟ فقال : علي أقدم هجرة وأكثر مع رسول الله إلى الخير سابقة ، وأشجع منك قلبا ، وأسلم منك نفسا، وأما الحب فقد مضى علي ، فأنت اليوم عند الناس أرجى منه))(1) .

يتبين من كلام شداد مدى إخلاصه للأمام علي وحبه إياه ، وصدقه مع الخليفة ، مع نظرة واقعية للأحداث تتفق مع تطور الأحوال وتغيرها ، فضلا عن حرية الكلام في مجلس الخليفة معاوية .

كما كان الخليفة معاوية يحاور جلساءه ويناقشهم في أخبار سير رجالات الإسلام ومآثرهم ، فمن ذلك أنه طلب من عقيل بن أبى طالب أن يخبره عن سيرة كل من الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، ومروان بن الحكم ، فلخص له عقيل سيرة كل واحد منهم مبينا أهم صفاته وبلاءه في الإسلام(2) . وبما أن معاوية يعرف عن هؤلاء الكثير ، إلا أنه أراد أن يقف على رأي الآخرين فيهم ، ربما ليبني عليه موقفا معينا .

أما مجالس الخليفة يزيد بن معاوية فتناولت هي الأخرى أنساب العرب وتاريخهم ، ففي أحد المجالس طلب روح بن زنباع الجذامي من يزيد بن معاوية أن يلحقه ببني معد لأنه منهم(3) ، فلما سمع رجل من أقارب روح ذلك ، حضر إلى مجلس يزيد ، مبديا اعتراضه على تصرف روح ومبينا عدم صحة توجهه ومؤكدا ليزيد أنهم ليسوا من بني معد وإنما هم من قحطان له مالهم وعليه ما عليهم(4) .

وتطرقت مجالس الخليفة عبد الملك بن مروان إلى تاريخ الإسلام والأحداث المهمة التي جرت فيه ، ففي أحد مجالسه تذاكر الحاضرون مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، وسأل أحدهم عبد الملك عن عمره يومئذ ، فبين له أنه كان دون سن البلوغ(5) ، إن الخوض في مثل تلك الأحداث ، والرغبة في معرفة تاريخ حدوثها ، يمثل أمرا مهما في توثيق بعض الأحداث التاريخية .

(1) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج2، ص211 .

(2) البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق : محمد باقر المحمودي ، ص ص71-72 .

(3) القيرواني ، الممتع ، ص146 .

(4) المصدر نفسه ، ص147 .

(5) الآبي ، نثر الدر ،ج3، ص ص46-47 .

وكان عبد الملك يذاكر جلساءه في سير رجالات الإسلام وشخصياته ، فمن ذلك أنه طلب من الربيع ابن ضبيع الفزاري(1) أن يحدثه عن سيرة كل من عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير ، فلما أخبره عن كل واحد منهم وما تتميز به سيرته ، أبدى عبد الملك إعجابه بمعرفته بهم قائلا : ((لله درك يا ربيع ، ما أعرفك بهم ، قال : قرب جواري وكثر استخباري))(2) .

كما تناولت مجالس الخليفة عبد الملك تاريخ قبائل العرب وأخبارهم ، فقد كان عبد الملك شغوفا بأخبار القبائل ومتميزا في معرفته بأنسابها ، ففي أحد المجالس تذاكر جلساؤه في أخبار بني درام وكيف أنهم قوم كانوا محظوظين إلا أن عبد الملك لم يتفق معهم على ذلك لأن أربعة من رجالهم المتميزين لم يكن لهم عقب(3) . الأمر الذي يبين مدى دقته في معرفة تاريخ قبائل العرب .

وكان عبد الملك يراجع جلساءه في قبائل العرب ومآثرها ، من ذلك أنه طلب من جلسائه أن يخبروه عن قبيلة من قبائل العرب فيها أشد الناس وأسخى الناس وأخطب الناس وأطوع الناس في قومه وأحلم الناس وأحضرهم جوابا(4) .

فكانت مجالس عبد الملك عبارة عن ندوات يحضرها كبار الإخباريين والنسابين ، يتحاورون فيها ويتجاذبون الحديث في تاريخ العرب وأخبارهم وأنسابهم ورجالاتهم(5) .

وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك يسأل جلساءه ويناقشهم في سير الخلفاء ، من ذلك أنه طلب من أحد جلسائه أن يخبره عن سيرة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم (6) .

(1) هو الربيع بن ضبيع بن وهب بن يفيض بن مالك الفزاري ، كان من المعمرين . (ابن حجر ، الإصابة ، ج1، ص526).

(2) الشريف المرتضى ، أمالي المرتضى ،ج1، ص254 ؛ الآلوسي ، بلوغ الأرب ،ج3، ص167 .

(3) المبرد، الكامل ، ج1، ص308 .

(4) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج3، ص ص282-284 .

(5) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،ج1، ص ص225-226؛ الطبري ، تاريخ ، ج6، ص ص 162-وما بعدها و ص ص420-421؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج3، ص252؛ القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، ص ص13-14؛ حسين عطوان ، الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي ،ط1، دار الجيل ، (بيروت ، 1986م) ، ص35 .

(6) الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ج5، ص16 .

وفي مجلس آخر تذاكر سليمان مع جلسائه سيرة الخليفة معاوية بن أبى سفيان فقال سليمان :((كان والله هزله جدا ، وجده علما ، والله ما رُئي مثل معاوية كان والله غضبه حلما وحلمه حكما))(1) .

وشهدت مجالسه البحث في أنساب القبائل وذكر فرسانها وشجعانها وكرمائها وشعرائها ، فقد دخل الفرزدق الشاعر إلى مجلسه مرة فانكره الخليفة سليمان متعمدا ، عندها أخذ الفرزدق يبين له تاريخ قبيلته تميم ومكانتها ، وكيف كان منها أوفى العرب وأكرمهم وأحلمهم وأشجعهم وأشعرهم ، ذاكرا له أسماء من اتصف بهذه الصفات من رجالها(2) .

أما مجالس الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فقد شهدت كذلك تذاكرا لبعض الحوادث التاريخية في الإسلام ، كمقتل الخليفة عثمان بن عفان (3) ، وموقعتي الجمل وصفين(4) ، إن الخوض في تلك الأحداث في مجلس عمر بن عبد العزيز جاء من باب نتائج تلك الأحداث على الأمة وما سببته من فرقة واختلاف بين أبنائها ، وأنها أثارت من المشاكل أكثر مما حلت

فضلا عن ذلك تطرقت مجالسه لسير بعض الخلفاء الأمويين ، فمن ذلك انه تذاكر مع عبد الرحمن ابن سليمان بن عبد الملك سير الخلفاء عبد الملك بن مروان وابنيه الوليد وسليمان(5).

وكان عمر بن عبد العزيز يسأل جلساءه عن سير بعض شخصيات الإسلام ورجاله ، من ذلك أنه طلب من أحد جلسائه أن يخبره عن سيرة عبد الله بن الزبير(6) .

وشهدت مجالس الخليفة هشام بن عبد الملك البحث في سير بعض ملوك العرب ، ففي أحد المجالس حدثه أحد جلسائه عن سيرة أحد ملوك الحيرة ، وكيف أنه ترك ملكه وانقطع للعبادة ، فتأثر هشام بسيرة هذا الملك تأثرا كبيرا(7) .

(1) المسعودي ، مروج الذهب ،ج3، ص168 .

(2) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص ص54-55؛ جاد المولى ، قصص العرب ،ج3، ص158 .**
(3) **ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، ص85 .**
(4) **الآبي ، نثر الدر ،ج2، ص115؛ ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ج2، ص93؛ البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص48 .**
(5) **ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ص135-136 .**
(6) **الزمخشري ، ربيع الأبرار ،ج1، ص ص830-831 .**
(7) **السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ص249-250 .**

وشهدت مجالسه الدعوة إلى الاهتمام بسيرة الرسول وأصحابه، وضرورة تعلمها، ففي مجلس له دعا مؤدب ولده أن يعلمه المغازي قائلا:((... تخلل به في مغازي النبي ، وحفظ من كان معه وحسن بلائهم))(1) .

وكان هشام يناقش جلساءه في تاريخ بعض القبائل العربية، ومواقفهم من بعض الأحداث، ومدى طاعتهم لأولي الأمر ، فمن ذلك أن خالداً بن عبد الله القسري (ت 126هـ) حدثه عن تاريخ أهل اليمن وحسن طاعتهم وإخلاصهم للأمويين ، فقام أحد الحاضرين وأبدى رأيا مخالفا لذلك فيهم ، مذكّرا بتاريخهم ومشاركتهم في كثير من الأحداث كمقتل الخليفة عثمان بن عفان واتباعهم لابن الأشعث في حركته ، وحركة يزيد بن المهلب ضد الخلافة الأموية(2).

وكان هشام يذاكر جلساءه في سير بعض شخصيات الإسلام الذين كان لهم دورٌ ومكانة في المجتمع،فمن ذلك انه طلب من أحد جلسائه أن يحدثه عن سيرة عبد الله بن جعفر،فبين له أن الحديث عن سيرة عبد الله بن جعفر يحتاج إلى وقت طويل،فاقتصر من سيرته على حادثة واحدة تدُلُّ على كرمه وسخائه(3).

وفي مجلس آخر راجع الخليفة هشام خالداً بن صفوان في سيرة الأحنف بن قيس، باحثا عن الأسباب التي بلغ بها الأحنف ما بلغ من السؤدد والمكانة الرفيعة العالية(4).

أما مجالس الخليفة الوليد بن يزيد فقد تطرقت هي الأخرى إلى التاريخ وأهميته وضرورة تعلمه ، ففي أحد مجالسه سأل الوليد بن يزيد أحد جلسائه عن مدى معرفته وروايته للأخبار وأيام العرب وأنساب القبائل وأشعارهم ، فلما تبين له أنه لا يعرف من ذلك شيئا سخر منه وأبدى عدم احترام له(5) .

مما تقدم يتبين أن مجالس الخلفاء الأمويين كانت بمثابة حلقات نقاشية يبحث فيها مختلف المواضيع كالسير والأنساب والأخبار والأحداث التاريخية يديرها الخليفة ويحضرها كبار الإخباريين والنسابين، فكان لها الأثر الكبير في وضع أسس لبداية دراسة علم التاريخ وتطوره(6).

(1) **بدران ، تهذيب تاريخ دمشق ،ج6، ص279 .**
(2) **الطبري ، تاريخ ،ج7، ص26؛ غرس النعمة ، الهفوات النادرة ، ص386 .**
(3) **ابن حبيب ، المنمق ، ص ص473-474 .**
(4) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج2، ص119؛ الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص155 .**
(5) **الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ،ج1، ص33 .**
(6) **هاملتون جب ، المدخل في الأدب العربي ، ترجمة : كاظم سعد الدين ، 1969م، ص41 .**

الأدب في مجالس الخلفاء

أظهر الخلفاء الأمويون اهتماما كبيرا بالأدب عامة والشعر خاصة ، فقد كان جلهم يحفظون الشعر، ويروونه وينقدونه ،إذ كان يحضر مجالسهم كبار الأدباء من شعراء وخطباء ،فتلقى فيها الخطب وتنشد فيها القصائد ويتذاكر فيها الشعراء ويتفاضلون بينهم،ويناقشون جلساءهم في أنواع الشعر وأجود معانيه(1).

فمجالس الخليفة معاوية شهدت الكثير من المناقشات والأحاديث عن الشعر وأهميته في تنشئة الأجيال وتربيتهم ، ودوره الكبير في تنمية قدراتهم العقلية وفصاحة اللسان والمنطق ، والصفات الكريمة والخلال الحسنة ، لذا كان يدعو إلى حفظ الشعر وروايته ، فمن ذلك أن رجلا وابنه حضرا أحد مجالس الخليفة معاوية ، الذي سأله قائلا : ((ما علمت ابنك . قال : القرآن والفرائض فقال : روه من فصيح الشعر فإنه يفتح العقل ،ويفصح المنطق ، ويطلق اللسان ، ويدل على المروءة والشجاعة ، ولقد رأيتني ليلة صفين وما يحبسني الا أبيات عمرو بن الأطنابة(2) :

أبت لي عفَّتي وأبى بـــلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيـح

وإقدامي على المكروه نفسـي وضربي هامةَ البطلِ المُشيـحِ

وقولي كلَّما جشأتْ(3)وجاشَتْ مكانـك تـُحمدي أو تَستريحَـــي))(4)

(1) حسين عطوان ، الرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي ،ط1، دار الجيل ، (بيروت ،1988م)، ص42 .

(2) هو عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر الخزرجي ، والأطنابة أمه ، من أشراف الخزرج شاعر قديم . (المرزباني ،معجم الشعراء ، ص8).

(3) جشأت : جشأت النفس ، أي خبثت وثارت للقئ من الوجع مما تكره . (ابن منظور ، لسان العرب ، ج1، ص460).

(4) أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري ، المصون في الأدب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون،ط2، مطبعة المدني ، (مصر ، 1982م)، ص133 ؛ صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسن البصري ، الحماسة البصرية ، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه : الدكتور مختار الدين أحمد،ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، (الهند ، 1964م) ،ج1،ص ص3-4 .

وفي مجلس آخر بحث الخليفة معاوية مسألة أهمية الشعر وأثره على النفس مع عبيد الله بن زياد ، لما علم أنه لا يحفظ منه شيئاً ، إذ لامه على ذلك وعنفه ، مبينا له أهميته ودوره المؤثر في حياة الإنسان العربي ، وكيف أنه هم بالفرار يوم صفين وما منعه من ذلك إلا أبيات ابن الأطنابة ، وذكر الأبيات السابقة فكتب إلى زياد والد عبيد الله أن يروي لهُ الشعر ، ففعل(1) .

وفي أحد مجالسه تطرق الخليفة معاوية إلى أهمية الشعر ودوره في تخليد الذكر ، مع أحد أبناء الأشعث بن قيس الكندي ، حين سأله عن الأشياء التي أعطاها جده قيس بن معد يكرب للأعشى(2) الشاعر، فلما بين له أنه أعطاه الكثير من الأموال ، قال معاوية : ((لكن ما أعطاكم الأعشى لا ينسى))(3) .

وشهدت مجالس الخليفة معاوية رواية الشعر ، ومذاكرة للشعراء والتمييز بين طبقاتهم والتفاضل بين أشعارهم ، فكان يسأل جلساءه ويذاكرهم عن أفخر وأندى بيت قالته العرب(4) وأنصف قصيدة

قالها شاعر ولم يتعصب لقومه(5) ، وأفضل أبيات قالتها العرب في الضيافة (6) .

(1) ثعلب ، مجالس ثعلب ، ق1، ص ص82-83 ؛ عون الشريف قاسم ، شعر البصرة في العصر الأموي دراسة في السياسة والاجتماع ، دار الثقافة ، (بيروت ، 1972م)، ص79 .

(2) هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحبيل بن عوف بن سعد بن ضبه ، كان أعمى ويكنى بأبي بصير ، كان شاعرا جاهليا أدرك الإسلام في أواخر عمره ولم يسلم .(ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،ج1، ص257 ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص319).

(3) المبرد ، الكامل ، ج1، ص378؛ خليل بن أيبك الصفدي ، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المدني ، (القاهرة ، 1969م) ، ص293 .

(4) أبو علي محمد بن الحسن بن مظفر الحاتمي ، حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، تحقيق : الدكتور جعفر الكتاني ، دار الرشيد للنشر ، (بغداد ،1979م) ، ج1، ص332 .

(5) المصدر نفسه ، ج1، ص ص330-331 .

(6) الحاتمي ، حلية المحاضرة ،ج1، ص404 ؛ ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، ص ص295-296 .

وكان معاوية ينقد الشعراء(1) ويوجههم في أغراضهم الشعرية المفيدة للمجتمع ، ففي أحد مجالسه تناول مع عبد الرحمن بن الحكم(2) موضوع الشعر وأغراضه والموضوعات التي عليه أن يتطرق أليها ، حين دعاه إلى الابتعاد عن الموضوعات التقليدية كالغزل والهجاء والمدح ونصحه بأن يكون شعره في مواضيع مفيدة بما تحتويه من أمثال وحكم يفيد منها الآخرون ويعتبرون بها(3) .

والظاهر أن الخليفة معاوية أراد أن يجعل من الشعر أداة عمل صالحة في المجتمع بعيدا عن أغراضه التقليدية،وذلك لما للشعر من تأثير في الرأي العام وسعة وسرعة الانتشار ، فضلاً عن كونه أداة إعلامية(4).

وفضلا عن الشعر فقد كان لمعاوية اهتمام بالنثر إذ شهدت مجالسه حضور الكثير من الخطباء ،الذين كانوا يلقون خطبهم ، ويتفاخرون في براعتهم وكفاءتهم في هذا المجال الأدبي(5) ، بل إن مجالسه كانت مفتوحة لمجال المنافسة في الخطابة ، ففي أحدها تكلم الخطباء فأجادوا وأحسنوا ، فقال معاوية :((والله لأرمينهم بالخطيب الأشدق قم يا يزيد فتكلم)) (6) .

أما مجالس الخليفة يزيد بن معاوية فكانت زاخرة بكبار الشعراء أمثال جرير وجميل بن معمر العذري ،والأخطل وأبي زبيد الطائي وغيرهم(7) ، إلا أنه في بعض الأحيان لا يسمح أن يدخل إلى مجلسه إلا من عرف بشاعريته وذاع شعره بين الناس(8) .

(1) ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج6، ص146 .

(2) هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، يكنى بأبي مطرف ، شاعر إسلامي متوسط الحال بين شعراء زمانه .(الأصفهاني،الأغاني ، ج13، ص284).

(3) ثعلب ، مجالس ثعلب ، ق2 ، ص279؛ الطبري ، تاريخ ،ج5، ص336 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج6، ص114؛ الآبي ، نثر الدر ، ج3، ص ص22-23 ؛ البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص432 ؛ الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ،ج1، ص81 .

(4) كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، ج2، ص160 .

(5) العسكري ، جمهرة الأمثال ،ج2، ص208 .

(6) **الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج1، ص**122
(7) **البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج4-ق2، ص6؛ القالي ، الأمالي ،ج3، ص**180 .
(8) **البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج4-ق2، ص**6 .

واحيانا كان الخليفة يزيد يختبر القدرة الأدبية لجلسائه من الشعراء بقول النثر ، ففي أحد المجالس ، اقترح على من عنده من الشعراء ، أن يصفوا له الأسد نثرا، فلما وصفوه أجازهم على ذلك(1) .

ويبدو أن يزيد أراد من وراء هذا التصرف أن يبين لجلسائه أن النثر لا يقل أهمية عن الشعر لديه، لما له من دور في تنمية الخطابة التي تقومُ على البلاغة في الكلام،وما لذلك من أثر على تطور الأدب ورقيه.

اما مجالس الخليفة مروان بن الحكم فقد اهتمت هي الأخرى برواية الشعر ونقده ، ففي أحد المجالس استنشد مروان بن الحكم خالداً بن يزيد بن معاوية من شعره ، فأنشده :

فلو بقيت خلائفُ آل حـــرب ولم يُلبسهمُ الدهرُ المنونــا
لأصبح ماء أهل الأرض عذبـا وأصبح لحمُ دنياهم سمينــا

فانتقد مروان قول خالد (منونا) و (سمينا) ، مبينا له أن هذه قوافٍ لم يضطره إليها إلا عجزه في هذا المجال(2) .

أما مجالس الخليفة عبد الملك فقد كانت بمثابة ندوات أدبية يحضرها كبار الشعراء ، فيُروى فيها الشعر وينقد ويُسأل فيها عن معنى من معاني الشعر أو تُناقش فيها قضية أدبية (3) ، كما كانت تَبحَثُ في الأدب وأهميته والشعر وضرورته ، ففي أحد المجالس دعا عبد الملك أبناءه إلى طلب الأدب وتعلمه ، لما له من اثر في إبراز الشخص ورفع مكانته في المجتمع(4) .

وفي مجلس آخر تطرق عبد الملك مع مؤدب أبنائه إلى القضايا التي يجب عليه أن يعلمهم إياها ، فركز في ذلك على الأدب عامة والشعر العفيف خاصة(5) ، بل دعاه إلى تأديبهم بشعر الأعشى لخصوصية كان يراها فيه ، قائلا : ((وأدبهم برواية شعر الأعشى فإنه ما كان أعذب بحره وأصلب صخره))(6) .

(1) **القالي ، الأمالي ، ج3، ص ص**180-181 .
(2) **ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج1، ص**157 .
(3) **صلاح الدين الهادي ، اتجاهات الشعر في العصر الأموي ، ط1، مطبعة المدني ، (القاهرة ، 1986م)، ص**320 .
(4) **الآبي ، نثر الدر ، ج3، ص**50 **؛ ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، ص**114 **؛ ابن هذيل ، عين الأدب والسياسة ، ص**125 .
(5) **ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج2، ص**167 **؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج9، ص**70 .
(6) **البغدادي ، خزانة الأدب ، ج1، ص**176 .

فضلا عن ذلك كان يجري في مجالسه تذاكر أخبار الشعراء وأشعارهم والبحث في أفضلها ويطلب أحيانا من الشعراء أن ينشدوه في موضوع أو معنى معين ، ففي أحد مجالسه طلب من الشعراء الفرزدق وجرير والأخطل ، أن يصف كل واحد منهم مركوبا أعطاه إياه(1) .

وكان الخليفة عبد الملك يذاكر جلساءه في أغراض الشعر وأفضل ما قيل منه ، فمن ذلك أنه سألهم عن أصدق بيت(2) وأشجع بيت(3) وأحكم بيت(4) ، وأكرم بيت#####(5) وأرق وأغزل بيت(6) ، وأمدح بيت(7) ، وأهجى بيت(8) .

أما في مجالس النقد وإظهار عيوب الشعراء ، ولفت أنظارهم إلى ما يحبذ وما لا يحبذ من القول في المواقف المختلفة(9) ، فقد حاور الخليفة عبد الملك الشعراء في موضوع التشبيه في الشعر ، داعيا إياهم إلى تجاوز التشبيهات التقليدية المعروفة ناقدا لهم تشبيههم له بالأسد والبحر والجبل ، وكيف أنهم لم يصلوا إلى مستوى الشاعر أيمن بن خريم(10) في وصفه لبني هاشم ، حين أشاد بعبادتهم وتقواهم وقراءتهم للقرآن ، وتفوقهم على الناس ، بقوله :

(1) **الجرجاني ، المنتخب ، ص11.**

(2) **الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ج1، ص327 .**

(3) **المصدر نفسه ، ج1، ص ص352-353 ؛ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي ، الوسيط في الأمثال ، تحقيق : الدكتور عفيف محمد عبد الرحمن ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، (الكويت ، 1975م) ، ص ص72-73 .**

(4) **النهرواني ، الجليس الصالح ، ج2، ص ص428-430 ؛ القيرواني ، زهر الآداب ،ج2، ص ص766-767 .**

(5) **الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ج1، ص371؛ القالي ، الأمالي ، ج3، ص ص29-30 .**

(6) **الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ج1، ص371؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج9، ص ص185-186 .**

(7) **الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ج1، ص338 ؛ القيرواني ، زهر الآداب ،ج2، ص ص186-187**

(8) **الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ج1، ص ص345-346؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج9، ص ص271-272 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ،ج1، ص ص269-270 .**

(9) **أحمد أمين ، النقد الأدبي ،ط4، دار الكتاب العربي ، (بيروت ،1967م)، ص465 .**

(10) **هو أيمن بن خريم بن الأخرم بن شداد بن عمر الأسدي،شاعر أموي،لقب بخليل الخلفاء، لأن الخلفاء كانوا يجالسونه ويعجبون بحديثه . (ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،ج1، ص541 ؛ العاني ، معجم القاب الشعراء ، ص78).**

هارُكمُ مكابَدةٌ وصــومٌ وليُلُكمُ صلاةٌ واقتــراءُ

أجعْلُكُمُ وأقواماً ســـواءً وبينَكُمُ وبينَهُمُ هـــواءُ

وهم أرض لأرجُلِكم وأنتُـم لأعيُنِهِم وأرؤُسِهِمْ سمــاءُ))(1)

وفي مجلسٍ آخر له انتقد عبد الملك الشاعر ابن قيس الرقيات وعاب عليه قافيته لما أنشده :

إن الحَوادثَ بالمدينةِ قدْ أوجَعْنَني وقرعْن مَرْوتَيهْ(2)

فقال له عبد الملك : ((أحسنت يا ابن قيس لولا أنك خنثت قوافيه...))(3) .

وفي أحد المجالس انتقد عبد الملك الشاعر راعي الإبل النميري ، عندما انشده قصيدته فبلغ قوله :

أخليفة الرحمن إنا معشــر حُنفاءُ نسجُد بُكرة وأصيــلا

عربٌ نَرى لله في أموالنـا حقَّ الزكاةِ منزلاً تَنزيـــلا

فقال عبد الملك : ليس هذا شعرا ، هذا شرح إسلام وقراءة آية (4) . ويبدو أن عبد الملك كان يرى أن للشعر معياراً ومقاييس وليس كل ما ينظم هو شعر .

وفي أحد مجالسه بحث الخليفة عبد الملك مع بني أمية ، قضية الشعر على أنه وسيلة إعلامية ذات حدين،إذ دعاهم إلى استرضاء الشعراء وعدم استثارتهم ضدهم،وحذرهم من شعر الهجاء،قائلا:((

يابني أمية أحسابكم أنسابكم لا تعرضوها للهجاء وإياكم وما سار به الشعراء فإنه باقٍ ما بقيَ الدهرُ.))(5) .

(1) العسكري ، المصون، ص62 .
(2) عبيد الله بن قيس الرقيات ، الديوان ، تحقيق وشرح : محمد يوسف نجم ، دار بيروت ، (بيروت ، 1958م) ، ص 98 .المروة : الحجارة البيضاء التي يُقدح.#####(ابن الفقيه ، مختصركتاب البلدان ، ص 76).
(3) أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي ، مجالس العلماء ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة حكومة الكويت ، (الكويت ، 1962م) ، ص189 .
(4) المرزباني ، الموشح ، ص143 .
(5) القالي ، الأمالي ،ج2 ، ص158 .

وهكذا كانت مجالس الخليفة عبد الملك بمثابة ندوات ثقافية وأدبية ، دائمة وذلك لحبه للشعر والأدب ، الأمر الذي انعكس على الناس في أيامه ، فاخذوا يتناشدون الشعر ويتناقلون أخبار الشعراء(1) .
أما الخليفة الوليد بن عبد الملك فقد شهدت مجالسه كذلك حضورا للشعراء والأدباء ، يروون فيها الشعر ويستمع فيها بعضهم لبعض ، وينقدُ أحدُهم الآخر أمام الخليفة الذي كان يشاركهم ويسهم برأيه في ذلك(2) .
وكان الخليفة الوليد ينقد الشعراء في بعض مجالسه، ويعقب على ما يسمع منهم ، مميزا بين موضوعات الشعر ، مبديا أحكامه عليها ، ففي أحد المجالس نقد جريرا لقوله بيت شعر جعل الأمر فيه لنفسه على الخليفة ، حين قال :
وهذا ابن عمي في دمشقَ خليفةٌ لو شئتُ ساقَكُمُ إليَّ قطينا(3)
قال الوليد:((أما والله لو قال: (لو شاء ساقكم) لفعلت ذلك،ولكنه قال: (لو شئت) فجعلني شرطيا له))(4)،مما يدل على أن الخليفة الوليد كان ذواقا للشعر ناقدا مصححا لأخطاء الشعراء واضعا حدا أو سياقا للمدح،وهو مراعاة منزلة الخلفاء ومكانتهم ، والابتعاد عن مثل هذه الأوصاف التي تحط من قدرهم .
وكانت مجالس الخليفة سليمان تضم كبار الشعراء مثل جرير والأخطل والفرزدق ، فكان يستمع إلى مدائحهم (5) ، وأحيانا يطلب منهم أن يسمعوه في موضوع أو معنى محدد ، ثم يبدي رأيه فيه ، ففي أحد مجالسه التي حضرها الفرزدق والأخطل وجرير ، وأرادوا الانصراف لنعاس سليمان ، طلب منهم أن يصف كل واحد منهم ذلك شعرا قبل أن يقوموا،فقال كل واحد منهم بيتا،إلا أن سليمان نقدهم جميعا وعاب عليهم عدم اختيارهم المعاني المناسبة لذلك المقام(6) .

(1) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص 116 .
(2) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج6، ص ص185-186.
(3) جرير بن عطية الخطفي ، الديوان ، تحقيق : نعمان محمد طه ، دار المعارف ، (القاهرة ، 1971م) ، ص477 .
(4) المرزباني ، الموشح ، ص109 .
(5) المبرد ، الكامل ، ج1، ص ص183-185؛ الزجاجي ، أمالي الزجاجي ، ص ص47-48 ؛ الشريف المرتضى ، أمالي المرتضى ،ج1، ص ص60-61 ؛ القيرواني ، زهر الآداب ،ج1، ص ص335-336 ؛ ابن رشيق ، العمدة،ج1،ص ص73-74 .

(6) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج6، ص ص198-199 .
أما الخليفة عمر بن عبد العزيز فقد اختلف عن غيره من الخلفاء الأمويين في علاقته بالشعراء وحضورهم إلى مجالسه والأغراض الشعرية التي يجب أن يتطرقوا لها ، فيُذكر أنه لم يأذن للشعراء إلا لجرير بدخول مجلسه رغم المناقشات المطولة مع أحد جلسائه الذي زين لقاءهم ، ووضح له أهمية الشعر ومكانته ، وكيف أن الرسول استمع للشعراء وأكرمهم ، ورغم ذلك فإنه لم يسمح لهم ، بعد أن عرف أسماءهم ، بل عابهم وذكر مآخذه عليهم وطردهم ، ولما دخل عليه جرير وجهه ودعاه إلى قول الحق والابتعاد عن الكذب والنفاق(1) .
وفي مجلس آخر تطرق الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى قضية الشاعر الأحوص الذي نفاه الخليفة سليمان إلى دهلك ، لتشبيه بالنساء ، فلما تولى عمر الخلافة ، حضر قوم الأحوص إلى مجلسه وكلموه فيه وسألوه أن يرده إلى بلده المدينة المنورة ، لنسبه ومكانته بين قومه(2) ، إلا أن الخليفة عمر ذكّرهم ببعض الأبيات التي كانت على ما يبدو سببا في نفيه ، فلما أقر القوم بأنه هو قائلها ، أقسم الخليفة عمر أن لا يعيده من منفاه مادام هو في الخلافة ، فبقي هناك إلى أن تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك سنة (101هـ/ 719م) (3) .
والظاهر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان يحاول أنْ يبعد الشعراء عن الأغراض الشعرية التقليدية، كالغزل والمدح الذي يمثل صوره كريهة للكذب والنفاق والذي يخلع على الممدوحين من الصفات ما ليس فيهم ، وكان عمر بن عبد العزيز يدعو الشعراء إلى الاهتمام بالأخلاق والخصال الكريمة في قول الشعر ، حيث كان يعطي على ذلك ويجيز(4) .
(1) ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج1، ص ص284-287؛ النهرواني ، الجليس الصالح ،ج1، ص ص251-256 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1، ص ص430-434 .
(2)ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ،ج2، ص ص656-657 ؛ العبدي ، العفو والاعتذار ،ج2، ص ص359-362
(3) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ،ج2، ص ص656-657 ؛ العبدي ، العفو والاعتذار ،ج2، ص ص359-362 .
(4) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،ج1، ص ص505-507 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ،ج1، ص ص332-333
أما مجالس الخليفة يزيد بن عبد الملك فكانت يحضرها الشعراء مثل كثير عزة والأحوص(1) ، فضلا عن من كانت له دراية وعلم في الشعر ليسأله عن بيت لا يعرف قائله ، فيُذكر أنه كان ليلا في أحد مجالسه وكانت إحدى جواريه تغنيه شعرا ، فلما سألها عن القائل لم تعرفه ، عندها أمر بإحضار محمد ابن شهاب الزهري ليسأله عن قائل الشعر ، فلما أخبره أنه للأحوص وأنه محبوس في دهلك أمر بإعادته منها(2) .
أما الخليفة هشام بن عبد الملك فقد شهدت مجالسه كذلك الأحاديث والمناقشات عن الشعر وأهميته ودوره في نشأة الأجيال وقيمته العالية في تربيتهم ، ففي أحد المجالس بحث مع مؤدب ولده الأهمية التربوية والخلقية للشعر في حياة الإنسان ، طالبا منه أن يرويه الشعر وبخاصة المديح والهجاء ، قائلا : ((... روه الشعر أحسنه ، وتخلل به في أحياء العرب ، فخذ من صالح شعرهم من هجاء ومدح ، فإنه ليس قوم إلا وقد هُجوا ومُدحوا.))(3) .

وكانت مجالس الخليفة هشام تضم كبار الأدباء والشعراء ينشدون فيها قصائدهم(4) ، ويسألهم أحيانا عن شعر لا يعرف قائلة ، فمن ذلك إحضاره لحماد الرواية (5) من العراق إلى الشام ليسأله عن بيت من الشعر لا يعرف قائله(6) .

(1) الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2، ص251 ؛ القالي ، الأمالي ،ج1، ص69 .

(2) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ،ج2، ص ص657-658 ؛ العبدي ، العفو والاعتذار ،ج2، ص ص366-367؛ ابن رشيق ، العمدة ،ج1، ص71 .

(3) بدران ، تهذيب تاريخ دمشق ،ج6، ص279 .

(4) المرزباني ، الموشح ، ص ص194-195 .

(5) هو أبو القاسم حماد بن أبى ليلى سابور بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي مولى بني بكر بن وائل ، المعروف بالرواية ، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها كانت خلفاء بني أمية تقدمه وتكرمه . (ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج2، ص206).

(6) الأصفهاني ، الأغاني ، ج6، ص ص84-87 ؛ التنوخي ، الفرج بعد الشدة ،ج2، ص ص353-355؛ أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، (القاهرة ، 1998م) ، ص ص42-43 ؛ تقي الدين أبو بكر بن محمد بن حجة الحموي ، ثمرات الأوراق ، صححه وعلق عليه : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1، مكتبة الخانجي ، (مصر ، 1971 م) ، ص ص91-92 .

فضلا عن ذلك كان الخليفة هشام يحاور جلساءه من الشعراء في معاني أشعارهم وينقدها حيث كان يرى انه يجب أن لا يكون هناك تناقض بين كلام الشاعر وفعله ، فمن ذلك انه لما حضر مجلسه عدد من الشعراء وفيهم عروة بن أذينه(1) فقال له هشام بعد أن عرفه أنت القائل :

لقد علمت وما الإسراف من خلقــي أنَّ الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيُعييــني تطلُّبُـــهُ ولو قعدت آتاني لا يُعنِّيـــني(2)

هلا جلست حتى يأتيك ، فخرج عروة من المجلس عائدا إلى بلاده ، فلما افتقده هشام أرسل له جائزته إلى بيته(3) .

كما كان هشام يسأل جلساءه عن الشعراء وأشعارهم ومميزاتهم والمفاضلة بينهم ، ففي أحد مجالسه طلب من خالد بن صفوان أن يصف له كلا من جرير والفرزدق والأخطل ، فلما وصفهم له خالد ، عقب على ذلك مسلمة بن عبد الملك وكان حاضرا قائلا : ((ما سمعنا بمثلك يا ابن صفوان في الأولين ولا في الآخرين ، أشهد أنك أحسنُهم وصفا وألينُهم عطفا وأخفُّهم مقالا وأكرمُهم فعالا...))(4) . الأمر الذي يبين أن مجالس الخليفة هشام كانت تهتم بالأدب عامة والشعر خاصة .

أما في مجالس الخليفة الوليد بن يزيد فكانت هي الأخرى تضم الأدباء والشعراء فينشدون فيها قصائدهم(5) ، ويراجع بعضهم في أسباب شهرته وتفوقه ، ففي أحد المجالس سأل حماداً الرواية عن السبب الذي جعله يستحق لقب (الرواية) الذي بين له أنه استحق هذا اللقب لكثرة روايته للشعر الجاهلي والإسلامي (6) .

(1) هو عروة بن أذينه ، واسم أذينة : يحيى بن مالك ، يكنى بأبي عامر ، كان شريفا عالما ناسكا شاعرا .(ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،ج2، ص579؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، ص54) .

(2) يحيى الجبوري ، شعر عروة بن أذينة ، مطابع التعاونية اللبنانية ، (لبنان ، بلا ت)، ص ص327-328 .
(3) الآمدي ، المؤتلف والمختلف ، ص ص54-55؛ الحريري ، درة الغواص ، ص ص113-114 .
(4) القيرواني ، زهر الآداب ،ج2، ص464 .
(5) عبد الله بن المعتز بن المتوكل ، طبقات الشعراء ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ،ط2، دار المعارف ، (مصر ، 1968م)، ص ص105-106 .
(6) الأصفهاني ، الأغاني ،ج6، ص ص79-80؛ البغدادي ، خزانة الأدب ،ج9، ص ص446-447 .

كما كان الخليفة الوليد بن يزيد يذاكر جلساءه في معاني الشعر وموضوعاته ، ففي أحد مجالسه سأل الحضور أن يخبروه عن أغزل بيت قالته العرب(1) .

ومما تقدم يتضح أن مجالس الخلفاء الأمويين كانت زاخرة بأهل الأدب عامة ، والشعر خاصة ، ولم تقتصر على رواية الشعر والاستماع إليه ، ولكن تجاوزت ذلك إلى نقده وتوجيهه والمفاضلة بين الشعراء الأمر الذي يوضح مدى إسهام تلك المجالس في نهضة الشعر وتطوره ، ويعكس التقدم الحاصل في جميع الجوانب ، مما أضفى جوًا من السعادة والتفاؤل ، فجاءت مجالس الأدب ملائمة مع مظهر عصرها من حيث الجودة والروعة(2) .

(1) الأصفهاني ، الأغاني ،ج1، ص ص122-123؛ الحاتمي ، حلية المحاضرة ،ج1، ص ص373-374 .
(2) محمد عبد العزيز الكفراوي ، تاريخ الشعر العربي ، مطبعة النهضة العربية ، (القاهرة ، بلا ت) ، ج1، ص78 .

بعد دراستنا لمجالس الخلفاء في العصر الأموي تبينت لدينا عدة نتائج أهمها :

إن موضوعات مجالس الخلفاء الأمويين عبّرت عن جوهر سياسة الخلافة الأموية تجاه المستجدات التي شهدها العصر الأموي في الجوانب السياسية والإدارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية وفي مجال العلوم والأدب .

وأظهر البحث تنوع الموضوعات في المجلس الواحد من مجالس الخلفاء إذ لم تكن المجالس مخصصة لموضوع محدد ، كما بين تنوع الجلساء ، فقد كان المجلس الواحد يضم أنواع الجلساء ومن مختلف الأمصار سواء من أهل الشام أم من العراق أم من الحجاز أم اليمن وغيرهم ، كما كان يضم مختلف النخب بعضهم من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والقادة والأمراء وشخصيات المجتمع ، وبينهم فئات أخرى من عامة الناس ، وكان يضم مؤيدي الخلافة ، وفي أحيان أخرى يحضره بعض المعارضين لها كذلك .

أما ما يحصل في مجالس الخلفاء الأمويين من نقاشات فقد تبين أنه لم يكن الغرض منها دائما الوصول إلى فكرة تقنع الجميع ، وإنما كان الهدف منها أحيانا إعلاميا ، ويغلب على نتائجها في المحصلة النهائية الرأي الذي يتبناه الخليفة .

وكذلك أظهر البحث أن حرية التعبير أهم مميزات مجالس الخلفاء الأمويين ، إذ كان الجلساء يتمتعون بحرية الحديث والمناقشة في مختلف الجوانب ، رغم أن هناك إشارات تبين أن حرية الكلام بخصوص بعض المواضيع كانت مقيدة إلى حد ما .

وتبين من الدراسة أن مجالس الخلفاء الأمويين كانت عبارة عن مجالس للتشاور مع أهل الخبرة والتجربة كل في مجال اختصاصه ، لكي تكون القرارات التي تنجم عن المجالس ناجحة وصائبة وواقعية في معالجة مختلف المشاكل التي تهم الخلافة .
وكشف البحث أيضا أن هناك بعض المجالس التي كانت الأدوار فيها موزعة سلفا على الجلساء ، والتي يكون الغرض منها إما عرض فكرة معينة أو بحث موضوع محدد يريد الخليفة إنجاحه من خلال طرحه وأخذ وجهات نظر الحاضرين في المجلس .
أما في الجانب السياسي فقد توصلت الدراسة إلى أن الحوار كان يمثل أحد سمات مجالس الخلفاء الأمويين في حل ومعالجة الكثير من القضايا السياسية ، كما أظهرت الدراسة أن الأمويين وهم في أوج قوتهم كانوا متخوفين من موضوع انتقال الخلافة إلى غيرهم ، ويأخذون على محمل الجد كل ما من شأنه أن يثار حول هذا الموضوع لمعالجته وكيف أن هذه المجالس لعبت دورا فعالا ومؤثرا في بلورة فكرة ولاية العهد وإنضاجها ، ثم تطبيقها وجعلها نهجا سياسيا سارت عليه الخلافة الأموية حتى سقوطها .كما بينت الدراسة إسهام المجالس في عرض سياسة الخلفاء الداخلية وتوضيح أهم مقوماتها وبيان أبرز ملامحها ، وتشخيص أخطائها والعمل على تجاوز تلك الأخطاء ، أما على صعيد العلاقات الخارجية فقد بينت الدراسة أنها ـ كما هو الحال في العلاقة مع الدولة البيزنطية ـ كانت عدائية وأن التنافس والحروب هي السائدة والغالبة على تلك العلاقة .
أما ما يخص الجانب الإداري فقد أظهرت الدراسة أن لمجالس الخلفاء الأمويين دورا في تعيين الولاة وعزلهم ،وأن لبعض الجلساء دوراً واضحاً في هذه العملية ، إذ كان الخلفاء ينظرون باهتمام إلى رأي سكان الأقاليم في اختيار الولاة ، كما بينت الدراسة إسهام المجالس في تقديم التوجيهات والتعليمات الإدارة للولاة ،وذلك للوصول لأفضل الصيغ في إدارة الأقاليم، كما تبين من خلال الدراسة أن هناك أنماطاً متفاوتة في إسلوب إدارة الولاة لكل إقليم من أقاليم الدولة .
أما فيما يخص الجانب العسكري فقد أظهرت الدراسة أن لمجالس الخلفاء الأمويين دورا في هذا الاتجاه ، إلا أن إسهامها في وضع ومناقشة الخطط الحربية للعمليات العسكرية لم يكن بمستوى العمليات القتالية التي كانت تخوضها جيوش الدولة في ذلك العصر ، كما توصل البحث إلى أن هذه المجالس كانت تقوم بتقييم نتائج المعارك في حالتي النصر والهزيمة لغرض البحث في أسبابهما والعمل على تجاوز ما هو سلبي .
أما في الجانب الاقتصادي فقد أظهرت الدراسة اهتمام مجالس الخلفاء الأمويين في بيان مقادير واردات أقاليم الدولة ، إذ اتضح أن واردات الإقليم الواحد كانت متفاوتة بين والٍ وآخر ، وبينت حرص الخلفاء الأمويين على استحصال الواردات بالطرق الشرعية قدر الإمكان ، كما أوضحت هذه المجالس ثقة العامة بالخلفاء الأمويين في حل مشاكلهم الاقتصادية ، لأن مجالسهم كانت مفتوحة للاستماع لمشاكل الناس وأصحاب الحاجات ، وبينت دور المجالس في معالجة الأوضاع المعاشية للناس سواء كانوا أفراداً أم أقاليم ، وأثبتت الدراسة حرص الخلفاء الأمويين على واردات الدولة ومنعهم التجاوز عليها من خلال محاسبة المسؤولين عنها .
كذلك كشف البحث أن جميع المتفاخرين في مجالس الخلفاء الأمويين- من خلفاء وغيرهم - أقروا بشرف بني هاشم وفضلهم على غيرهم ، فضلا عن المكانة الاجتماعية الكبيرة التي يتمتعون بها ، كما اظهر البحث اهتمام هذه المجالس بمختلف المواضيع الاجتماعية التي تخص المجتمع كأنواع

الطعام والشراب والنساء وحسن تربيتهن وأسس اختبارهن كزوجات، ودورهن المؤثر في بناء المجتمع .

كما أثبتت الدراسة دور مجالس الخلفاء الأمويين في مناقشة وتطور مختلف العلوم الدينية واللغوية ، والتاريخية والأدبية والإسهام في تطورها .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا : المصادر الخطية

البياسي : يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري (ت 653هـ/1255م) .
1- الأعلام في الحروب الواقعة في صدر الإسلام ، نسخة مصورة بالفوتستات في مكتبة المجمع العلمي العراقي ، تحت رقم (293-294م) .
مجهول (من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) .
2- غرر السير ، نسخة الدكتور مهند ماهر عن نسخة الدكتور عبد الأمير دكسن ، عن مخطوطة مكتبة البودليان في اوكسفورد برقم (2-54) .

ثانيا : المصادر المطبوعة

الأبشيهي : شهاب الدين محمد بن أحمد (ت 850هـ/1446م) .
1- المستطرف في كل فن مستظرف ، جزءان ، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع ، دار القلم ، (بيروت ، بلا ت) .
ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/1260م) .
2- إعتاب الكتّاب ، تحقيق : الدكتور صالح الأشتر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، (دمشق، 1961م) .
3- الحلة السيراء ، تحقيق : حسين مؤنس ،ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر ، (القاهرة ،1963م) .
ابن أبي الحديد : عبد الحميد بن هبة الله (ت 656هـ/ 1258م) .
4- شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1، دار الجيل ،(بيروت ،1987م) .
ابن أبي الربيع : أحمد بن محمد (ت227هـ/842م).
5- سلوك المالك في تدبير الممالك ، دراسة وتحقيق : الدكتور ناجي التكريتي ، ط1، مطبعة الهدف ، (بيروت ، 1978م) .
ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت 630هـ/1232م).
6- الكامل في التاريخ ، أحد عشر جزءً ، راجعه وصححه : الدكتور محمد يوسف الدقاق ،ط3، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1998م) .
7- أُسد الغابة في معرفة الصحابة،تحقيق:محمد إبراهيم البنا وآخرين،دار الشعب ، (القاهرة ، بلا ت) .
8 - اللباب في تهذيب الأنساب ، ثلاثة أجزاء ، مكتبة المثنى ، (بغداد ، بلا ت) .
ابن الأزرق : أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد (ت 896هـ/ 1491م) .
9- بدائع السلك في طباع الملك ، جزءان ، تحقيق : الدكتور علي سامي النشار ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1978م)
ابن أعثم: أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت 314هـ/ 926م) .

10 –الفتوح،ثمانية أجزاء،ط1،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن،(الهند ، بلا ت) .
ابن الأنباري : أبو بكر محمد بن القاسم (ت 328هـ/940م) .
11-الأضداد في اللغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المطبوعات والنشر ،(الكويت ، 1960م) .
ابن بكار : الزبير بن بكار (ت 256هـ/ 869م) .
12-الأخبار الموفقيات ، تحقيق : الدكتور سامي مكي العاني ، مطبعة العاني ، (بغداد ، بلا ت) .
ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت 874هـ/ 1327م).
13-النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ، ستة عشر جزءً ، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب ، (القاهرة ، بلا ت) .
ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي (ت 728هـ/ 1327م) .
14- سؤال في يزيد بن معاوية ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ،ط3، دار الكتب الجديد ، (بيروت ، 1976م) .
ابن الجزري : شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت 832هـ/1428م) .
15-غاية النهاية في طبقات القراء ، عني بنشره : ج. برجستراسر ، مكتبة الخانجي ، (مصر ، 1932م) .
ابن جلجل : أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت 382هـ/992م) .
16-طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق :فؤاد سيد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، (القاهرة،1955م) .
ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/1200م) .
17-أخبار الظراف والمتماجنين ، تقديم وتعليق:محمد بحر العلوم ،ط2،مطبعة الغري الحديثة ، (النجف،1967م)
18-المصباح المضيء في خلافة المستضيء ، تحقيق : ناجية عبد الله إبراهيم ، مطبعة الشعب ، (بغداد،1977م) .
19-أخبار الحمقى والمغفلين ، تحقيق : علي الخاقاني ،ط2، مطبعة المصري ،(بغداد ،1966م).
20-الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء ، تحقيق : فؤاد عبد المنعم أحمد ،مراجعة السيد الصفطاوي ، المطبعة العصرية ، (الاسكندرية ،1978م).
21-كتاب القصاص والمذكِّرين ، تحقيق : الدكتور مارلين سوارتز ، دار المشرق ، (بيروت ، بلا ت) .
22-صفة الصفوة ، أربعة أجزاء ، تحقيق : محمود فاخوري ، ط1، مطبعة النهضة الجديدة ، (القاهرة ، 1970م) .
23-المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ، تحقيق : الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، 1995م) .
ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البُستي (ت 354هـ/ 965م) .
24-الثقات ، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ،(الهند ، 1981م) .

25-مشاهير علماء الأمصار ، وضع حواشيه وعلق عليه : مجدي بن منصور بن سيد الشورى ، ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1995م) .
ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت 245هـ/ 859م) .
26-كتاب المنمق في أخبار قريش ، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه : خورشيد أحمد فارق ، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، (الهند ، 1964م) .
27-كتاب المحبر ، اعتنت بتصحيحه : الدكتورة ايلزة ليختن شتيتر ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، (الدكن ، 1942م) .
28- أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والاسلام وأسماء من قتل من الشعراء ، ضمن كتاب نوادر المخطوطات ، ط1، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة، 1954م) .
ابن حجر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ/ 1448م) .
29-الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، 1989م) .
30-تهذيب التهذيب ، ط2، دار إحياء التراث العربي ،(بيروت ، 1993م) .
31-لسان الميزان ، ط2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، (بيروت ، 1971م) .
ابن حجة الحموي : تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد (ت 837هـ/ 1433م) .
32-ثمرات الأوراق ، صححه وعلق عليه : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1، مكتبة الخانجي ،(مصر ، 1971م) .
ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هـ/ 1063م) .
33-جمهرة أنساب العرب،تحقيق وتعليق : عبد السلام محمد هارون ،ط 5،دار المعارف،(مصر، بلا ت) .
34-الفصل في الملل والأهواء والنحل ، جزءان ، مؤسسة الخانجي ، (مصر ، بلا ت).
ابن حنبل : أحمد (ت 241هـ/ 855م) .
35-مسند الإمام أحمد ، عشرون جزءً ،ط1، دار الحديث ، (القاهرة ، 1995م) .
ابن خرداذبة : أبو القاسم عبد الله بن عبد الله (ت في حدود 300هـ/ 912م) .
36-المسالك والممالك ،(ليدن ، 1989م) .
ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت 808هـ/ 1405م) .
37-المقدمة ، مكتبة المثنى ، (بغداد ، بلا ت) .
38-العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، (بيروت ، 1979م) .
ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ/ 1282م) .
39-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ثمانية أجزاء ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ،(بيروت ، 1977م) .
ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ/ 933م) .
40-الاشتقاق ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، (مصر ، بلا ت) .
ابن رجب الحنبلي : زين الدين (ت 795هـ/ 1392م) .

41-لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، دار الجيل ، (بيروت ، 1975م) .
ابن رستة : أبو علي أحمد بن عمر (ت بعد 290هـ/ 902م) .
42-الأعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ، (ليدن ، 1891م) .
ابن رشيق : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت 456هـ/ 1063م) .
43-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط3، مطبعة السعادة، (مصر ، 1963م) .
ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع (ت 230هـ/ 844م) .
44-الطبقات الكبرى ، ثمانية أجزاء ، دار صادر ، (بيروت ، 1957م) .
ابن سلام : أبو عبيد القاسم (ت 224هـ/ 838م) .
45-كتاب الأموال ، شرحه : عبد الأمير علي مهنا ،ط1، دار الحداثة ، (بيروت ، 1988م) .
ابن سلام ، محمد بن سلام الجمحي (ت 231هـ/ 845م) .
46-طبقات فحول الشعراء ، جزءان ، قراءه وشرحه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ،(القاهرة ، 1974م) .
ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 458هـ/ 1065م) .
47-المخصص ، خمسة أجزاء ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، (بيروت ، بلا ت) .
ابن سيد الناس : أبو الفتح محمد بن محمد (ت 734هـ/ 1333م) .
48-عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ط1، دار الآفاق الجديدة ، (بيروت ، 1977م) .
ابن شبه : أبو زيد عمر بن شبه النمري البصري (ت 262هـ/ 875م) .
49-تاريخ المدينة المنورة ، أربعة أجزاء ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، ط1، دار التراث ،(بيروت ، 1990م) .
ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت709هـ /1309م).
50-الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ،(بيروت ،بلا ت).
ابن عبد البر :أبوعمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر المري القرطبي(ت463هـ/1070م).
51-الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، دار الفكر ،(بيروت، بلا ت). وهو بهامش كتاب الإصابة لابن حجر .
52-بهجة المجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق :محمد مرسي الخولي ، دار الجيل للطباعة (القاهرة ، بلا ت).
53-جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ، الطباعة المنيرية ، (مصر ، بلا ت) .
ابن عبد الحكم : أبو محمد عبد الله (ت214هـ/829م).
54-سيرة عمر بن عبد العزيز ، نسخها وصححها وعلق عليها :أحمد عبيد ،ط 6 ،عالم الكتب ، (بيروت،1984م).
ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت257هـ/870م).
55-فتوح مصر وأخبارها ،مطبعة بريل ،(ليدن،1920م).
ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (ت328هـ/940م).

56-العقد الفريد ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بلات.
ابن العبري : أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري (ت685هـ/1286م).
57-تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت،1958م).
ابن عذارى : أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت 695هـ/1295م).
58-البيان المغرب في أخبار المغرب ، مطبعة المناهل ، (بيروت ،1947م-1950م) .
ابن العربي : القاضي أبو بكر محي الدين محمد بن علي (ت:638هـ/1240م).
59-العواصم من القواصم تحقيق في مواقف الصحابة ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، دار الثقافة (بغداد، بلا ت) .
60-كتاب محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار ، دار اليقظة العربية ، (بيروت ،1968م).
ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت571هـ/1175م).
61-تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق :صلاح الدين المنجد ،مطبوعات المجمع العلمي العربي، (دمشق،بلا ت).
62-تاريخ مدينة دمشق ، دارسة وتحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر (بيروت ،1995م).
ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي (ت1089هـ/1678م)
63-شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ،1988م).
ابن العمراني : محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (ت580هـ/1184م).
64-الانباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : الدكتور قاسم السامرائي (لايدن ، 1973م).
ابن عنبة ، جمال الدين أحمد بن علي الحسني المعروف بابن عنبة (ت828هـ/1422م).
65-عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، عني بتصحيحه : محمد حسن آل الطالقاني ،ط2، منشورات المطبعة الحيدرية ،(النجف ،1961م).
ابن فارس : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ/1004م).
66-معجم مقايس اللغة ، جزءان ، وضع حواشية : إبراهيم شمس الدين ،ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت ،1999م),
ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن ابراهيم الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت289هـ/901م).
67-مختصر كتاب البلدان ، بريل ،(ليدن ،1885م).
ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ/889م) .
68-عيون الأخبار ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، 1963م .
69-الشعر والشعراء ، جزءان ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، (مصر ، 1966م) .
70-المعارف ، ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1987م) .

71-الإمامة والسياسة ، المنسوب إليه ، ط3، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، (مصر، 1963م) .
ابن قنفذ القسطيني : أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسطيني (ت810هـ/1407م) .
72-الوفيات ، تحقيق : عادل نويهض ، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ،1971م)
ابن قيس الرقيات : عبيد الله (ت85هـ/704م) .
73- ديوان عبيد الله بن قيس ، تحقيق وشرح : محمد يوسف نجم ، دار بيروت ، (بيروت ، 1958م) .
ابن القيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 751هـ/1350م) .
74-أحكام أهل الذمة ، ط1، تحقيق : صبحي الصالح ، مطبعة جامعة دمشق ، (دمشق ، 1961م).
ابن الكازروني : ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت 697هـ/1297م) .
75-مختصر التاريخ من أول الزمان الى منتهى دولة بني العباس ، حققه وعلق عليه : الدكتور : مصطفى جواد ، مطبعة الحكومة ، (بغداد ، 1970م) .
ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774هـ/1372م) .
76- البداية والنهاية ، دقق أصوله وحققه : الدكتور أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، بلا ت) .
77-تفسير القرآن العظيم ، ط2، مكتبة الفيحاء ، (دمشق ، 1998م) .
ابن المعتز : عبد الله بن المعتز بن المتوكل (ت 296هـ/ 908م) .
78-طبقات الشعراء ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، ط2، دار المعارف،(مصر ، 1968م) .
ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري (ت 711هـ/1311م) .
79-لسان العرب المحيط ، إعداد وتصنيف : يوسف خياط ونديم مرعشلي،دار لسان العرب ،(بيروت ، بلا ت) .
80-مختار الأغاني في الأخبار والتهاني ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (القاهرة ، 1966م) .
ابن منقذ : أسامة (ت 584هـ/ 1188م) .
81-لباب الآداب ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، المطبعة الرحمانية ، (مصر ، 1935م) .
ابن نباتة : جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة المصري (ت 768هـ/1366م) .
82-سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المدني ، (القاهرة، 1964م) .
ابن النديم : أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق المعروف بالوراق (ت 385هـ/994م) .
83-الفهرست ، مكتبة خياط ، (بيروت ، 1964م) .
ابن هذيل : أبو الحسن علي بن عبد الرحمن (ت القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) .
84-عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1981م) .
ابن هشام : أبومحمد عبد الملك (ت 218هـ/ 833م) .

85-السيرة النبوية ، حققها وضبطها : مصطفى السقا وآخرون ، ط3، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت، 2000م) .
ابن الوردي : زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد الشهير بابن الوردي (ت 749هـ/1348م) .
86-تاريخ ابن الوردي ، جزءان ، ط2، المطبعة الحيدرية ، (النجف ، 1969م) .
أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت 275هـ/ 888م) .
87-سنن أبي داود ، تحقيق : محمد عبد العزيز الخالدي ، ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت ،2001م) .
أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر الشافعي (ت 732هـ/1331م) .
88-المختصر في أخبار البشر ، جزءان ، بلا ت .
أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم (ت 182هـ/ 798م) .
89-الخراج ، ط3، المطبعة السلفية ، (القاهرة ، 1382هـ) .
الآبي : أبو سعد منصور بن الحسين (ت 421هـ/ 1030 م) .
90-نثر الدر ، تحقيق : محمد علي قرنة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،(القاهرة ، 1987م) .
الإربلي : عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت 717هـ/ 1317م) .
91-خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، وقف على طبعه وتصحيحه : مكي السيد جاسم ، مكتبة المثنى ، (بغداد ، بلا ت) .
الأزدي : أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم (ت 334هـ/945م) .
92-تاريخ الموصل ، تحقيق : الدكتور علي حبيبة ، دار التحرير للطبع والنشر ، (القاهرة ، 1967م) .
الأزرقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت 233هـ/847م) .
93-أخبار مكة المشرفة وما جاء فيها من الآثار، أربعة أجزاء ، مكتبة خياط ، (بيروت ، 1964م) .
الإسكافي : محمد بن عبد الله الخطيب (ت 421هـ/1030م) .
94-لطف التدبير ، حققه وعلق عليه : أحمد عبد الباقي ، مطبعة السنة المحمدية، (القاهرة ، 1964م) .
الأصبهاني : أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت 430هـ/1038م) .
95-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، عشرة أجزاء ، دار الفكر ، (بيروت ، بلا ت) .
الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت 356هـ/966م) .
96-الأغاني ، شرحه وكتب هوامشه : الأستاذ عبد أ.علي مهنا وسمير جابر ، ط1،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1986م.
الأصمعي : عبد الملك بن قريب (ت 217هـ/832م) .
97-تاريخ العرب قبل الإسلام ، تحقيق : الشيخ محمد بن حسن آل ياسين ، ط1، مطبعة المعارف ، (بغداد، 1959م) .
الآمدي : أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت 370هـ/980م) .

98-المؤتلف والمختلف ، تصحيح وتعليق : الأستاذ الدكتور ف . كرنكو ، مكتبة القدس ، (القاهرة ، 1354هـ) .
الأنباري : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 577هـ/ 1181م) .
99-نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ،(القاهرة ، 1998م) .
الأنصاري : أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد (ت 783هـ/1381م) .
100-المصباح المضيء في كتَّاب النبي ورسله الى ملوك الأرض من عربي وعجمي ، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، (الهند ، 1976م) .
بحشل : أسلم بن سهل الرزاز الواسطي (ت 292هـ/ 905م) .
101-تاريخ واسط ، تحقيق : كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، 1967م) .
البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ/ 869م) .
102-صحيح البخاري ، ط1، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، 2001م) .
103-التاريخ الكبير ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، بلا ت) .
البصري : صدر الدين أبو الفرج بن الحسين (ت 659هـ/ 1260م) .
104-الحماسة البصرية ، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه : الدكتور مختار الدين أحمد ، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، (الهند ، 1964م) .
البغدادي : أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي (ت 429هـ/1037م) .
105-الملل والنحل ، حققه وقدم له وعلق عليه : البير نصري نادر ، دار المشرق ، (بيروت، بلا ت) .
البغدادي : عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ/1682م) .
106-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، ثلاثة عشر جزءً ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، 1989م) .
البلاذري : أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/ 892م) .
107-أنساب الأشراف ، ج4-ق2، (القدس ، 1938م) .
108-أنساب الأشراف ، ج5، (القدس ، 1936م) .
109-أنساب الأشراف ، حققه وعلق عليه : الشيخ محمد باقر المحمودي ، ط1، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، (بيروت ، 1974م) .
110-فتوح البلدان ، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف ،(بيروت ، 1987م) .
البيهقي : الشيخ إبراهيم بن محمد (من علماء القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) .
111-المحاسن والمساوئ ، دار صادر ، دار بيروت ، (بيروت ، 1960م) .
الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت 279هـ/892م) .
112-سنن الترمذي ، دار الفكر ، (بيروت ، 1983م) .
التنوخي : أبو علي المحسن بن علي بن محمد (ت 384هـ/994م).
113-المستجاد من فعلات الأجواد ، عني بنشره وتحقيقه : محمد كرد علي ، مطبعة الترقي ،(دمشق ، 1946م) .

114-الفرج بعد الشدة ، ط1، دار الطباعة المحمدية ، (القاهرة ، 1955م) .
115-نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ثمانية أجزاء ، تحقيق : عبود الشالجي ، دار صادر ، (بيروت، 1972م) .
التوحيدي : أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت 414هـ/1023م) .
116-الإمتاع والمؤانسة ، ثلاثة أجزاء ، صححه وضبطه وشرح غريبه : أحمد أمين وأحمد الزين ، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، بلا ت) .
117-البصائر والذخائر ، حققه وعلق عليه : أحمد أمين والسيد أحمد الصقر ، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، 1953م) .
الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت 429هـ/1037م) .
118-لطائف المعارف ، تحقيق : إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي ، دار إحياء الكتب العربية ، (القاهرة ، بلا ت) .
119-برد الأكباد في الأعداد، ط1، مطبعة النجائب ، (قسطنطينية ، 1301هـ) .
120-ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، مطبعة مدني ، (القاهرة ، 1965م) .
ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 291هـ/903م) .
121-مجالس ثعلب ، قسمان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ،(مصر ، بلا ت) .
الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ/ 868م) .
122- البخلاء ، حقق نصه وعلق عليه : طه الحاجري ، دار الكتاب المصري ، (القاهرة ، 1948م) .
123-رسائل الجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ط1، مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، 1979م) .
124-البيان والتبيين ، أربعة أجزاء ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط4، دار الفكر ، (بيروت ، بلا ت) .
125-كتاب الحيوان ، ثمانية أجزاء ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، (بيروت ، 1988م) .
126-كتاب التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق : الأستاذ أحمد زكي باشا ، ط1، المطبعة الأميرية ، (القاهرة، 1914م) .
127-كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الرشيد للنشر ، (بغداد ، 1982م) .
الجرجاني : أبو العباس أحمد بن محمد (ت 482هـ/1089م) .
128-المنتخب من كتابات الأدباء وإشارات البلغاء ، دار صعب ، (بيروت ، بلا ت) .
الجرجاني : أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت816هـ/1413م) .
129-كتاب التعريفات ، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، 1998م) .

جرير : بن عطية الخطفي (ت 114هـ/ 732م) .
130-ديوان جرير ، تحقيق : نعمان محمد طه ، دار المعارف ، (القاهرة ، 1971م) .
الجهشياري : أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت 331هـ/942م) .
131-كتاب الوزراء والكتَّاب ، حققه ووضع فهارسه : مصطفى السقا وآخرون ، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، (القاهرة ، 1938م) .
الجوهري : إسماعيل بن حماد (ت 398هـ/ 1007م) .
132-الصحاح ، ستة أجزاء ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط3، دار العلم للملايين ،(بيروت ، 1984م) .
الحاتمي : أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر (ت 382هـ/992م) .
133-حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، جزءان ، تحقيق : الدكتور جعفر الكتاني ، دار الرشيد للنشر ، (بغداد ، 1979م) .
الحريري : القاسم بن علي (ت 516هـ/1122م) .
134-درة الغواص في أوهام الخواص ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، (القاهرة ، 1997م) .
الحميري : أبو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان اليمني (ت 573هـ/1177م) .
135-الحور العين ، تحقيق : كمال مصطفى ، مطبعة السعادة ، (القاهرة ، 1948م) .
الحميري : أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ/1494م) .
136-الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق : إحسان عباس ، ط2، مكتبة لبنان ، (بيروت ،1984م) .
الخالديان : أبو بكر محمد (ت380هـ/990م) وأبو عثمان سعيد (ت391هـ/1000م) ابني هاشم.
137-كتاب التحف والهدايا ، تحقيق : سامي الدهان ، دار المعارف ، (مصر ، 1956م) .
الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ/1070م) .
138- تاريخ بغداد ،أربعة عشر جزءً ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، بلا ت) .
الخفاجي : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت 1069هـ/1659م) .
139-طراز المجالس ، المطبعة الوهبية ، (مصر ، 1284هـ) .
خليفة بن خياط : خليفة بن خياط بن شباب العصفري (ت 240هـ/854م) .
140-تاريخ خليفة بن خياط ، جزءان ، حققه وقدم له : أكرم ضياء العمري ، مطبعة الآداب ، (النجف الأشرف ، 1967م) .
141-الطبقات ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ،ط1، مطبعة العاني ،(بغداد ، 1967م) .
الدميري: كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى (ت 808هـ/1405م) .
142-حياة الحيوان الكبرى ، مطبعة الإستقامة ، (القاهرة ، 1958م) .
الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن (ت 982هـ/1574م) .
143-تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، دار صادر ، (بيروت ، بلا ت) .
الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282هـ/895م) .
144-الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم ماجد ، ط1، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (القاهرة ، 1960م) .

الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت 748هـ/1347م) .
145-تذكرة الحفاظ ، جزءان ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، 1975م) .
146-ميزان الأعتدال في نقد الرجال ، أربعة أجزاء ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، بلا ت) .
147-العبر في خبر من غبر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، (الكويت ، 1960م) .
148-سير أعلام النبلاء ، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط ، ط1، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، 1981م) .
الراغب الأصفهاني : أبو القاسم حسين بن محمد (ت 502هـ/1108م) .
149-محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، 1961م) .
الرقيق القيرواني : أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (من علماء القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) .
150-تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق : المنجي الكعبي (تونس ، 1968م) .
الرقيق النديم : أبو إسحق ابراهيم المعروف بالرقيق النديم (ت 417هـ/1026م) .
151-قطب السرور في أوصاف الخمور ، تحقيق : أحمد الجندي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، (دمشق، بلا ت) .
الزبيدي : محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى (ت 1205هـ/1791م) .
152-تاج العروس من جواهر القاموس ، منشورات مكتبة الحياة ، (بيروت ، بلا ت) .
الزبيري : أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت 236هـ/850م) .
153-كتاب نسب قريش ، عني بشره : إ . ليفي بروفنسال ، ط3، دار المعارف ،(القاهرة ، بلا ت) .
الزجاجي : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق (ت 340هـ/951م) .
154-مجالس العلماء ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، مطبعة حكومة الكويت ، (الكويت ،1962م) .
155-أمالي الزجاجي ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ط2، دار الجيل ، (بيروت ، 1987م).
الزمخشري : جار الله أبو القاسم محمد بن عمر (ت 538هـ/1143م) .
156-ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تحقيق : الدكتور سليم النعيمي ، مطبعة العاني ، (بغداد ، بلا ت).
157- المستقصى في أمثال العرب ، جزءان ، ط3، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1987م) .
السجستاني : أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان (ت 250هـ/864م) .
158-المعمرون والوصايا ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، دار إحياء الكتب العربية ، (القاهرة ، 1961م) .
السدوسي : مؤرج بن عمر (ت 195هـ/810م) .
159-كتاب حذف من نسب قريش،نشره:الدكتور صلاح الدين المنجد،مطبعة المدني ، (القاهرة ، بلا ت) .

السرخسي : أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت 483هـ/1090م) .
160-أصول السرخسي ، تحقيق : أبي الوفاء الأفغاني، مطابع دار الكتاب العربي ،(القاهرة ، 1372هـ) .
السكتواري : علاء الدين علي دده السكتواري البسنوي (ت 1007هـ/1598م) .
161-محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر ، المطبعة العامرة الشرفية ، 1311هـ.
السمعاني : أبو عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562هـ/1166م) .
162-الأنساب ، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه : الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، (الهند ، 1963م) .
السيوطي : جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت 911هـ/1505م) .
163- تاريخ الخلفاء ، تحقيق :محمد محي الدين عبدالحميد، ط3، مطبعة المدني ، (القاهرة ، 1964م) .
164-المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ضبطه وصححه وضبط حواشيه : فؤاد منصور ، ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1998م)
الشابشتي : أبو الحسن علي بن محمد (ت 388هـ/998م) .
165-الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد ، ط3، دار الرائد العربي ، (بيروت ، 1986م) .
الشريف المرتضى : علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت 436هـ/1044م) .
166- أمالي المرتضى ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، 1967م) .
الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ/1153م).
167-الملل والنحل ، مطبوع على هامش كتاب الفصل في الملل والنحل لابن حزم ، مؤسسة الخانجي ، (مصر ، بلا ت)
الشيرازي : أبو إسحق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت 476هـ/1083م) .
168-طبقات الفقهاء ، تصحيح ومراجعة : الشيخ خليل الميس ، دار القلم ، (بيروت ، بلا ت) .
الصابي : أبو الحسين هلال بن المحسن (ت 448هـ/ 1056م) .
169-رسوم دار الخلافة ، عني بتصحيحه والتعليق عليه ونشره : ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ، (بغداد، 1964م) .
الصفدي : خليل بن أيبك (ت 764هـ/1362م) .
170- تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المدني ، (القاهرة، 1969م)
الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335هـ/946م) .
171-أدب الكتّاب ، باعتناء : محمد بهجة الأثري ، دار الباز للطباعة والنشر ، بلا ت .
الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/922م) .
172-تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط4، دار المعارف ، (مصر ، 1979م) .
الطرطوشي : أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري المالكي (ت 520هـ/1126م) .
173-سراج الملوك ، ط1، المطبعة المحمدية التجارية بالأزهر ، (مصر ، 1935م) .

العبدي : أبو الحسن محمد بن عمران (ت 355هـ/966م) .
174-العفو والاعتذار ، جزءان ، تحقيق : الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (الرياض ، 1981م) .
العسكري : أبو أحمد الحسن بن عبد الله (ت 382هـ/992م) .
175-المصون في الأدب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط2، مطبعة المدني ، (مصر ، 1982م) .
العسكري : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت 395هـ/1004م) .
176- الأوائل ، ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت ،1987م) .
177-كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق : الدكتور مفيد قميحه ، ط2، دار الكتب العلمية ، (بيروت، 1989م) .
178-كتاب جمهرة الأمثال ، جزءان ، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه : محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ، ط2، دار الجيل ، (بيروت ، 1988م) .
العصامي :عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت 1111هـ/1699م).
179-سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي، أربعة أجزاء، المطبعة السلفية، بلا ت .
العمري : شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت 742هـ/1341م) .
180-مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : أحمد زكي باشا ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة،1924 م)
غرس النعمة : أبو الحسن محمد بن هلال الصابي (ت 480هـ/1087م) .
181-الهفوات النادرة ، تحقيق : الدكتور صالح الأشتر ، ط1، مطبوعات مجمع اللغة العربية ،(دمشق ، 1967م) .
الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ/1111م) .
182-مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء ، تحقيق : محمد جاسم الحديثي ، ط1، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1988م) .
الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1415م) .
183- القاموس المحيط ، دار الفكر ، (بيروت ، بلا ت) .
القالي : أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت 356هـ/966م) .
184- الأمالي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، بلا ت) .
قدامة بن جعفر : أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت 337هـ/948م).
185-الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق : الدكتور محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر ، (بغداد، 1981م) .
القرشي : أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) .
186-جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، (القاهرة ، بلا ت) .
القفطي : جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 646هـ/1248م) .
187-تاريخ الحكماء من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، لا يبزك ، (برلين ، 1903م) .

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م) .
188-مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، ط1، عالم الكتب ، (بيروت ، 1964م) .
189-صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه :محمد حسين شمس الدين ، ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1987م) .
190-قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط1، مطبعة السعادة ، (القاهرة ، 1963م) .
القيرواني : أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري (ت 453هـ/ 1061م) .
191-زهر الآداب وثمر الألباب ، جزءان ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط1، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة ، 1953م) .
192-ذيل زهر الآداب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط1، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (القاهرة ، 1953م) .
القيرواني : عبد الكريم النهشلي (عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) .
193-الممتع في صنعة الشعر ، شرح وتحقيق : عباس عبد الساتر ، ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1983م) .
الكتبي : محمد بن شاكر بن أحمد (ت 764هـ/1363م) .
194-فوات الوفيات ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، (مصر ، 1951م) .
الكرماني : محمد بن يوسف بن علي بن سعيد (ت 786هـ/1384م) .
195-الفرق الإسلامية ، تحقيق : سليمة عبد الرسول ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد ، 1973م) .
كثير عزة : عبد الرحمن بن الأسود (ت 105هـ/723م) .
196-الديوان ، جمعه وشرحه : الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، (بيروت ، 1971م) .
الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري (350هـ/961م) .
197-كتاب الولاة وكتَّاب القضاة ، مهذبا ومصححا بقلم : رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، (بيروت، 1908م) .
المالكي : أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله (ت 453هـ/1061م) .
198-رياض النفوس ، قام على نشره : حسين مؤنس ، ط1، مكتبة النهضة المصرية ،(القاهرة ، 1951م).
الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت 450هـ/1058م) .
199-الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الحرية للطباعة ،(بغداد ، 1989م) .
200-نصيحة الملوك ، تحقيق : محمد جاسم الحديثي ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، بلا ت) .
المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ/898م) .
201-الكامل في اللغة والأدب ، أربعة أجزاء ، عارضه باصوله وعلق عليه : محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة ، مطبعة نهضة مصر ،(القاهرة ، بلا ت) .
202-الفاضل ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، مطبعة دار الكتب المصرية ،(القاهرة ،1956م) .
مجهول :

203-أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده ، تحقيق : الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت ، 1971م) .
مجهول :
204-أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها ، مطبعة ربدنير ، (مدريد ،1867م) .
مجهول :
205-تاريخ الخلفاء ، نشره : بطرس غريازنيويج ، (موسكو ، 1967م) .
مجهول :
206-العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، (بريل ، 1869م) .
المدائني : أبو الحسن علي بن محمد (ت 228هـ/842م) .
207-كتاب التعازي ، تحقيق : ابتسام مرهون الصفار وبدري محمد فهد ، مطبعة النعمان ، (النجف الأشرف ، 1971م) .
المرادي : أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني (كان حيا سنة 487هـ/1094م) .
208-كتاب الإشارة الى أدب الإمارة ، دراسة وتحقيق : الدكتور رضوان السيد ، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت ، 1981م) .
المرزباني : أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت 384هـ/994م) .
209-معجم الشعراء ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، (القاهرة ، 1960م).
210-الموشح ، وقف على طبعه واستخراج فهارسه : محب الدين الخطيب ، ط2، المطبعة السلفية ، (القاهرة ، 1385هـ) .
المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/957م) .
211-التنبيه والإشراف ، عني بتصحيحه ومراجعته : عبد الله إسماعيل الصاوي ، 1938م .
212- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق وتعليق : الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي ، ط1، (بيروت ، 1989م) .
مسلم النيسابوري : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت 261هـ/874م) .
213- صحيح مسلم، ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 2001م) .
المقدسي : مطهر بن طاهر (ت 322هـ/933م) .
214-البدء والتاريخ ، مطبعة برطرند ، (شالون ، 1916م) .
المقريزي : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت 845هـ/1441م) .
215-الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، 1955م) .
216-كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان ، مطبعة بولاق ، 1294هـ، وأعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى ، (بغداد ، 1970م) .
217-النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، طبع على مطبوعة ليدن ، بمطبعة بريل سنة 1888م، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، (النجف ، 1966م) .
المقري : أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ/1631م) .

218-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ، 1997م).
الميداني : أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت 518هـ/1124م) .
219-مجمع الأمثال ، أربعة أجزاء ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2، دار الجيل ،(بيروت ، 1987م) .
النهرواني : أبو فرج معافى بن زكريا (ت 390هـ/999م) .
220- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، جزءان ، تحقيق : الدكتور محمد مرسي الخولي ، ط1، عالم الكتب (بيروت ، 1983م) .
النووي : أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف بن بري (ت 676هـ/1277م) .
221-تهذيب الأسماء واللغات ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية ، (مصر ، بلا ت) .
النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/1333م) .
222-نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : محمد رفعت فتح الله ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، (القاهرة ، 1975م) .
الواحدي : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت 468هـ/1075م) .
223-الوسيط في الأمثال ، تحقيق : الدكتور عفيف محمد عبد الرحمن ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، (الكويت ، 1975م)
الوشاء : أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق (ت 325هـ/936م) .
224-الفاضل في صفة الأدب الكامل ، تحقيق : يوسف يعقوب مسكوني ، ج1، مطبعة شفيق ، (بغداد ، 1971م) .
225-الفاضل في صفة الأدب الكامل ، تحقيق : يوسف يعقوب مسكوني ، جمعه ووضع فهارسه : حكمت رحماني ، ج2، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1977م) .
ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ/1229م) .
226-معجم الأدباء ، ط3، دار الفكر ، (بيروت ، 1980م) .
227-معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا ت) .
اليزيدي : أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد (ت 310هـ/922م) .
228-كتاب الأمالي ، عالم الكتب بيروت ، مكتبة المتنبي ، (القاهرة ، بلا ت) .
اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح الأخباري (ت 282هـ/895م) .
229-تاريخ اليعقوبي ، علق عليه ووضع حواشيه : خليل المنصور ، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1999م) .

ثالثا : المراجع الحديثة

إبراهيم : فاضل خليل .
1- خالد بن يزيد ، سيرته واهتماماته العلمية ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1984م) .
أبو زهرة : محمد .
2-الإمام زيد ، ط1، دار الفكر ، مطبعة أحمد علي مخيمر ، بلا ت .

أبيض : ملكة.
3-التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، بالاستناد إلى مخطوط تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر ، ط1، دار العلم للملايين ، (بيروت ، 1980م) .
ارنولد : توماس .
4-الخلافة ، ترجمة : جميل معلى ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بلا ت.
الأعظمي : عواد مجيد .
5-الأمير مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، (بغداد، 1980م) .
الأعظمي : عواد مجيد وحمدان عبد المجيد الكبيسي .
6-دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي ، مطبعة التعليم العالي ، (بغداد ، 1988م).
الآلوسي : محمود شكري الآلوسي البغدادي .
7- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه : محمد بهجة الأثرى ،ط3، مطابع دار الكتاب العربي ، (مصر ، بلا ت) .
الآلوسي : جمال الدين .
8-الدبلوماسية عند العرب المسلمين ، مطبعة الأوقاف ، (بغداد ، 1979م) .
أمين : أحمد .
9-فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، 1969م) .
10-النقد الأدبي ، ط4، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، 1967م) .
بخش : خودا.
11-الحضارة الإسلامية ، ترجمة وتعليق : دكتور علي حسني الخربوطلي ، دار إحياء الكتب العربية ، (القاهرة ، 1960م) .
بدران : عبد القادر .
12-تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ط2، دار المسيرة ، (بيروت ، 1979م) .
بروكلمان : كارل
13-تاريخ الأدب العربي ، ثلاثة أجزاء ، ترجمة : الدكتور عبد الحليم النجار ، دار المعارف، (مصر ، 1962م) .
جاد المولى : محمد أحمد وآخرون .
14-قصص العرب ،دار الجيل ، (بيروت ، 1988م) .
جب : هاملتون.
15-المدخل في الأدب العربي ، ترجمة : كاظم سعد الدين ، 1969م.
الجبوري : يحيى (الدكتور) .
16-شعر عروة بن أذينة ، مطابع التعاون اللبنانية ، (لبنان ، بلا ت) .
جعفر : نوري (الدكتور) .
17-الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام ، مطبعة الزهراء ،(بغداد ، 1956م) .
جلوب : جوب جابوت .

18-الفتوحات العربية الكبرى ، تعريب وتعليق : خيري حماد ، منشورات مكتبة المثنى ، (بغداد ، بلا ت) .
الجنابي : خالد جاسم (الدكتور) .
19-تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد،1984م).
جولد تسيهر : اجناس.
20-العقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة : محمد يوسف موسى وآخرين ، ط2، دار الكتاب العربي ، (مصر ، بلا ت)
الجومرد : محمود (الدكتور) .
21-الحجاج رجل الدولة المفترى عليه ، ط1، مطبعة الأديب البغدادية المحدودة ، (بغداد ، 1985م) .
الحاني : ناصر .
22-شعر الراعي النميري وأخباره ، راجعه وجمع شواهده ووضع فهارسه : عز الدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، (دمشق ، 1964م) .
حتي : فيليب وآخرون .
23-تاريخ العرب ، دار الكشاف للطباعة والتوزيع ، (بيروت ، 1953م) .
حسن : حسن إبراهيم وعلي إبراهيم حسن .
24-النظم الإسلامية ، ط3، مطبعة السنة المحمدية ، (القاهرة ، 1962م) .
حسن : علي إبراهيم .
25-تاريخ الإسلام العام ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ، بلا ت) .
حسن : ناجي (الدكتور) .
26-القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي ، ط1، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، (بغداد ، 1980م) .
حمادي : محمد جاسم .
27-الجزيرة الفراتية والموصل ، دراسة في التاريخ السياسي والاداري ، دار الرسالة للطباعة ، (بغداد ، 1977م) .
الخربوطلي : علي حسني (الدكتور) .
28-الدولة العربية والإسلامية ، دار إحياء التراث العربي ، (القاهرة ، 1960م) .
29-تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، دار المعارف ، (مصر ، 1959م) .
30-العرب والحضارة ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة ، 1966م) .
31-الحضارة العربية الإسلامية ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، بلا ت) .
الخضري بك : الشيخ محمد.
32-محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، ط8، المكتبة التجارية الكبرى ، (مصر ، 1382م) .
خليل : عماد الدين (الدكتور) .
33-ملامح الإنقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ط3، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، 1978م) .

خماش : نجدت .
34-الإدارة في العصر الأموي ، ط1، دار الفكر ، (دمشق ، 1980م) .
الخيرو : رمزية عبد الوهاب .
35-إدارة العراق في صدر الإسلام ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1978م) .
دكسن : عبد الأمير عبد حسين (الدكتور)
36-الخلافة الأموية ، دراسة سياسية ، ط1، دار النهضة العربية ، (بيروت ، 1973م) .
الدوري : عبد العزيز(الدكتور).
37-بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت ، 1960م) .
38-الجذور التاريخية للشعوبية ، ط1، دار الطليعة ، (بيروت ، 1962م) .
39-النظم الإسلامية ، بيت الحكمة ، (بغداد ، 1988م) .
دينينت : دانيل .
40-الجزية والإسلام ، ترجمة الدكتور : فوزي فهيم جاد الله ، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت ، بلا ت) .
الراوي : ثابت إسماعيل .
41-العراق في العصر الأموي ، ط1، مطبعة الإرشاد ، (بغداد ، 1965م) .
42-تاريخ الدولة العربية ، خلافة الراشدين والأمويين ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد ، 1969م).
الريس : محمد ضياء الدين .
43-عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ، ط2، مطابع سجل العرب ، 1969م.
44-النظريات السياسية الإسلامية ،ط4، دار المعارف ، (مصر ، 1967م) .
45-الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، ط2، مطبعة لجنة البيان العربي ، (القاهرة ، 1961م) .
الزبيدي : محمد حسين (الدكتور) .
46-الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري ، المطبعة العالمية ، (القاهرة ، 1970 م) .
الزركلي : خير الدين.
47-الأعلام ، ط4، دار العلم للملايين ، (بيروت ، 1979م) .
زيدان : جرجي .
48-تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة وتعليق:شوقي ضيف، مؤسسة دار الهلال ،بلا ت .
49-تاريخ التمدن الإسلامي ، مراجعة : الدكتور : حسين مؤنس ، دار الهلال ، بلا ت .
الساعدي : كاظم جواد .
50-تاريخ البصرة ، مطبعة القضاء ، (النجف ، 1959م) .
سالم : السيد عبد العزيز (الدكتور) .
51-تاريخ الدولة العربية ، دار النهضة العربية ، (بيروت ، 1971م) .
52-تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، (بيروت ، 1971م) .
سيد الأهل : عبد العزيز .

53-الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ، ط3، دار العلم للملايين ، (بيروت ، 1969م) .
سيديو : ل .أ.
54-تاريخ العرب العام ، ترجمة : عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ، (القاهرة ، 1948م) .
الشايب : أحمد .
55-تاريخ الشعر السياسي ، ط4، مطبعة السعادة ، (مصر ، 1966م) .
الشريف : أحمد إبراهيم (الدكتور) .
56-دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة ، ط1، مطبعة الرسالة ، (القاهرة ، 1968م) .
شعبان : محمد عبد الحي محمد .
57-صدر الإسلام والدولة الأموية ، الأهلية للنشر والتوزيع ، (بيروت ، 1983م) .
58-الثورة العباسية،ترجمة:عبد المجيد حسيب القيسي،دار الدراسات الخليجية ،بلا ت .
الشكعة : مصطفى (الدكتور) .
59-معالم الحضارة الإسلامية ، ط3، دار العلم للملايين ، (بيروت ، 1978م) .
الشمري : هزاع بن عيد .
60-الحجاج بن يوسف الثقفي وجه حضاري في تاريخ الإسلام ، المطبعة العالمية ، (الرياض، بلا ت) .
الصالح : صبحي (الدكتور) .
62-النظم الإسلامية ، ط4، دار العلم للملايين ، (بيروت ، 1978م) .
الضاري : حارث سليمان (الدكتور) .
63-الإمام الزهري وأثره في السنة ، مطابع جامعة الموصل ، (الموصل ، 1985م) .
طه : عبد الواحد ذنون (الدكتور) .
63-الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس ، دار الرشيد للنشر ، (بغداد، 1982م) .
64-العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، ط1، مطابع جامعة الموصل ، (الموصل ، 1985م) .
العاني : سامي مكي .
65-معجم ألقاب الشعراء ، مطبعة النعمان ، (النجف الأشرف ، 1971م) .
العبود : نافع توفيق (الدكتور).
66-آل المهلب بن أبى صفرة ، ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، ط1، مطبعة الجامعة ، (بغداد ، 1979م) .
العسلي : بسام .
67-عبد الملك القائد ، دار النفائس ، (بيروت ، 1986م) .
68- فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين ، دار الفكر ، (بيروت ، 1988م) .
عطوان : حسين (الدكتور) .
69-القراءات في بلاد الشام ، ط1، دار الجيل ، (بيروت ، 1982م) .

70-الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي ، ط1، دار الجيل ، (بيروت ، 1986م) .
71-الرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي ، ط1، دار الجيل ،(بيروت ، 1988م).
علي : جواد (الدكتور) .
72- تاريخ العرب قبل الإسلام ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ،(بغداد ،1954م) .
العلي : صالح أحمد (الدكتور) .
73-التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت ، 1969م) .
74-الدولة في عهد الرسول ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ، 1988م) .
75-محاضرات في تاريخ العرب ، مطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ،جامعة الموصل، (الموصل ، 1981م) .
76-الخراج في العهود الإسلامية الأولى ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ، 1990م).
عليان : رشدي (الدكتور) .
77-الإسلام والخلافة ، ط1، مطبعة دار السلام ، (بغداد ، 1976م) .
العمري : أكرم ضياء .
78-بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد ، 1972م) .
عون : عبد الرؤوف .
79-الفن الحربي في صدر الإسلام ، دار المعارف ، (مصر ، 1961م) .
غازي : مصطفى (الدكتور).
80- الأخطل شاعر بني أمية ، ط2، دار المعارف ، (مصر ، بلا ت) .
الفتلاوي : سهيل حسين (الدكتور) .
81-دبلوماسية النبي محمد ، ط1، دار الفكر العربي ، (بيروت ، 2001م) .
الفراجي : عدنان علي .
82-حركات المعارضة للخلافة الأموية ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد ، بلا ت) .
فلهاوزن : يوليوس .
83-تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة : الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، 1968م) .
فلوتن : فان .
84-السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه : حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم ، ط2، مطبعة السنة المحمدية ، (القاهرة ، 1965م) .
فوزي : فاروق عمر (الدكتور) .
85-طبيعة الدعوة العباسية ، ط1، دار الإرشاد ، (بيروت ، 1970م) .
فياض : عبد الله (الدكتور) .
86-محاضرات في تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، ط1، مطبعة الإرشاد ، (بغداد ، 1967م) .
فيصل : شكري (الدكتور) .

87-المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ، نشأتها مقوماتها تطورها اللغوي والأدبي ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، بلا ت) .
قاسم : عون الشريف (الدكتور) .
88-شعر البصرة في العصر الأموي ، دراسة في السياسة والاجتماع ، دار الثقافة ، (بيروت ، 1972م) .
الكبيسي : حمدان عبد المجيد (الدكتور) .
89-الخراج أحكامه ومقاديره ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ، (بغداد ، 1991م) .
90-النشاط المصرفي في الدولة العربية الإسلامية ، شركة السرمد للطباعة المحدودة ، (بغداد، بلا ت) .
الكبيسي : عبد المجيد محمد صالح .
91-عصر هشام بن عبد الملك ، مطبعة سلمان الأعظمي ،(بغداد ، 1975م) .
الكتاني : الشيخ عبد الحي بن عبد الكريم.
92-التراتيب الإدارية ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا ت) .
كرد علي : محمد .
93-الإسلام والحضارة العربية ، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، 1968م) .
94-أمراء البيان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، 1948م) .
كستر : م .ج .
95-الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1976م) .
كفافي : محمد عبد السلام (الدكتور) .
96-الحضارة العربية طابعها ومقوماتها العامة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، (بيروت ، 1970م) .
الكفراوي : محمد عبد العزيز (الدكتور).
97-تاريخ الشعر العربي ، مطبعة النهضة العربية ، (القاهرة ، بلا ت) .
لوبون : غوستاف .
98-حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، ط3، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، 1979م) .
مؤنس : حسين (الدكتور) .
99-فجر الأندلس ، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر ، (القاهرة ، 1959م) .
المعاضيدي : عبد القادر سلمان (الدكتور) .
100-واسط في العصر الأموي ، ط1،دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1976م) .
معروف : ناجي .
101-أصالة الحضارة العربية ، مطبعة التضامن ، (بغداد ، 1969م) .
النجار : محمد الطيب (الدكتور) .
102-الدولة الأموية في الشرق ، ط3، دار العلوم للطباعة ، (القاهرة ، 1977م) .
النص : إحسان (الدكتور) .

103-الخطابة العربية في عصرها الذهبي ، دار المعارف ، (القاهرة ، 1963م) .
104- القبائل العربية أنسابها وأعلامها ، ط1، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، 2000م) .
الهادي : صلاح الدين .
105-اتجاهات الشعر في العصر الأموي ، ط1، مطبعة المدني ، (القاهرة ، 1986م) .
الهديب : فريال بنت عبد الله بن محمود .
106-صورة يزيد بن معاوية في الروايات الأدبية ، دراسة نقدية ، ط1، دار أجا ، (الرياض ، 1995م) .

رابعا : الدوريات

جاسم : مهند ماهر (الدكتور) .
1- حركة أهل المدينة المناهضة لخلافة يزيد بن معاوية سنة 63هـ، المجلة العلمية لجامعة تكريت (العلوم الإنسانية) ، المجلد (4) العدد (1) لسنة 1997م.
الجنابي : خالد جاسم (الدكتور) .
2-آداب وتقاليد مجالس الخلفاء الأمويين وأثرها في الحياة الاجتماعية ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد الأول ، السنة الثانية ، 2000م .
خطاب : محمود شيت .
3-الأحنف بن قيس التميمي ، مجلة المجمع العلمي العراق ، المجلد الحادي عشر ، (بغداد،1964م) .
4- مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثامن والعشرون، (بغداد ، 1977م) .
دكسن : عبد الأمير عبد حسين (الدكتور) .
5-حول سياسة عبد الملك بن مروان في اختيار عماله ، مجلة كلية الآداب ، العدد الخامس عشر ، لسنة 1972م.
العلي : صالح أحمد (الدكتور) .
6-العطاء في الحجاز ، تطور تنظيمه في العهود الإسلامية الأولى ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد العشرون ، (بغداد ، 1970م) .

خامسا : الرسائل الجامعية

البدراني : جاسم علي جاسم .
1-الوفادات على الخلفاء الأمويين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، 1999م .
جاسم : عطا سلمان .
2-النظر في المظالم في الخلافة الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مطبوعة بالآلة الكاتبة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 1985م .
الجبوري : محمود عباد .
3-خط وتذهيب وزخرفة القرآن الكريم حتى عصر ابن البواب ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 1991م .

الجنديل : هاشم صائب محمد .
4-مراسلات الخلفاء مع الأمراء والقادة العسكريين في العصر الأموي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة تكريت ، كلية التربية ، 1998م.
السلطاني : غانم هاشم .
5-رسوم دار الخلافة الأموية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مطبوعة بالآلة الكاتبة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 1989م.
العاني : عبد اللطيف عبد الرزاق رحيم .
6-تطور الحركة الفكرية في بلاد الشام من القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مطبوعة بالآلة الكاتبة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 1982م.
اللهيبي : ساجدة محمد زكي .
7-وصايا الخلفاء السياسية في العصر الأموي ، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة، مطبوعة بالآلة الكاتبة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 1993م.

سادسا : المراجع الأجنبية

. Encyclopedia International , Crolier , Printed U.S.A. , 1964 -1
Muir ,Sir William , The Caliphat , Its Rise , Decline and fall , -2
. Edinbrgh , 1924
Perier , Jeam Baptiste , viedal Hadjadj ibn Yousif , Librairie , Emile -3
. Bouillon , Paris , 1904